

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر - 2 -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الحياة العلمية بغرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين
لسان الدين بن الخطيب ما بين القرن (5-8هـ/11-14م).
مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف أ.
عبد العزيز بوكنة

إعداد الطالب:
الدكتور:
سفيان صر صاق

السنة الجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر - 2 -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الحياة العلمية بغرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين
لسان الدين بن الخطيب ما بين القرن (5-8/11-14م)
مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف أ. الدكتور:
عبد العزيز بوكنة

إعداد الطالب:
سفيان صرصاق

أعضاء لجنة المناقشة:

أ. الدكتور محمد الأمين بلغيث.....رئيسا
أ. الدكتور عبد العزيز بوكنةمقررا
الدكتور عبد الحميد خالدي.....عضوا

السنة الجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

الإهداء

إلى كل طالب علم يبتغي به وجه الله .
إلى عظماء الأندلس الذين حملوا مشعل الحضارة الإسلامية .
إلى روح ابن الخطيب الذي راح ضحية الغيرة ممن أحسن إليهم .
إلى أبي وأمي وإخوتي .
إلى جميع من يعرف معنى الصداقة .
إلى كل من يعرفني .

سفيان صرقاق

كلمة شكر

أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه الكثيرة الذي منحني الصبر والقوة لإنجاز هذا العمل المتواضع الذي ما كان ليصل إلى ما هو عليه الآن لولا التوفيق من عنده.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد العزيز بوكنة على هذه لي يد المساعدة إشرافا وتوجيها، فله مني فائق عبارات التقدير والإحترام.

وكذلك إلى عمال المكتبات الجامعية سواء ببوزريعة وعلى رأسهم سليم وكمال أو بالجامعة المركزية أمثال بو جمعة ومحمد والطيب، ناهيك عن عمال المكتبة الوطنية بتيليملي وكذلك عمال مكتبة المشور ومكتبة المركز الثقافي بتلمسان نظرا لما يقومون به من خدمات جليلة للعلم وطلابه.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالتحية والإمتنان إلى إخوتي وأصدقائي الأساتذة بجامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان - قسم الآثار - الذين استقبلوني بينهم بترحاب وحفاوة كبيرين خلال فترات البحث؛ وهم على الترتيب محمد بن حمو، يحيى العصري، بلجوزي بو عبد الله ومحمد رابع فيسة. وكذلك إلى رفاق الدرب الجامعي الإخوة أمير يوسف، عبد الحميد قريشلي، موسى شرف، إبراهيم بتيقة على مساندتهم لي الا محدودة. هذا دون أن أنسى فضل كل من بلال عزوز، وسليم باجي، وأحمد طالبي ومحمد بلجوهر وعبد الله مكناشي ومحمد معزوزة الذين وقفوا إلى جانبي في أوقات الضيق ساعة يعرفه الصديق.

قائمة المختصرات الواردة في المذكرة

ت = توفي.

ه = هجري.

م = ميلادي.

تح = تحقيق.

ط = الطبعة.

د.ط = دون طبعة.

د.ت.ط = دون تاريخ طبع.

د.م.ك = دون مكان طبع.

مج = المجلد.

ج = الجزء.

ص = الصفحة.

T: tome.

P: page

مقدمة:

لم يكن الإسلام مجرد موجة عابرة طافت بإسبانيا ثم انحسرت عنها ، وإنما كان حركة حضارية فعالة خلفت فيها دولة اجتمعت لها أسباب القوة والسلطان في الأندلس التي وإن كانت بمدلولها الجغرافي تظهر اليوم من خلال نوافذ التاريخ على أنها إرث ضائع لم يبق سوى ذكريات حزينة فهي بمدلولها الحضاري عضو حي في جسم العالم الإسلامي بما قدمته من تراث ثقافي تمثل في علم علمائها وأدب كتابها وشعر شعرائها وخصوبة فكر مفكرها، زيادة على كونها اعتبرت في وقت مضى حلقة اتصال بين الشرق والغرب ثقافيا وجغرافيا كيف لا وهي جزء من العالم الإسلامي آنذاك ورقعة من العالم الأوربي في الوقت الحاضر، لكن رغم ذلك تلقت نكران للجميل الذي قدمته للعالم عامة وللغرب الأوربي خاصة والدليل على ذلك كتابات المستشرقين وعلى رأسهم الهولنديين وبعض من الإسبان والألمان الجاحدين لفضل الحضارة الإسلامية بهذه البقعة من عالم العصر الوسيط والذين عملوا على الانتقاص من شأنها ووصفها بأبشع الصفات ، هذا ما جعلني أحاول تبين عكس ذلك بتجسيد جانب من جوانب الحضارة بإحدى ممالك الأندلس وهي غرناطة المتمثلة في ميدان العلوم في الفترة الممتدة من القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي إلى القرن الثامن هجري /الرابع عشر ميلادي من خلال مصدر هام أرخ لهذه الأخيرة ، والمعروف بكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ت 776هـ/1374م.

جاء الموضوع بهذا العنوان نظرا لقناعاتي التي باتت تزيد يوما بعد الآخر وذلك بعد أخذ ورد حول طبيعة البحث في جانب من جوانب الحياة الأندلسية فآثرت الجانب العلمي الغرناطي الذي جسده في تساؤلات عدة ؛كيف كانت حالة العلوم بمملكة غرناطة قبل وفي عصر بن الخطيب خاصة تحت حكم بني زيري وبني الأحمر؟ وكيف تجاوبوا معها ؟ ومن هم العلماء الذين برزوا فيها وما هي تخصصاتهم وتوجهاتهم الفكرية ؟ وهل استطاعوا تكوين قاعدة علوم سليمة ميزتهم عن غيرهم من الإمارات المجاورة؟ وما هي تأثيراتها البعيدة في الحضارة الأوربية ؟ وكيف تم تداولها بين المفكرين العرب وغيرهم ؟

وهل وفوها حقها أم حاولوا تزييف بريقها الذي استفادت منه أوروبا خلال نهضتها الفكرية في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة بحث جاءت على النحو التالي:

قسمت المذكرة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وستة فصول وخاتمة وملاحق، تعرضت في المقدمة إلى تحديد الإطار الزمني والمكاني لموضوع الدراسة وإلى دوافع اختيار الموضوع وطرح العديد من التساؤلات بغية الوصول إلى مدى نجاح أو فشل الحركة العلمية بتلك الإمارة التي بقيت وحيدة في الأندلس، تتقاذفها أمواج التحرشات النصرانية، تلاها التعريف بعناوين الفصول ومضامينها مع ذكر الصعوبات التي اعترضتني في سبيل إتمام البحث، دون إهمال ذكر أهم المصادر والمراجع المكلمة للمصدر الأساسي المتمثل في كتاب الإحاطة لصاحبه ابن الخطيب.

وفي الفصل التمهيدي تعرضت لبسطة تاريخية تساعد على تتبع عناصر المذكرة حيث تطرقت للأدوار التي مرت بها غرناطة من تسمية ونشأة وأوصاف وظهور الصراعات سواء الداخلية بين من دخلها من أمراء وحاشيتهم حول سدة الحكم أو الخارجية مع إمارات النصارى التي باتت تهدد وجودها بالأندلس، وما آلت إليه حتى السقوط يليها التعريف بأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

وفي الفصل الأول عرفت بشخصية لسان الدين بن الخطيب من حيث المولد والنشأة ومسار حياته العلمية والعملية وما حملته من مفاجآت وفاجعات سارة وحزينة، كانت خاتمتها النهاية المأساوية لحياته إلى جانب التعريف بآثاره من خلال بعض مؤلفاته التي بدا لنا أنها ذات أهمية كبيرة مقارنة بمؤلفاته العديدة الأخرى؛ وذلك من منطلق أن مؤلفها كان يكرر ذكرها كثيرا كلما تعرض لحادثة هامة ذات صلة وثيقة بموطنه غرناطة، إضافة إلى أن هذه المؤلفات تكمن قيمتها في الكشف عن الكثير من الملابسات التاريخية التي كانت تشهدها بلاد الأندلس عامة وموطن المؤلف خاصة بين الفينة والأخرى.

والفصل الثاني الذي عنونته بطرق ومؤسسات التعليم عالجا فيه المنهج التعليمي الذي اتبعه الغرناطيون في تعليم أبنائهم مقارنة بما كانت عليه بلاد الإسلام مشرقا ومغربا ومدى فاعلية هذه الطرق في التحصيل العلمي كالإقراء والإجازة والرحلة في طلب العلم

، أما فيما يتعلق بمؤسسات التعليم فقد تطرقنا إليها بالتدرج بدءا بالكتاتيب والمساجد ثم المدارس فالرباطات وذلك لتوضيح مدى دور هذه المراكز العلمية في إشعاع نور الحضارة الإسلامية بآخر قلاع الإسلام بالأندلس.

كما لم نغفل عن دور الحكام الغرناطيين من أمراء وولاة ووزراء سواء بنو زيري أو المرابطون أو بنو نصر عبر عقود مديدة في تشجيع العلم من خلال الاهتمام بأهله والرفع من شأنهم مقارنة بإمارات الأندلس الأخرى كقرطبة وإشبيلية ودانية .

مع التنويه بمساهمة العلماء سواء من ذوي الأصول الغرناطية أو ممن قدموا إليها في أوقات الرخاء والشدة معا في إثراء مختلف مجالات الحياة من خلال الإنتاج العلمي بنوعيه ؛ المدون والشفهي وكذلك من خلال تبرعات البعض منهم بالأموال والكتب .

تلك المساهمات وجدت ترحيبا ورضاء كبيرين لدى عامة الغرناطيين ورفعت من شأنهم عندهم حيث شاركوا بدورهم في تحريك عجلة العلوم من خلال الاهتمام بتعليم أبنائهم والبحث عن أفضل المؤدبين الذين يأخذ المتعلمون عنهم العلم والصفات الخلقية الحميدة ، وكذلك عن طريق ممارسة النشاطات والحرف التي لها علاقة بمختلف العلوم .

أما الفصل الثالث فقد عنوانته بالعلوم الشرعية والتي يعد فيها علم القراءات منطلق الدراسات الدينية المتعددة باعتبار القرآن الكريم اعتنى بشؤون الحياة الدنيوية والأخروية من خلال تبين معالم العقيدة الصحيحة وكيفية العبادة وطرق المعاملة بين المسلم وغير المسلم ، فحاولنا توضيح مدى إسهامات الغرناطيين في هذا العلم الجليل الشأن من خلال عدد الذين نبغوا فيه قراءة وتأليفا ، يليه في الأمر ذاته علم التفسير الذي يذلل صعوبات فهم الآيات خصوصا المتشابه منها والتي كان سوء فهمها عبر مر الزمن سببا في بروز الكثير من الفتن والنزاعات بين الطوائف والفرق المختلفة ، ثم يأتي بعدهما الفقه وأصوله نظرا لما لهما من أهمية بارزة في تنظيم المجتمع دينيا ودنيويا وذلك بذكر الفقهاء والأصوليين الغرناطيين وإنتاجهم في هذا الباب .

دون إغفال علم الحديث الذي يعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم كونه شارح لكثير من أصول العقيدة والعبادة معا ، بالإضافة إلى علم الكلام ومدى تفاعل الغرناطيين معه .

أما الفصل الرابع فحمل عنوان العلوم اللسانية والأدبية لاشتماله على اللغة والنحو والأدب والشعر والنثر وذلك من خلال إبراز مدى إسهامات الغرناطيين من لغويين وأدباء وشعراء في المحافظة على مكاسب لغة الفاتحين من خلال العناية بتعليمها لطبقات المجتمع وكذلك عن طريق الإنتاج في ضروبها المختلفة الذي تجلى في عديد المؤلفات التي صبت في هذا الباب العزيز الغاية.

وفي الفصل الخامس الذي جاء عنوانه العلوم الاجتماعية تطرقت إلى علمي التاريخ والجغرافيا باعتبارهما ذوا أهمية كبيرة في التعريف ببلد موضوع الدراسة وأحوال أهله من حيث المجال الجغرافي والنشأة ومجمل الأحداث التاريخية التي ظهرت في شكل إرث حضاري ازداد إشعاعا بمرور القرون جسده التآليف العديدة للمهتمين بهذا الميدان.

كما خصصت فيه مبحثا للدراسات الفلسفية حاولت من خلاله الكشف عن موقف الغرناطيين منها ومدى تجاوبهم معها ،دون تجاهل التصوف الذي وجد بدوره ملاذا ملائما بينهم ،استطاع به تشكيل طائفة من المتصوفة ساهمت بدورها في مجالي الجهاد ونشر العلم لمرتادي الرباطات والزوايا معا .

أما الفصل السادس والأخير فكان عنوانه العلوم التطبيقية من طب وصيدلة وفلك وحساب فهندسة ،وهي في مجملها تمد الباحث في مجال العلوم والقارئ معا بجملعة من المعلومات حول انجازات وإسهامات الغرناطيين والأندلسيين عموما في هذا المجال ومقارنته مع مؤلفات الغير .

وأنهت الدراسة بخاتمة جعلتها بمثابة حوصلة لما تم التطرق إليه في موضوع البحث مع ذكر بعض النتائج التي ارتأيت أن أذكرها نظرا لما لها من الأهمية بما كان ،كما أتممتها بمجموعة من الملاحق المساعدة تضمنت مخططات ونصوص وصور ؛سواء كانت لحكام غرناطة أو للمصدر المعتمد عليه في البحث والمتمثل في كتاب الإحاطة ،إضافة إلى المنشآت العلمية والعمرانية الغرناطية.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتها من أجل إنجاز هذا البحث فهي قد لا تختلف كثيرا عن باقي ما يلاقى الدارسون في مثل هكذا مواضيع ؛سواء من حيث المادة العلمية وما تحويه من وثائق تخدم البحث وتذلل الصعوبات أو من حيث الدراسات السابقة التي عالجت مجالات الحركة العلمية ،غير أن ذلك لا يمنع من وجود البعض منها يأتي

في مقدمتها عدم التساوي في كمية المعلومات التي لها علاقة بمختلف العلوم التي شهادتها غرناطة؛ فعلى سبيل المثال تجد أن العلوم الشرعية والأدبية أخذت حيزا كبيرا من مصدر الدراسة والمتمثل في كتاب الإحاطة مقارنة بعلوم أخرى كالفلك والحساب والهندسة، لذا يجد الباحث مشقة في العثور على أعلامها ومؤلفاتهم في مجلدات الكتاب الأربعة ناهيك عن ظاهرة الموسوعية التي كانت سائدة في عالم العصر الوسيط؛ فتجد العلم فقيها وأديبا ومؤرخا وقد يذكر بأن له باع في الفلك وتفوق في الحساب والهندسة غير أنه يندر ذكر مؤلفاته في هذه العلوم.

ويضاف إلى ذلك وجود فرق متباين في الإطار الزمني لموضوع الدراسة الممتد بين القرنين الخامس والثامن هجري / الحادي عشر والرابع عشر ميلادي، ومرد ذلك راجع إلى اهتمام ابن الخطيب بذكر علماء القرنين السابع والثامن هجريين أكثر من القرنين اللذين يسبقانها بحكم أن غرناطة على حد إشارته شهدت فيهما نهضة ثقافية كبيرة في ظل حكم بني الأحمر الذين خدمت عائلته في كنفهم، زيادة على أن أبرز أعلام هذه الفترة هم من الذين قرأ مؤلفاتهم أو تتلمذ عليهم، وهو ما يجعل فترة البحث تشهد نوعا من الخلل في إيصال الصورة العامة لما كان قائما آنذاك.

والأمر الجدير بالذكر هو عدم تمكني من اللغة الإسبانية التي ساهم مؤرخوها بدور كبير في مختلف الدراسات التي لها علاقة بتاريخ الأندلس السياسي والحضاري طيلة ثمانية قرون تنقيا وتحقيا، وهو ما كان بالإمكان أن يجعل البحث أكثر قوة وموضوعية لو تسنى لي ذلك، وهذا ما يستوجب على المهتم بالدراسات الأندلسية الحرص عليه.

ولما كان عنوان الدراسة هو الحياة العلمية فإن البحث العلمي يستوجب علينا الرجوع إلى مصادر أخرى لا تقل أهمية عن المصدر الأساسي المعتمد المتمثل في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة من حيث المادة كما ونوعا، وهي في مجملها تمثل ثروة مصدرية ذات قيمة علمية هامة نظرا لارتباطها الوثيق بالبحث بحكم ما تقدمه من معلومات تساعد على فهم الأوضاع العامة السائدة في العصر الوسيط وإعطاء صورة جلية لإسهامات الحضارة الإسلامية - غرناطة - فيه.

ويمكن تقسيم تلك المصادر إلى قسمين؛ الأول يتمثل في المؤلفات التي احتوت على النشاط العلمي والحوادث التاريخية بغرناطة اعتمدها ابن الخطيب كمصادر لمؤلفه يأتي على رأسها كتاب **جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس** لأبي محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله الحميدي ت488/1095م الذي ضمنه مجموعة من التراجم لشخصيات أندلسية كثيرة؛ فقهاء ومحدثين وإن غلبت عليه تراجم الأدباء.

وكتاب **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس** لأبي مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي ت469/1076م الذي حقق قسما منه الدكتور محمود علي مكي، وتكمن أهمية الكتاب في أنه مصدر موثوق بين المؤرخين حول مختلف الحوادث التي أوردها فيه، حيث عالجه بأسلوب نقدي وتحليل راق ينبأ في مجمله عن براعة مؤلفه في صياغة الأفكار وطرحها للقارئ، وهو ما كان ابن الخطيب يرجع إليه في العديد من المرات.

وكذلك كتاب **الصلة** لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال ت578/1182م الذي استدرك فيه عديد التراجم للفقهاء والأدباء الأندلسيين ومنهم الغرناطيين الذين لم يذكرهم أبو الوليد عبد الله بن محمد الشهير بابن الفرضي ت403/1012م في كتابه **تاريخ علماء الأندلس**؛ وهما مؤلفين عدت إليهما في مختلف المناسبات عند الإشارة كذلك إلى عديد الأعلام الأندلسيين الذين برزوا في العلوم المختلفة. ونجد أيضا كتاب **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي ت706/1306م الجزء الثاني و الجزء الثالث بتحقيق كولان وبروفنسال والجزء الرابع بتحقيق الدكتور إحسان عباس إضافة إلى الجزء الخاص بالموحدين الذي حققه محمد إبراهيم الكتاني وآخرون والكتاب في مجمله جمع بين التاريخ والأدب بالمغرب والأندلس، وتكمن أهميته في أن مؤلفه اعتمد فيه على مجموعة من المصادر التاريخية في سرده لما كان يكتب **كالذخيرة** لابن بسام، و**نظم الجمان في أخبار الزمان** لابن القطان، و**مطمح الأنفس ومسرح التأنس** للفتح ابن خاقان، عدت إليه عند التطرق إلى غرناطة من نشأة وموقع وأوضاع.

دون إهمال الكتب التاريخية الأخرى نظرا لما لها من شأن كبير خاصة فيما يتعلق بتاريخ غرناطة مثل كتاب **التبيين والتبيين** للأمير عبد الله بن بلكين آخر أمراء بنو زيري بها والمعروف كذلك **بمذكرات الأمير عبد الله** الذي حققه ليفي بروفنسال، وكتاب **المعجب**

في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي الذي يعتبر بمثابة موسوعة أدبية وتاريخية في الآن ذاته عن ما كان قائما في المغرب الإسلامي حتى القرن السابع هجري، خصوصا إذا علمنا أنه كان كاتباً لدى الأمير أبو إسحاق بن أبي يوسف الموحي حاكم إشبيلية من قبل محمد الناصر سلطان الموحدين.

أما القسم الثاني فيعتبر بمثابة امتداد للمادة الخام، وهي الكتب التي تلت كتاب الإحاطة كنثير فرائد الجمان للأمير إسماعيل ابن الأحمر وكتابي نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وأزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني ت 1041هـ/1631م اللذين يعدان بمثابة خزانة هامة اشتملت على كم هائل من التعريفات سواء حول الشخصيات الهامة كابن الخطيب ومشاهير الغرناطيين والأندلسيين معا كما هو شأن الكتاب الأول أو التعريف بالشخصيات التي ذاع صيتها في العالم الإسلامي التي حواها الكتاب الآخر، دون إغفال كتاب الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى للسلاوي الناصري.

غير أن الملاحظ على مصادر هذا القسم وجود بعض الصعوبات خصوصا في التعامل مع النصوص المأخوذة من الإحاطة، إذ أنهم لا يذكرون الكتاب بعينه مقارنة بذكر صاحبه؛ كقولهم قال ابن الخطيب أو ذكره ابن الخطيب وهذا عند التعرض لشخصية ما أو نشاط معين إلى غير ذلك من التعاليق مع العلم أن لسان الدين لم يؤلف الإحاطة فقط وهذا ما يدفع الباحث إلى ضرورة الإطلاع على مؤلفاته الأخرى كأعمال الأعلام في من بويج قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وكتاب الكتبية الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة.

هذا دون تجاهل مؤلفات العلامة عبد الرحمن ابن خلدون ت 808هـ/1406م كالمقدمة وديوان العبر خصوصا جزئيه السادس والسابع ورحلته المعروفة برحلة ابن خلدون شرقا وغربا التي حققها محمد بن تاويت الطنجي؛ ضمنها معلومات هامة ونفيسة لا يمكن لدارس تاريخ غرناطة وأحوالها الاستغناء عنها، خصوصا إذا علمنا أن صاحبها كان من الأصدقاء المقربين لابن الخطيب الذين دارت بينهم العديد من المراسلات ووصلتهم الهدايا من بعضهم البعض، زيادة على ذلك زيارة ابن خلدون إلى غرناطة وتقربه من حضرتها السلطانية وما لقاها بها من حفاوة وتكريم يليقان بعالم مثله.

أما فيما يخص المراجع فقد وردت متنوعة بتنوع مواضيعها أبرزها مؤلفات العلامة محمد عبد الله عنان التي أثنى بها المكتبة الأندلسية، لعل أثنى كتاب دولة الإسلام بالأندلس وكتاب ملوك الطوائف وكتاب نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، وهي مؤلفات تذلل للباحث في تاريخ الأندلس العديد من الصعوبات التي قد يلاقيها عند محاولة الكشف عن الملابس التاريخية لمختلف القضايا التي شهدت تلك الجهة التي كانت في أحد الأيام عضو مشع ومنازة علوم في حضارة الإسلام.

وكذلك كتابه الآثار الأندلسية الباقية بإسبانيا والبرتغال الذي يعد بمثابة دراسة أثرية لمخلفات المسلمين من عمران (قصور، مساجد، مدارس) وطرق تسيير الحياة كالطرق والأسواق والحمامات زيادة على فنون الفلاحة، دون إغفال الدور الكبير لهذا المؤلف الفذ في إخراج مؤلفات ابن الخطيب إلى ساحة الدراسات التاريخية بعد أن كانت حبيسة أدراج المكتبات ودور الأرشيف العربية والأوربية، وهذا ما تطلب منه جهدا كبيرا أمضاه من عمره بحثا وتحقيقا جاوز الأربع عشرة سنة قضاها بإسبانيا والبرتغال؛ لعل أبرزها مخطوط الإحاطة موضوع بحثنا، وكتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب.

كذلك كتابات كل من الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش بعنوان الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين 510-546هـ/1116-1151م، وكذلك حسن علي حسن الذي حمل عنوان الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - عصر المرابطين والموحدين -، وكتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين للمؤرخ الألماني يوسف أشباخ الذي ترجمه إلى العربية محمد عبد الله عنان.

بالإضافة إلى جملة من القواميس المتعلقة بشرح المصطلحات اللغوية كلسان العرب لابن منظور، والبحر المحيط للفيروز آبادي، يضاف إليها الموسوعات الجغرافية والتاريخية للتعريف بالمواقع والأعلام المختلفة؛ كمعجم البلدان لياقوت الحموي، ورحلة ابن بطوطة لأبي عبد الله الطنجي ووفيات الأعيان لابن خلكان.

هذا دون نكران فضل القرآن الكريم الذي فيه خبر من قبلنا ومن بعدنا من استمسك به أفلح ومن حاد عنه هلك؛ استدلت به في العديد من المرات خصوصا عند التطرق إلى علوم القراءات والتفسير والحديث، زيادة على كتب الحديث الشريف وعلى

رأسها صحيح أبي عبد الله البخاري ومسلم بن الحجاج ،وكتب السنن لكل من الترمذي وابن ماجه والنسائي.

ناهيك عن بعض المراجع الأجنبية التي تيسر لي الحصول عليها مثل كتاب *histoire musulmans d'Espagne jusqu' la conquête de L'Andalousie des par les Almoravides* لمؤلفه *Rinhart DOZY* وكذلك كتاب *contornos de las ciudades hispano musulmanas* لمؤلفه *Torres balbàs*

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل والإحترام الموصول إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد العزيز بوكنة على توجيهاته ومتابعته لموضوع البحث منذ أن كان مجرد تصور شكلته الأفكار المبعثرة حول كيفية الخوض في مثل هكذا ميادين إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن ،فله مني كل التقدير والإحترام ،كذلك أتقدم بامتنان كبير إلى الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث الذي كان يستقبلني بحفاوة وترحاب كبيرين من خلال الزيارات المتكررة إلى مكتبه بكلية أصول الدين بالخروبة إضافة إلى نصائحه التي تخدم الطالب والبحث على حد سواء ،والأمر ذاته إلى الأساتذة الأفاضل الدكاترة رشيد تومي وشاوش حباسي وأحمد شريفي على دعمهم المتواصل لي بالنصائح والإرشادات طيلة مدة البحث ،هذا دون نكران فضل فرقة التدريس للعام النظري 2008/2007م الذين بثوا فينا روح البحث وذلّلوا لنا مصاعبه.

وكذلك إلى لجان البحث المختلفة بدءا باللجنة العلمية للقسم على ما تبذله من قصار جهد بهدف متابعة سير عمليات البحث العلمي وفق الإمكانيات المتاحة لها ،وكذلك إلى لجنة المناقشة الموقرة المكونة من الدكاترة الأفاضل التي ستكرم بتقييم هذا العمل المتواضع لدارس مبتدأ لم يشهد عوده في ميدان البحث بعد.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

1. تسميتها:

غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة¹ ويقال أغرناطة بهمزة في أولها²، ويقال أن الصواب "أغرناطة" بالهمزة³ لكن كلا الاسمين أعجمي⁴ أي Granada باللسان الاسباني الذي معناه "رمانة" بلسان عجم الأندلس.⁵

واختلف الباحثون في أصل هذه التسمية، فرأى ياقوت الحموي أنها سميت بهذا الاسم لأن الرمان كان يزينها⁶، ورأى محمد عبد الله عنان أن اسم غرناطة قديم يعود إلى عهد الرومان والقوط وأن البعض يرى أنه مشتق من الكلمة الرومانية Granata أي الرمانة و أنها سميت كذلك لجمالها و لكثرة حدائق الرمان التي تحيط بها⁷.

ونظرا لموقع غرناطة الهام سماها الروم على حد تعبير بن الخطيب سنام الأندلس⁸، وأضاف أيضا أنها كانت تسمى في القديم قسطنطينية وأنها كانت قبل فتح الأندلس حاضرة

1 شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط1، دار صادر، بيروت، 1993م ج4، ص. 195؛ أبو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1978م، ج3، ص. 485؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابله نصوصه نبيل خالد الخطيب، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ط، ج5، ص. 207.

2 محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مطابع هيد لبرغ، بيروت، 1984م، ص. 45.

3 شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1968م، مج1، ص. 178؛ شكيب أرسلان، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ط، ج1، ص. 188.

4 لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م، مج1، ص. 91.

5 زكرياء محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، د.ط، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1380هـ/ 1960م، ص. 547.

6 ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص. 195.

7 محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتتصرين، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1386هـ / 1966م، ص. 22.

8 بن الخطيب، المصدر السابق، مج1، ص. 91، ص. 109.

كورة البيرة وفحصها لا يشبه بشيء من بقاع الأرض طيبا ولا شرفا إلا غوطة دمشق¹، وأضاف عنان أن البيرة وغرناطة تعتبران في معظم الأحيان ولاسيما في المراحل الأولى لتاريخ الأندلس إسمين لمكان واحد، وقد جرى كثير من المؤرخين والجغرافيين على المزج بينهما².

وأطلق عليها إسم غرناطة اليهود لأن أهلها كانوا من اليهود على حد قول الحميري: "وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا"³، وكان عددهم آنذاك كبيرا إذ فاق في القرن التاسع ميلادي عدد المسلمين والنصارى معا⁴، وهو ما أشار إليه عبد العزيز سالم عندما ذكر أن غرناطة كانت تزخر بعدد هائل من اليهود وأن سكانها من المسلمين كانوا قلة إذا ما قيسوا بعدد سكانها ولذلك سميت بغرناطة اليهود⁵، وذكر بن الخطيب أن عبد الأعلى بن موسى ابن نصير فتح البيرة وضمها إلى غرناطة اليهود⁶.

ومن المؤرخين من ذكر أنها سميت بشام الأندلس أو دمشق الأندلس فقد أطلق جند دمشق على كورة البيرة التي منها غرناطة إسم دمشق وقتما سكنوها، نظرا لشبهها بدمشق في غوطتها الفيحاء وغازاة أنهارها وكثرة أشجارها⁷، وزيد على ذلك أنه لما كثر العرب العرب بقرطبة عام 125هـ / 742م قام والي الأندلس آنذاك أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي

¹ بن الخطيب، المصدر السابق، مج 1، ص. 98.

² عنان، المرجع السابق، ص. 22.

³ الحميري، المصدر السابق، ص. 45.

⁴ Encyclopédie de l'islam par b. Lewis, ch.pellat et j.schacht ,leiden, Pays-Bas ,1965.T2. P. 1036

⁵ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة، د.ط. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.ط، ص. 265.

⁶ بن الخطيب، المصدر السابق، مج 3، ص. 529.

⁷ المقري، المصدر السابق، ج 1، ص: 117.

بتفريقهم في البلاد، فأنزل جند دمشق الذين قدموا إلى الأندلس مع بلج بن بشر القشيري الذي ولي الأندلس عام 123هـ/740م كورة دمشق لشبهها بها فأوقعوا عليها إسم دمشق¹.

(2) موقعها:

غرناطة من موسطة الأندلس كون الأندلس كانت مشتملة على موسطة وشرق وغرب² وتتبع للإقليم الرابع من أقاليم الدنيا السبعة، وهي إشبيلية ومالقة وقرطبة وألميرية ومرسية، لأن معظم بلاد الأندلس في الإقليم الخامس³، وعدها القزويني وبن الخطيب من معمور الإقليم الخامس⁴، وجعلها بن سعيد ضمن الرابع المعتدل⁵، وزاد المراكشي أن مدن هذا الإقليم أعدل هواء وأطيب أرضا وأعذب مياهها من البلاد التي في الإقليم الخامس وأهلها أحسن ألوانا وأجمل صورة وأفصح لغة من أولئك الذين في هذا الإقليم⁶.

¹ علي بن موسى بن سعيد المغربي الغرناطي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ج2، ص. 102.

² المقرئ، المصدر السابق، مج1، ص. 165؛ أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص. 204.

³ صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، د.ط، مطبعة السعادة، مصر، 1932 م، ص. 63. الحميري، المصدر السابق، ص. 32؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 207.

⁴ القزويني، المصدر السابق، ص. 491. بن الخطيب، المصدر السابق، مج1، ص. 93. بن الخطيب، اللوحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تح: لجنة إحياء التراث العربي، د.ط، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت. ط. ص. 21.

⁵ بن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص. 83.

⁶ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، د.ط، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ / 1994 م، ص. 13.

ويحد غرناطة من الجنوب نهر شنيل ومن الشرق جبل شلير وألميرية ومن الشمال جيان وقرطبة ومن الغرب لوثة ونهر شنيل¹، وتتمتع بموقع فائق الحسن فهي تقع على واد عميق يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سيرا نيفادا وتضلها الآكام العالية من الشرق والجنوب².

وطولها خمس عشرة ساعة وربع³، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة⁴، ومنهم من جعل طولها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرة دقائق⁵.

وتبعد غرناطة عن البيرة بحوالي فرسخ وثلث فرسخ⁶ ومنهم من قال أن بينهما فرسخان

وثلاثا فرسخ⁷ وقيل ستة أميال⁸، إلا أن بن بطوطة جعلها أكثر من ذلك بقوله "بين غرناطة وغرناطة وجبل العقاب المجاور لمدينة البيرة الخربة ثمانية أميال⁹ وبينها وبين لوثة عشرة عشرة فراسخ¹⁰، وتبعد عن مدينة المنكب عبر البحر أربعون ميلا¹ وبينها وبين مدينة وادي آش مسيرة

¹ بن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تـح: محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، د. ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1386هـ/1966م، ص. 59.

² عنان، المرجع السابق، ص. 22، 23؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص. 161.

³ الحموي، المصدر السابق، ج1، ص. 31، ص. 39.

⁴ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 207.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 94.

⁶ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص. 21.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 91.

⁸ الحميري، المصدر السابق، ص. 28.

⁹ بن بطوطة، رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتبه هوامشه طلال حرب، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2002م، ص. 681.

¹⁰ الحموي، المصدر السابق، مج5، ص. 26.

يوم²، وبينها وبين ألميرية مسيرة ثلاثة أيام³، وحددها أرسلان بمسافة ستة أميال⁴، وتبعد عن قرطبة تسعون ميلا⁵ وقيل خمسة أيام⁶، وتبعد عن البحر المتوسط نحو أربعين ميلا⁷.

(3) تعميرها:

يعتبر تأسيس غرناطة على عهد الفتح الإسلامي من المسائل الهامة التي اختلف فيها مؤرخو الأندلس، فرأى فريق أنها كانت إذاك عاصمة لكورة إلبيرة وعلى رأسهم صاحب كتاب أخبار مجموعة؛ حيث يروي أن طارق بن زياد فرق جيشه فبعث مغيث الرومي إلى قرطبة وأرسل جيشا آخرا إلى مدينة مالقة وجيشا ثالثا إلى غرناطة مدينة إلبيرة وبعد فتح مالقة لحق جيشها بالجيش المتجه إلى إلبيرة فحاصروا غرناطة وفتحوها⁸.

¹ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1409هـ / 1989م، مج 2، ص. 570.

² الحميري، المصدر السابق، ص. 45.

³ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص ص. 210، 211.

⁴ أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص. 124.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 94.

⁶ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 207.

⁷ المراكشي، المصدر السابق، ص. 371.

⁸ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكرى أمرائها، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981 م، ص. 19 وما بعدها؛ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ص. 25، 26.

وذكر بن الخطيب أن غرناطة من أقدم مدن كورة إلبيرة وأعظمها وأنه تم فتحها عام 712/هـ¹ م، وزاد بن سعيد أن إلبيرة كانت قاعدة المملكة في القديم² ، وهذا ما أيده المقري على أن غرناطة عند الفتح كانت حاضرة إلبيرة³ ، ورأى الحميري أن إلبيرة ظلت المدينة المقصودة حتى بداية عهد بداية الطوائف إذ استحدثت مدينة غرناطة التي أخذت تحل محل إلبيرة⁴ .

أما القزويني وبن عبد الحق فقد اكتفيا بالإشارة إلى أن غرناطة من أقدم المدن قرب كورة إلبيرة⁵ ، غير أن المستشرق رينهانت دوزي أورد لنا روايتين تناقض كلاهما الأخرى ؛ الأولى وهي أن غرناطة عند افتتاحها من طرف المسلمين كانت إحدى مدن كورة إلبيرة وبقيت كذلك إلى عام 753/هـ 139 م وهي السنة التي لجأ فيها يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إليها فرارا من سطوة عبد الرحمن الداخل تـ 788/هـ 172 م⁶ ، وهي الرواية التي يؤيدها قول بن الخطيب: " قالوا ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري لحق بإلبيرة فامتنع بحصن غرناطة وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية تـ 788/هـ 172 م وأحاط به فنزل على صلح⁷ ، وانعقد بينهما عقد ورهنه يوسف ابنه أبا زيد

¹ بن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص. 93.

² بن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص. 77.

³ المقري ، المصدر السابق ، مج1 ، ص. 263 .

⁴ الحميري ، المصدر السابق ، ص. 45

⁵ القزويني ، المصدر السابق ، ص. 547 ؛ بن عبد الحق ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تح: محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1955 م ، ص. 990.

⁶ R.DOZY, recherches sur L'histoire et la littérature de L' Espagne pendant le moyen âge, 3^{eme} édition, oriental presse Amsterdam , 1956 , T1, PP. 337 – 338.

⁷ بن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانيا الإسلامية ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 م ، ص. 8.

زيد وأبا الأسود وشهد في الأمان وجوه العسكر بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة¹.

والرواية الثانية هي أن البيرة كانت عاصمة كورة البيرة ثم صارت بعدها العاصمة في عهد زاوي بن زيري²، وأضاف محمد عبد الله عنان أن غرناطة وقت افتتاح الأندلس كانت مدينة صغيرة من أعمال البيرة تقع على مقربة من مدينة البيرة قاعدة الولاية من الناحية الجنوبية افتتحها المسلمون اثر انتصارهم على القوط³.

بقيت غرناطة مدينة متواضعة على عهد الخلافة الأموية بالأندلس إلى أن قامت الفتنة البربرية⁴ بقرطبة سنة 399هـ/1008م، وهذا ما فتح المجال للتنافس والتنازع بين حكام المقاطعات الجنوبية التي كانت تابعة لها، وكان يحرك تلك التناحرات أطماع المتسببين فيها بغية التوسع على أكبر قدر ممكن من الأراضي وجمع ما يمكن جمعه من الثروات النفيسة التي كانت تزخر بها مقاطعات قرطبة، فوقعت غرناطة في يد البربر حيث استحدثها الثوار⁵ بزعامة زاوي بن زيري الصنهاجي⁶ الذي حماها ومدنها وجعلها قاعدة

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص. 469 .

² R .DOZY, histoire des musulmans d'Espagne jusqu' la conquête de L'Andalousie par les Almoravides leyde, 1932, t3.p.31 .

³ عنان، نهاية الأندلس، ص. 21.

⁴ يقصد بها الثورة التي شهدتها قرطبة سنة 399هـ/1008م قادها أهل قرطبة ضد أبي العاص الحكم بن هشام الملقب بالربضي شارك فيها الفقهاء كحي بن يحيى الليثي وطالوت بن عبد الجبار العافري؛ بغية تنحيته من الحكم نظرا لانهماكه في الملذات ومبالغته فيها، منشدين في ذلك: "يا أيها المسرف المتماذي في طغيانه، المصر على كبره، المتهاون بأمر ربه، أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك..." غير أنها باءت بالفشل، إذ هدمت منازلهم ومساجدهم وقتل منهم خلق كثير، ونفي من بقي منهم عن البلاد (أنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص.30،31).

⁵ الحميري، المصدر السابق، ص. 45.

⁶ قال عنه بن الخطيب أنه كان كبش الحروب وكاشف الكروب، خدم قومه، شهير الذكر أصيل المجد المثل المضروب في الدهاء والرأي والشجاعة والأنافة والحزم، جاز إلى الأندلس رفقة ابنا أخيه ماكسن وحباسة وحبوس على إثر مقتل عم أبيه ماكسن بن زيري بن مناد فاستقروا عند المنصور بن أبي عامر الذي وجدوا عنده كل ترحيب وبقوا كذلك إلى

قاعدة لسلطانه وعاصمة لملكه¹، فحكمها لبضعة أعوام إلى غاية رحيله عنها إلى إفريقية سنة 1025/هـ 416م² مستخلفا عليها بن أخيه حبوس بن ماكسن³ تـ 1036/هـ 428م⁴ الذي استكمل بنائها وبناء

قصبتها وتحصين سوارها⁵ فانتقل الناس إليها⁶، ومن بعده باديس بن حبوس ت 467هـ 1074م الذي كملت في أيامه⁷.

ويعد حبوس بن ماكسن على حد تعبير بن خلدون أعظم ملوك البربر وأقواهم جانبا حيث كانت مملكته من أكبر ممالك الطوائف رقعة إذ كانت تمتد من بسطة⁸ شرقا حتى اتجه ورندة⁹ غربا ومن بياسة وجيان¹⁰ شمالا حتى البحر جنوبا، وهي قوة زاد شأنها

غاية قيام الفتة البربرية سنة 399هـ/1008م فانحازوا إلى البيرة وكونوا بها دولة خاصة بهم (أنظر: بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 522؛ أعمال الأعلام، ص. 228، 229).

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 514؛ بن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج 2، ص. 86.

² علي حسين الشطاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، د. ط.، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001م، ص. 43، 44.

³ عن ملوك بني زيري أنظر الملحق رقم: 01.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 477.

⁵ نفسه، مج 1، ص. 514.

⁶ المقرئ، المصدر السابق، مج 1، ص. 150.

⁷ الحميري، المصدر السابق، ص. 45.

⁸ بسطة: بفتح أوله وسكون ثانيه مدينة بالأندلس من أعمال جيان مشهورة بالمصليات البسطية (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص. 422).

⁹ رندة: بضم أوله وسكون ثانيه مدينة قديمة بين إشبيلية ومالقة، وهي حصن منيع على نهر جار وبها زرع واسع (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص. 73).

¹⁰ جيان: بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة متصلة مع كل من البيرة وتدمير وطليطلة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص. 195).

على عهد باديس الذي مصر مدينة غرناطة وصارت منذ عهده من أهم قواعد الأندلس الجنوبية وأنشأ القصور والحصون فوق أنقاض قلعتها القديمة¹.

(4) أوصافها:

أشادت المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية قديما وحديثا بوصف جمال غرناطة وذكر فضائلها، فذكر بن الخطيب أن موقع غرناطة الحسن جعلها قريبة من الاعتدال شامية في أكثر الأحوال، وقد خصها الله تعالى بطيب الهواء وغازاة الماء²، ووصفها الحجاري بقوله: "غرناطة وما أدراك ما غرناطة، حيث أدارت الجوزاء وشاحها وعلق النجم أقرطه عقاب الجزيرة وغرة وجهها المنيرة"³.

وقال أبو الفداء: "وغرناطة في نهاية النزاهة وتشبه دمشق وتفضل عليها بأن مدينتها مشرفة على غوطتها وهي مكشوفة من الشمال"⁴، وذكر الشقندي أنها دمشق بلاد الأندلس ومسرح الأبصار، ومطمح الأنفس⁵، وجعلها ياقوت الحموي من أعظم مدن كورة البيرة وأحسنها⁶، وأفاض القلقشندي في وصفها بقوله: "وغرناطة في نهاية الحصانة وغاية النزاهة تشبه دمشق من الشام وتفضل عليها بأن مدينتها مشرفة على غوطتها"⁷.

¹ عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د. ط، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ/1971م، ج6، ص. 180.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 94.

³ نقلا عن ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص. 83.

⁴ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء، تقويم البلدان، إعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون والبارون مالك كوكين دسلان، د. ط، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م، ص. 177.

⁵ بن حزم وابن سعيد والشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، تح: صلاح الدين المنجد، د. ط، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1387 هـ / 1968م، ص. 56.

⁶ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص. 195.

⁷ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 107.

كما وصفها بن بطوطة عند زيارته لها بقوله "غرناطة قاعدة الأندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة، والبساتين والجنان والرياض والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة"¹، ويصفها العمري بقوله وهي كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والفواكه²، أما الزهري فينعتها بأنها مدينة من أحسن مدن الأندلس³.

أما أبو حامد محمد الغرناطي 473هـ/565هـ فيقول "واسم بلدي غرناطة وهو بلد كبير عظيم يقال أنه كان مدينة دقيانوس ملك أصحاب الكهف وبالقرب من المدينة بثلاث فراسخ مدينة صغيرة يقال لها لوثة"⁴.

وعند جواز بن تاشفين المرابطي ت500هـ/1106م الرابع لبلاد الأندلس عام 496هـ/1102م وتجوله بها رفقة ابنه أبو طاهر تميم وأبو الحسن علي شبهها "بعقاب رأسه طليطلة ومنقاره قلعة رباح و صدره جيان، ومخالبه غرناطة وجناحه الأيمن بلاد الغرب وجناحه الأيسر بلاد الشرق"⁵، كما وصفها القائد المرابطي الشهير بن غانية ت543هـ/1148: "الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فإذا جشتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم"⁶.

¹ بن بطوطة، المصدر السابق، ص. 679.

² شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ص. 227.

³ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، تح: محمد حاج صادق، د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت. ط، ص. 94.

⁴ أبو حامد محمد الغرناطي، رحلة بن الغرناطي "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربة وآسية"، تحرير وتقديم قاسم وهب، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003م، ص. 101.

⁵ مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص. 77، 78.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 97.

ويرى ليفي بروفنسال أن عاصمة الفكر الأندلسي كانت في بداية العهد الإسلامي تمثلها قرطبة لتتحول فيما بعد إلى غرناطة¹ التي شهدت بمدينتيها الكبيرتين مالقة والميرية في مطلع القرن الرابع عشر نمو حركة فكرية زاهية أسهم فيها اغلب أمرائها². وزاد عنان على الأوصاف السالفة قوله " وكانت غرناطة أيام الدولة الإسلامية جنة من جنات الدنيا ،تغص بالغيظ والبساتين الياضعة التي كانت لوفرة خصبها وروعة نضرتها تعرف بالجنات³ .

وأسهب الشعراء في التفاخر بصفات غرناطة ومنتزهاتها فمما قيل فيها:

غرناطة مالها من نظير ما مصر مالشام بالعراق؟
ماهي إلا العروس تجلى وتلك من جملة الصداق⁴

ووردت إلى الأمير عبد الرحمن بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحي رسالة من الأديب الأندلسي أبو بحر صفوان بن إدريس تظهر فيها غرناطة تفاخرها على قرطبة بقولها: " لي المعقل الممتع والبطاح الواسعة والمياه المناسبة والنسيم البارد"⁵.

كما سلبت منتزهاتها عقول المعجبين والأدباء كمنتزه حور مؤمل⁶ الذي عد سيد منتزهات غرناطة وأجملها¹ نظرا لموقعه الجيد على ضفة نهر شنيل اليمنى² ،وفيه يقول يقول أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد:

¹ ليفي بروفنسال ،حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت، د.ت.ط، ص.ص.7،8.

² نفسه ،ص.25 .

³ عنان ،نهاية الأندلس ،ص.23.

⁴ المقرئ ،المصدر السابق ،مج1 ،ص.148 ؛ أرسلان ،الحلل السندسية ،ج1 ،ص.188 .

⁵ المقرئ ،المصدر السابق ،مج1 ،ص.172 ؛ أرسلان ،المرجع السابق ،ج1 ،ص.211 .

³ سمي بذلك نسبة إلى مؤمل ت492هـ/1098م خادم الملك باديس بن حبوس الصنهاجي تـ 465 هـ /1072م الذي زرع شجر الحور(أنظر: بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.117 ،ص.428 ؛ بن سعيد ،المصدر السابق،ج2 ،ص. (84).

والى الحور حنيني دائما وعلى شنيل دمعي صيب³ .

وبه كانت تلتقي حفصة بنت الحاج الراكوني الشاعرة بأبي جعفر بن مروان بن سعيد الذي أنشأ يقول:

رعى الله ليلا لم يرع بمزمع راعانا واراننا بحور مؤمل⁴ .

ومنها منتزه عين الدمع المتصلة بجبل الفخار⁵ العامر بالرياض والبساتين الذي لا مثيل له بسواها⁶ وفيه يقول بن الخطيب :

يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ للدمع جاد به عساك تعود

تسرى نواسمك اللدان بليلة فيهزني شوق إليك شديد⁷

وزاد الفقيه أبو القاسم بن قطبة على ذلك بقوله:

وليلا بعين الدمع وصلا قطعته وأنجمه بين النجوم سعود

ترى الحسن منشور اللواء بسره وظل الأمان في رباه مديد⁸

وكذلك منتزه نجد المطل على بسيط غرناطة¹ والذي يقول فيه أبو جعفر بن أبي

مروان بن سعيد:

¹ المقرئ ،المصدر السابق ،مج1، ص. 475.

² Torres balbàs : contornos de las ciudades hispano musulmanas, calpe edicióne, Madrid ,1996. p.476.

³ المقرئ ،المصدر السابق ،مج2، ص.282.

⁴ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.491؛ بن حزم و آخران ،المصدر السابق ،ص.56.

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص. 122 .

⁶ بن بطوطة ،المصدر السابق ،ص.679 ، 680 ؛ المقرئ ،المصدر السابق ،مج 1 ،ص.176 .

⁷ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.122 .

⁸ نفسه ،مج1 ،ص.123 .

وقد نفحت من نحو نجد أريجة

إذا نفحت هبت بريح القرنفل²

وأورد المقرئ بدوره شعر محمد بن غالب الرصافي و محمد بن عبد الرحمن
الكتندي الذي أرسله إلى أبو جعفر المذكور آنفا:

بعثنا إلى رب السماحة و المجد

ومن ماله في ملة الظرف من ند

ليسعدنا عند الصبيحة في غد

لنسعى إلى الحور المؤمل أو نجد³

ويضاف إلى تلك المتنزهات متنزه السبيكة الذي أنشد فيه أبو جعفر الإلبيري مودعا
غرناطة بقوله :

ولما وقفنا للوداع وقد بدت

قباب بنجد قد علت ذلك الوادي

نظرت فألفيت السبيكة فضة

لحسن بياض الزهر في ذلك النادي⁴

وزاد عبد الله بن زمرك ت 793هـ / 1394 م على ذلك بقوله:

يا من يحن إلى نجد و ناديها

غرناطة قد ثوت نجد بواديها

قف بالسبيكة و انظر ما بساحتها

عقيلة و الكثيب الفرد جاليها⁵

كما نوه الأوروبيون بالمكانة التي وصلت إليها غرناطة كخيرها من إمارات الأندلس
في العصور الوسطى من تطور كبير فاق بكثير ممالك أوروبية في شتى المجالات ؛من
ذلك ما قاله المؤرخ الفرنسي فيكتور دروي: " ... بينما أهل أوروبا تائهون في دجى
الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوي من جانب الأمة الإسلامية
من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال وغير ذلك ،حيث كانت مدن فاس وغرناطة

¹ بن سعيد ،المصدر السابق ، ج 2 ،ص.85.

² بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص. 491 ؛ بن حزم وآخران ،المصدر السابق ،ص. 56

³ المقرئ ،المصدر السابق ،مج 3 ،ص. 513 .

⁴ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 2 ،ص. 678 .

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 7 ،ص. 171 .

وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الأمم واغتم منها أهل أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا علمية ...¹.

وزاد على ذلك المستشرق الإسباني الشهير غونزالز بالنثيا بقوله: "أن بداية من منتصف القرن الخامس هجري - الثاني عشر ميلادي انحصرت دولة الإسلام بإسبانيا مقتصرة على مملكة غرناطة التي شهدت الثقافة بها مستو راقيا امتد إلى غاية القرن الثامن هجري- الخامس عشر ميلادي، رغم قلة استطاعة هذه الدولة في توفير الظروف الملائمة لها ولأصحابها².

والنظرة نفسها نجدها عند المؤرخ خوليان ريبيرا: " من الصعب أن نجد فترة من التاريخ الإسباني تألق فيها مثل هذا العدد من عباقرة عظام من هذا الطراز مفكرين وشعراء وأهل أدب ورجال علم قابله تفكك سياسي لم يكن من قبل على هذه الحالة...وفي ذلك العصر وصل الإسبان الجنوبيون إلى أعلى درجات الإزدهار الأدبي"³.

(5) ما قيل في غرناطة:

قول أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان:

أحن إلى غرناطة كلما هفت نسيم الصبا تهدى الجوى وتشوق

سقى الله من غرناطة كل منهل بمنهل سحب مأوّهن هريق

¹ فكتور دروي، تاريخ القرون الوسطى منذ سقوط الإمبراطورية الغربية إلى وسط القرن الخامس عشر، نقلًا عن خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد وتحقيق: المنصف الشنوفي، ط2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2000م، مج1، ص. 122.

² Angel Gonzalez Palencia : historia de la literatura ara bigo-Espanola, colleccion Labor n = 164-165,edicion, Barcelona, 1928,p.27.

³ Julian Ribera y tarrago, la ensenanza entre los musulmanes espanoles ,(discurso universidade Zaragoza ,1893-1894) .pp .23,24.

ديار يدور الحسن بين خيامها وأرض لها قلب الشجي مشوق
أغرناطة العليا بالله خبري أللهائم الباكي إليك طريق
وما شاقني إلا نظارة منظر وبهجة واه للعيون تروق
تأمل إذا أملت حور مؤمل ومد من الحمراء عليك شقيق
وأعلام نجد و السبيكة قد علت وللشفق الأعلى تلوح بروق¹.
وقال بن جبير ت 1217/614م صاحب الرحلة المشهورة باسمه:

يا دمشق الغرب هاتي ك لقد زدت عليها
تحتك الأنهار تجري وهي تتصب إليها².

وقال الشيخ أبو بكر بن محمد بن شبرين السبتى:

رعى الله من غرناطة متبوا يسر حزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالتلج عدن جليدا
هو الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر ما يعود برودا³.

كما ظلت غرناطة عالقة بأذهان أبنائها يتغنون بها حيثما نزلوا ويتباهون بمعالمها
ومناظرها من ذلك قول إبراهيم بن الحاج النميري:

أقول وحمراء غرناطة تشوق النفوس وتسبي المهج
ألا ليت شعري بطول السرى أرتنا الوجى واشتكت العرج
وما لي في عرج رغبة ولكن لأقرع باب الفرج¹.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص ص. 117، 118.

² نقلا عن المقرئ، المصدر السابق، مج 2، ص. 392.

³ شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج 1، ص. 215.

وقال أبو عبد الله محمد بن جابر الهواري الضرير:

دامت على الحمراء حمر مدامعي والقلب فيما بين ذلك ذائب

طال المدى بي عنهم و لربما قد عاد من بعد الإطالة غائب²

وقد شهدت غرناطة على عهد بني زيري عمراننا واسعا كان يزيد كلما كثر عدد السكان بها ،برز في ما صار يعرف بالأرباض التي فاقت العشرة أهمها:

1/ ربض البيازين: ويعرف بالاسبانية بـ ALBAICIN ذكر بن الخطيب أن موقعه كان في قلب مدينة غرناطة³ عكس العمري الذي حدده بناحية الدفاف أي شرقي غرناطة واصفا إياه بكثرة العمارة والجيش حيث كان يخرج منه نحو خمسة عشر ألف مقاتل زيادة على استقلاله بحكامه وقضائه⁴ ،غير أن المقرئ لم يزد على قوله أن ربض البيازين من مدينة غرناطة⁵ .

كما أن محمد عبد الله عنان ذكر أنه يقع شمال شرقي غرناطة قبالة هضبة الحمراء⁶ إلى يمين نهر حرره الذي يفصل الربض عن المدينة⁷ ،وزاد أنه وجد بحي البيازين ثلاثة أبواب وهي باب البيازين وباب فحص اللوز وباب الزيادة بمساجدها الثلاثة ،مسجد المرابطين الذي حول بعد سقوط غرناطة إلى كنيسة سان خوسيه SAN Jose والمسجد الجامع الذي حول إلى كنيسة سان سالفادور san salvador ومسجد التائين حول بدوره إلى كنيسة خوان دي لوس ريس Juan de los reyes⁸ .

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1،ص.348.

² المقرئ ،المصدر السابق ،مج 4، ص. 393 ؛ عنان ،نهاية الأندلس ،ص. 466 .

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1،ص.459.

⁴ العمري ،المصدر السابق ،ص.230.

⁵ المقرئ ،المصدر السابق ،مج 4،ص. 517 .

⁶ عنان ،نهاية الأندلس ،ص.208 .

⁷ عنان ،الآثار الأندلسية ،ص.161 وما بعدها .

⁸ نفسه ،ص.ص. 168 ، 169

2/ ربض الفخارين: أشار إليه القلقشندي دون أن يتحدث عنه¹ غير أن عنان ذكر أنه يقع

جنوبي غرناطة وهو من الأرباض الثلاثة التي تقع في نصفها الجنوبي².

3/ ربض المرابطين: كان من الأرباض التي شغلت النصف الشمالي لمدينة غرناطة

كربض البيازين وربض البيضاء³.

4/ ربض الأجل: اشتهر هذا الربض بكثرة القصور والبساتين⁴.

5/ ربض البيضاء: عد هذا الربض من جملة أرباض النصف الشمالي لغرناطة⁵.

6/ ربض النجد: يقع خارج غرناطة ويتصل بجبل السبيكة⁶.

7/ ربض قمارش: هو أحد ثلاثة أرباض التي كانت تكون النصف الجنوبي لمدينة غرناطة⁷.

8/ الربض المعروف بغرناطة اليهود: يقال عنه أنه أصل مدينة غرناطة⁸.

الأوضاع السياسية:

شهدت غرناطة منذ أولى سنوات الفتح الإسلامي للأندلس إلى غاية سقوطها العديدة من الحوادث والاضطرابات¹؛ سببها التناحر والتنافس الشديدين الذين أملتتهما الظروف

¹ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 214.

² عنان، الآثار الأندلسية، ص. 162.

³ نفسه، ص. 162.

⁴ العمري، المصدر السابق، ص. 230.

⁵ عنان، الآثار الأندلسية، ص. 162.

⁶ بن بطوطة، المصدر السابق، ص. 681.

⁷ عنان، الآثار الأندلسية، ص. 162.

⁸ نفسه، ص. 162.

الظروف التي كانت تطرأ على الساحة السياسية بين الفينة والأخرى أبرزها أثار الفتنة التي شهدتها قرطبة سنة 399 هـ/1008 م ، فكان أن صارت من نصيب بربر صنهاجة بزعامه زاوي بن زيري² الذي لبث الحكم في ذريته إلى غاية عام 486 هـ/1093 م³ حيث استولى عليها المرابطون بزعامه يوسف بن تاشفين ت 500 هـ / 1106 م⁴ عام 483 هـ/1090 م⁵ على إثر عبورهم إلى الأندلس⁶ ، والذي نجم عنه سقوط حكم ملوك الطوائف نهائيا عام

493 هـ/1099 م⁷ ؛وبقوا هناك قرابة الستين عاما⁸ عرفت غرناطة قبلها وخلالها بدورها الكبير في الدفاع عن حوزة الإسلام في العديد من المناسبات لعل أبرزها مشاركتها لجيوش المرابطين في معركة الزلاقة عام 479 هـ/1086 م بالمال والرجال⁹ ،وفي محاصرة حصن لبيط عام 481 هـ/1088 م تحت إمرة صاحبها الأمير المظفر عبد الله بن بلقين¹⁰ ، واستعادة بلنسية من قبضة الأدفونش عام 487 هـ/1094 م¹

¹ أشار بن الخطيب إلى تلك الاضطرابات وآثارها على بلده غرناطة في العديد من المناسبات من ذلك أن الناس صلوا بها صلاة الخوف يوم عيد الأضحى سنة 518 هـ/1124 م بسبب تحرشات ألفونسو الأول ملك أراغون (1105 - 1134م) عليها (أنظر: الإحاطة ،مج1 ،ص. 108 وما بعدها).

² بن الخطيب ،أعمال الأعلام ،ص.ص 130 131 .

³ بن خلدون ،المصدر السابق ،ج6 ،ص. 187 .

⁴ الأمير عبد الله ،المصدر السابق ،ص. 181 وما بعدها، بن خلدون ،المصدر السابق ،ج6 ،ص. 187 ؛رجب محمد عبد الحليم ،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ،د.ط، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،د.ت.ط ،ص. 368 .

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج2 ،ص. 118 ؛حسن أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ،ط2 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1416 هـ / 1996 م ،ص. 236 .

⁶ يوسف أشباح ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان ،ط2 ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1417 هـ / 1996 م ،ص.ص 97،98 .

⁷ بن خلدون ،المصدر السابق ،ج6 ،ص. 188 .

⁸ حسين مؤنس ،موسوعة تاريخ الأندلس " فكر وحضارة وتراث ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،1416 هـ / 1996 م ،ص. 100 .

⁹ الأمير عبد الله ،المصدر السابق ،ص. 104 .

¹⁰ مجهول ،المصدر السابق ،ص.ص 68،69 .

، الأمر الذي جعل المرابطين يهتمون بها أيما اهتمام وأصدق دليل على ذلك ما أشار به يوسف بن تاشفين ت500هـ / 1106م في شروط تقديمه لولي عهده أبو الحسن علي بن يوسف 537هـ / 1142م بأن جعل بها حامية من ألف فارس دائم يسهرون على استتباب الأمن².

ليظهر بها الموحدون سنة 551 هـ / 1156 م³ بعد أن استولوا تباعا على أغلب قواعد الأندلس وثغوره⁴ كيف لا وهم من أطاحوا بدولة المرابطين سنة 541 / 1146 م⁵، بعد مواجهات عنيفة بينهما طيلة سبع أعوام في كل من تلمسان وفاس⁶ انتهت بسقوط العاصمة مراكش⁷ في السنة المذكورة سلفا⁸، حيث تولى إمارة غرناطة عدة ولالة منهم كآبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي⁹ وأبو عبد الله بن عبد المؤمن¹⁰.
غير أن اضطراب أحوال البلاد حيال وفاة الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف المستنصر بالله سنة 580 هـ / 1184 م¹ وذلك بظهور عدد من الثائرين على حكم الموحدين

¹ أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1983م، ص. 35.

² مجهول، المصدر السابق، ص. 80.

³ عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي: تنظيماتهم ونظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ / 1991م، ص. 64.

⁴ عنان، نهاية الأندلس، ص. 28.

⁵ بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص. 233.

⁶ محمد بن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ / 1999م، ص. 20.

⁷ أشار البيهقي مؤرخ دولة الموحدين أن مراكش بعد سقوطها على يد عبد المؤمن بن علي مكثت ثلاثة أيام لم يدخلها داخل ولم يخرجها خارج نظرا لامتناع الموحدين عن سكنها، تلاها فيما بعد ابتياع النساء وضم ما كان بها من حلي وسلاح إلى المخزن (أنظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيهقي، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، د. ط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص. 96، 97).

⁸ أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: الأستاذ أحمد الناصري، د. ط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001م، ج3، ص. 45 وما بعدها.

⁹ عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص. 85.

¹⁰ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 141.

الموحدين أمثال أبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب بمرسية² وأبو جميل بن مردنيش بلورقة³ بالإضافة إلى تزايد تكالب قوى النصرانية على البلاد فيما بعد أدى إلى ظهور شخصية قوية تتمثل في الأمير محمد بن يوسف بن هود الجذامي ت 1237/635م الذي خلع

طاعة الموحدين⁴ وبسط يده على العديد من قواعد البلاد⁵ من بينها غرناطة عام 1230/628م⁶.

وذلك بعد أن خاض معارك ضد الموحدين والنصارى تباعا⁷ مستغلا تحمس الأندلسيين للجهاد، وبحثهم عن استعادة ما ضاع كماردة سنة 627 هـ / 1229 والجزيرة الخضراء سنة 629 هـ / 1231م⁸ غير أن مصرعه على يد وزيره ونائبه على ألميرية أبو عبد الله محمد الرميمي سنة 635 هـ / 1237م⁹ جعل أمله تذهب أدراج الرياح¹⁰.

وفي تلك الأثناء كانت بقايا إمارات الأندلس تشهد فترات عصبية بسبب تحرشات قوى النصرانية عليها بقيادة كل من خايمي الأول ملك أراغون¹¹ وفرناندو الأول ملك

¹ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 269؛ بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص. 251.

² بن الخطيب، الإحاطة، ص. 274، 275.

³ البيهقي، المصدر السابق، ص. 129.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 141.

⁵ بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، د. ط، دار مارون عبود، بيروت، د. ط، ص. 117.

⁶ محمد عبد الله عنان، تراجم أندلسية؛ شرقية وأندلسية، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1947م، ص. 222.

⁷ القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص. 260.

⁸ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 260.

⁹ بن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط 1

دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1985م، ص. 341.

¹⁰ بن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص. 169؛ المقري، المصدر السابق، مج 2، ص. 582، 583.

¹¹ الأراغون منطقة في شمال شرقي إسبانيا عاصمتها سرقسطة، تمتعت باستقلال كمملكة حتى سنة 1469م حين تزوج فرديناند بايزابيل فاتحدت بذلك مع قشتالة ونشأت مملكة إسبانيا (أنظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، د. ط، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، د. ط، ج 1، ص. 295).

قشتالة¹ وما انجر عنه فيما بعد من سقوط كل من بلنسية سنة 636هـ / 1238 م² وقرطبة وشاطبة وإشبيلية مابين 636 — 645هـ / 1238 — 1247 م في يد الأراغونيين³، ومرسية سنة 642 هـ / 1244م في يد القشتاليين⁴، سطع في الأفق نجم أمير جديد حمل على عاتقه مهمة إعادة لم الشمل ما بقي من قواعد الأندلس الإسلامية⁵ ألا وهو الأمير الغالب الله محمد بن يوسف بن نصر الملقب بابن الأحمر⁶ تـ 671هـ / 1272 م⁷ الذي اتخذ من حصن أرجونة منطلقا لتحقيق طموحاته⁸ التي بدت مستحيلة لأول وهلة⁹؛ نظرا للتقهقر الكبير الذي خلفه النصاري على البلاد والعباد¹⁰.

كانت أولى خطوات مشروعه معارضته لابن هود في جنوب الأندلس، فانضمت على إثرها كل من جيان وشريش ومالقة تحت لوائه عام 630 هـ / 1232م¹¹، وآزرته في ذلك دعوته للأمير أبو زكريا يحيى الحفصي بافريقية¹²، الأمر الذي جعله يدخل في

¹ تعد قشتالة إحدى المملكتين الإشبانييتين القويتين رفقة الأراغون واللتيين ازدادتتا قوة بعد توحيدهما تحت لواء واحد، وتتكون بدورها من قسمين؛ قشتالة ليون وقشتالة لا مانشيا، وتعتبر لغتها مصدرا للأدب الإسباني إلى غاية اليوم (أنظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ/1999م، ج18، صص. 187، 188).

² عنان، تراجم إسلامية، ص. 258.

³ المقرري، نفح الطيب، مج4، 472.

⁴ عنان، نهاية الأندلس، ص. 90.

⁵ فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، ط11، دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002م، ص. 631.

⁶ توارث سلاطين غرناطة عن بعضهم البعض تسمية بن الأحمر نسبة إلى أحد أجدادهم وهو عقيل بن نصر لشقرة فيه، والتي تكرر ظهورها في أحفادهم كالسلطان محمد السادس الذي تسميه المصادر الإسبانية بالبرميخو Barmejo أي البرتقالي المائل إلى الحمرة (Mariana: historia General de España ,edicion la borna, Madrid ,1965. t2,p221).

⁷ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص. 22.

⁸ بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص. 36؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 260.

⁹ عنان، تراجم أندلسية، ص. 261.

محمد كمال شبانة، الأندلس؛ دراسة تاريخية حضارية، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص. 163.

¹¹ المقرري، المصدر السابق، مج1، ص. 427.

¹² القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص. 260.

صدام مع محمد بن هود انهزم فيه هذا الأخير بالقرب من إشبيلية¹ سنة 631هـ/1233م² واستولى بعدها على مدينة ألميرية³، تلاها دعوة غرناطة وأهلها لدخولها بعد انهيار سلطان بن هود بها ووفاته، فتحقق لهم ذلك في رمضان 635هـ/أفريل 1237⁴. واجه بن الأحمر خطرا كبيرا هدد استقرار سلطته مثلته مملكة قشتالة بزعامة فرناندو الثالث الذي زحف بقواته إلى غرناطة سنة 642هـ/1244م⁵ وتكرر ذلك لعدة مرات، الأمر الذي حدا به إلى مصانعته والانضواء تحت لوائه ربحا للوقت بغية توطيد دعائم إمارته الفتية وتقويتها⁶ لقلعة جيان كرهينة سنة 643هـ/1245م⁷ ودفعه لضريبة سنوية قدرها مائة ألف قطعة من الذهب، وأفساها مساعدته للنصارى في الاستيلاء على إشبيلية سنة 646هـ/1248م⁸.

وتكررت هذه الحالات مع ملوك قشتالة كلما زاد الخطب على هذه الإمارة الصغيرة كحوادث سنة 664هـ/1265م و 665هـ/1266م أين بلغ عدد المقاطعات والحصون المنتزعة قرابة مائة وخمسين؛ غير أن هذه السياسة⁹ الأليمة ساعدت بن الأحمر في أن

¹ إشبيلية هي إحدى مدن الأندلس الشهيرة التي فتحها المسلمون عام 93هـ/712م والتي زادت شهرتها على عهد أميرها المعتمد بن عباد الذي شيد بها القصور والحدائق وازدهرت بها العلوم إلى أن سقطت في يد فرناندو الثالث سنة 647 هـ/ 1248م (أنظر: مسعود الخوند، المرجع السابق، ج1، ص.296).

² المقرري، المصدر السابق، مج1، ص.427.

³ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص.286.

⁴ بن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص.342؛ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص.22.

⁵ w. Montgomery : a history of Islamic Spain (Edinburgh university, press , 1987). p.111

⁵

⁶ محمد عبد الله عنان، وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن وزارة المعارف العمومية المصرية، مدريد، 1373هـ/1954م، ع:1-2، مج2، ص.39.

⁷ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص.36.

⁸ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس: فكر وتاريخ وحضارة وتراث، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ، 1996م، ج2، ص.199.

⁹ عد المؤرخون سياسة ملوك غرناطة التي ساروا عليها في سبيل الحفاظ على مملكتهم بالماكرة والمرنة الماهرة في الوقت ذاته؛ فتارة يميلون إلى مصانعة قشتالة والأراغون وتارة ينحازون إلى دولة بني مرين بالمغرب وأحيانا أخرى يتقربون من مملكة الأراغون ضد القشتاليين، وهي الحالة التي وصفها الإسبان بسياسة اللعب بالثلاث وورقات juego

يلبث الحكم في عاقبيه من بعده لعقود مديدة¹، حفلت بالكثير من المآسي والمحن كمحاولات الانقلاب العديدة أشهرها ثورة أعيان الأندلس سنة 671هـ / 1272م والتي باءت بالفشل²، تلتها حركة أخرى بزعامة أسرة بني أشقيلولة سنة 689هـ / 1290م على عهد السلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت 702هـ / 1302م³ الذي استطاع القضاء على مناوئيه⁴، وآخرها التمرد الذي قام به الأمير إسماعيل بن الأحمر على السلطان أبو عبد الله محمد الغني بالله بن أبي الحجاج ت 793هـ / 1390م سنة 760هـ / 1358م والذي أسفر عن إبعاده عن بلده واستقراره بفاس⁵.

زيادة على ذلك برزت بغرناطة ظاهرة اغتيال الحكام بغرض الوصول إلى السلطة كما هو حال السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج النصري سنة 725هـ / 1324م⁶ وولي عهده السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي الوليد بن فرج سنة 734هـ / 1333م على يد بني أبي العلى بمالقة⁷.

غير أن أخطر الأحداث وأفدحها على الإطلاق ذلك الصراع الذي نشب بين الأميرين الغرناطيين عبد الله الزغل، وابن أخيه عبد الله الصغير بن علي بن سعد⁸ حول أحقية كليهما بحكم غرناطة التي صارت على مرأى العين من عدوتها التقليدية قشتالة التي كانت تتابع سير الحوادث وتنتهز الفرص للقضاء عليها نهائيا⁹، سواء عن طريق الدسائس

Miguel Angel ladero quesada, Granada historia de un pais (أنظر : de très Barajas islamico (1232-1571), Madrid, 1969, p.46).

¹ شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1423هـ / 2002م، ص.118.

² بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص.36؛ السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص.68.

³ بن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان وليفي بروفنسال، ج3، ص.415؛ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.377.

⁴ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص.291؛ بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص.440.

⁵ بن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، د.ط، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص.104.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.142.

⁷ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص.297، 298.

⁸ محمد كمال شبانة، المرجع السابق، ص.167.

⁹ أبو الحسن القلصادي، المصدر السابق، ص.18.

وإثارة النعرات¹ أو بالمواجهة المباشرة التي اتضحت معالمها ابتداء سنة 888هـ / 1483م 1483م، حيث وقع فيها أبو عبد الله الصغير أسيرا في يد فرناندو وإيزابيلا حتى 891هـ / 1486²، عقد معهما على إثرها معاهدة³ لمدة سنتين⁴، استغلها النصارى للحد للحد من طموحات عمه الزغل سلطان غرناطة الجديد الذي ردت نشوة انتصاراته في مألقة عام 888هـ / 1483م بصيصا من الأمل لدى أهل غرناطة⁵.

لكن تكرار الأخطاء وعدم الاستفادة منها وعلى رأسها التحالف مع الأعداء كان سببا رئيسا في تراجع بقايا رموز المقاومة بها، فسقطت ردة سنة 890هـ / 1485م⁶ ومألقة سنة 892هـ / 1486م⁷ والميرية سنة 893هـ / 1487م⁸ ومن بعدها وادي آش سنة 895هـ / 1489م⁹ فعبّر الزغل البحر رافضا للذل والمهانة ليستقر بتلمسان رفقة الكثير من الأعيان وذوي الشأن أين صار خلفه يعرفون بها ببني سلطان الأندلس¹⁰.

وجاءت ساعة الحسم التي أحس فيها أبو عبد الله الصغير بالخطوب والزايّا تنكب عليه بعد أن بقي وحيدا رفقة قلة من القادة شاركوه في آخر المحاولات اليايسة لرد الاعتبار، فعمد على استرجاع بعض الحصون والقرى المجاورة وآزره في ذلك أهل

¹ السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص.303.

² مجهول، كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1423هـ / 2002م، ص.12؛ عنان، نهاية الأندلس، ص.203.

³ نصت المعاهدة على الاعتراف بفرناندو وزوجته إيزابيلا ودخوله في طاعتها، ودفعه لإثنا عشر ألف دويلا من الذهب كضريبة سنوية لهما مع إطلاق سراح أربعمئة أسير نصراني من سجون غرناطة، إضافة إلى تسليم ولده رفقة عدد من الحاشية السلطانية في صورة رهائن كدليل على وفائه لقشتالة والتزامه ببنود المعاهدة (للإطلاع أكثر أنظر الدراسة القيمة التي قام بها عبد الحكيم ذنون، آفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1408هـ / 1988م، ص.53 وما بعدها).

⁴ عنان، تراجم أندلسية، ص.234.

⁵ مجهول، نبذة العصر، ص.11.

⁶ المقرري، المصدر السابق، مج4، ص.516.

⁷ السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص.306؛ عنان، نهاية الأندلس، ص.223.

⁸ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص.203.

⁹ عنان، نهاية الأندلس، ص.227.

¹⁰ المقرري، المصدر السابق، مج4، ص.524.

البشرات أواخر سنة 895هـ/1490م¹، قوي على إثرها عزم الغرناطيين بذلك النصر الظرفي الذي ما فتئ ينقلب إلى مأساة أليمة مقدمتها الحصار القوي الذي ضربه جيش قشتالة جنوب مدينة غرناطة في جمادى الثانية سنة 896هـ/ مارس 1491م²، فاشتد الجوع أهلها وتفشيت بينهم الأمراض لنقص المؤونة وانقطاع سبلها والتي زادت تعقدا بحلول الشتاء الذي غطى بالثلوج ما بقي من سهول وشعاب³، الأمر الذي أرغم عبد الله الصغير إلى تسليم المدينة بعد معاهدة تمت في صفر 897هـ/ ديسمبر 1491م⁴ ليدخلها ليدخلها فرناندو وإيزابيلا في 02 ربيع الأول 897هـ/ 02 جانفي 1492م⁵.

رحل بعدها الأمير الصغير رفقة حاشيته إلى فاس⁶ على عهد السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ بن زكريا الوطاسي بعد رسالة طويلة بعثها إليه على لسان كاتبه أبو عبد الله محمد بن عبد الله العقيلي عنونها ب "الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس"⁷ وبقي بها إلى أن وافته المنية سنة 924هـ/1518م⁸، لتتبعه الجموع الغفيرة التي عبرت بدورها إلى مراكش بعد إكراه محاكم التفتيش من بقي حيا من المسلمين على اعتناق النصرانية⁹.

الأوضاع الاجتماعية:

¹ مجهول، نبذة العصر، ص ص. 30، 31.

² نفسه، ص. 37.

³ السلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص. 304.

⁴ مجهول، نبذة العصر، ص ص. 40، 41.

⁵ المقرئ، المصدر السابق، مج 4، ص. 525.

⁶ مجهول، نبذة العصر، ص. 43.

⁷ المقرئ، المصدر السابق، مج 4، ص. 529 وما بعدها.

⁸ المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخران، د. ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/ 1939م، ج 1، ص. 68.

⁹ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 5، دار الملايين للعلم، بيروت، 1968م، ص. 344.

كانت غرناطة كغيرها من إمارات الأندلس تتكون بنيتها الاجتماعية من عناصر مختلفة من عرب وبربر ومولدون¹ ويهود ، فالعرب كان استقرارهم بها على عهد أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الذي صرف أعيان الشاميين إليها² ، والبربر الذين ارتبط ارتباط ظهورهم في الأندلس بعهد الفتوحات الإسلامية للبلاد³ وزاد توافدهم عليها بأعداد كبيرة أيام تجنيدهم من طرف المنصور محمد بن أبي عامر ، وكان أغلبهم من زناتة⁴ ؛ رغبة منه في تكوين جيش قوي يضم أجناس مختلفة لا تحركه صلاتها القبلية والأطماع الخفية⁵ ، لتبرز بها قوتهم في ما بعد بزعامة المنصور أبو مثنى زاوي بن زيري بن مناد ابنته تداء من عام 403هـ / 1012م⁶ على إثر الثورات التي عقبها موقعة الربض⁷ سنة 399 هـ / 1008م⁸ ، تلاهم بها بعد بربر صنهاجة الملتجئين بطلب من الأندلسيين

المقري ، **نفح الطيب** ، مج 1، ص. 138 وما بعدها؛ مصطفى الشكعة ، **الأدب الأندلسي** : موضوعاته وفنونه ، ط 7 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1992م ، ص. 21.

² بن الخطيب ، **الإحاطة** ، مج 1 ، ص. 102 .

³ حسين مؤنس ، **فجر الإسلام : دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية - 711 - 75 م** ، ط 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، 1405هـ / 1985م ، ص. 387 .

⁴ حسن أحمد محمود ، **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى** ، ط 2 ، دار الكتاب الحديث ، مصر ، 1416هـ / 1996م ، ص. 78.

⁵ الأمير عبد الله بن بلكين ، **مذكرات الأمير عبد الله والمعروف بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ، حرره : علي عمر ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1427هـ / 2006م ، ص. 31.

⁶ بن الخطيب ، **الإحاطة** ، مج 1 ، ص. 140.

⁷ يقصد بها تلك الفتنة التي قامت سنة 399هـ / 1008م عندما ثار أهل الربض الغربي بقرطبة على الخليفة الحكم بن هشام بغية تنحيته من سدة الحكم وذلك بدفع من الفقهاء أمثال يحيى بن يحيى الليثي وطالوت بن عبد الجبار المعافري وانتهت بتشريدهم عن بلدهم بعد أن خربت بيوتهم وهدمت مساجدهم (أنظر : عبد الواحد المراكشي ، **المصدر السابق** ، ص. 44 وما بعدها).

⁸ بن عذاري ، **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص. 263، 264.

الأندلسيين لرد عدوان النصارى عنهم سنة 479هـ / 1086م¹، ليتعزز وجودهم بها فيما بعد حيث مارسوا التجارة والصناعة في المدن والأقاليم².

أما المولدون فهم من الأصول الاسبانية الذين اعتنقوا الإسلام³ منذ الفتح وأصبح لهم نفوذ قوي فيما بعد⁴ كما هو حال أسرة بني قسي التي بسطت نفوذها على غرناطة خلال القرن الثالث الهجري وتبوأت أرقى المناصب⁵.

وكذلك اليهود⁶ الذين سكنوها قبل الفتح⁷ وتمتعوا فيها بعناية خاصة وتلقبوا في المناصب العليا⁸ كالوزارة التي تقلدها يوسف بن النغيلة تـ 459هـ/1066م لدى الأمير الغرناطي باديس بن حبوس الصنهاجي تـ 467هـ/1074م⁹ وكونوا بها ثروة كبيرة كبيرة جعلت المرابطين يفرضون عليهم ضرائب مضاعفة¹⁰ كانت سببا في حمل بعض العائلات الغنية إلى الهجرة عنها صوب إمارات الأندلس الأخرى كما هو حال عائلة بني عزرا التي انتهى بها المطاف بطليطلة¹¹.

¹ مجهول، الحلل الموشية ص. 38.

² عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - عصر الطوائف الثاني 510 - 546 هـ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408 هـ / 1988 م، ص. 261.

³ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العمارية، العصر الأول، القسم الثاني، ص. 463.

⁴ عنان، نهاية الأندلس، ص - ص. 70-72.

⁵ بيبير غيشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية حكم الموحدين: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة مصطفى الرقي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص. 976.

⁶ Clot (André): l'Espagne musulmane, (VII^e - XVe siècle), librairie académique, Perrin, paris, PP.236-238.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 101.

⁸ ذكر الأمير عبد الله بن بلكين في مذكراته أن اليهود كانوا يقومون بثورات في الكثير من المرات، وضرب بيهود مدينة أليسانة مثالا على ذلك (أنظر: كتاب التبيان، ص. 163 وما بعدها).

⁹ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 230، ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص. 265.

¹⁰ مجهول، الحلل الموشية، ص. 81.

¹¹ Fernandez: les juifs espagnols au moyen-âge, Gallimard, paris, 1983, P.77.

وغلب اللسان العربي على أهل مملكة غرناطة بحكم توافد الكثيرين عليها من أهالي الإمارات الأندلسية التي سقطت تباعا في أيادي النصارى¹؛ أغلبهم من البطون العربية العريقة كالأقرشيين والفهريين والحميريين والغساسنة والتميميين² مع انتشار العديد من الألفاظ المحلية التي تميل إلى الإسفاف السوقي وتعبّر عن الذوق الغرناطي الرفيع وبالخصوص التتكيث³، ناهيك عن التكلم باللسان البربري حتى عند الطبقة الحاكمة لما تكون الأمور بالغة الأهمية مثاله ما دار بين وزير سماجة خليفة الأمير عبد الله بن بلقين وخدمه⁴.

كما امتاز سكانها بوسامة الوجوه⁵ واعتدال القدود ناهيك عن جمال المظهر نظرا لاعتنائهم بأناقة الملبس ونظافته على عادة أهل الأندلس⁶ ذو الجودة العالية والمتنوعة بتنوع مفصول العام يغلب عليه ملف المصبوغ شتاء مع تفاضل أجناس أخرى كالكتان والقطن والحريز⁷. ويلحظ عليهم ترك العمائم والتي انحصر لبسها على شيوخهم وعلمائهم وعلمائهم فقط⁸ فلا يكاد يرى فيهم قاضيا ولا فقيها إلا وهو بعمامته⁹.

أما الغرناطيات فقد وصفهن بن الخطيب بأنهن حريم جميل موصوف بالحسن امتزن بنبل الكلام و حسن المحاورة¹⁰ غير أنه أعاب عليهن إسرافهن في استعمال الزينة و

¹ عنان، نهاية الأندلس، ص. 73.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 135.

³ بن الخطيب، مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق وتقديم عبد المجيد التركي، د. ط، المؤسسة الوطنية لفنون المطبعة، الجزائر، 1983م، ص. 68.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 283.

⁵ المراكشي، المصدر السابق، ص. 13.

⁶ المقرئ، نفح الطيب، مج 1، ص. 223.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 134، 135.

⁸ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 136؛ اللوحة البدرية، ص. 39.

⁹ المقرئ، نفح الطيب، مج 1، ص. 222.

¹⁰ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 139؛ اللوحة البدرية، ص. 41.

الغطور والمبالغة في وضع الحلي المؤدية إلى التبرج و السفور¹، وكن في بعض الأحيان الأحيان يحضرن الحفلات التي كانت تقام بغرناطة ويختلطن بالرجال²، وهذه المظاهر كثر حدوثها في المجتمع الأندلسي عموما بعد أن ساءت أحوال أهله وانحطت أخلاقهم³ لاسيما في

عصر الطوائف وأمراءه⁴ الذين تفننوا في التسابق نحو مجالس اللهو والطرب⁵ كما هو شأن محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي الذي يصفه ابن الخطيب بأنه انهك في حب القيان والزممر والرقص⁶، هذه الأحوال وما نجم عنها من علاقات محرمة جعلت الفقهاء يتذمرون منها⁷.

كما تفشت ظاهرة سماع الغناء في أوساط المجتمع الغرناطي⁸ وذلك بظهور عديد المغنيين كما هو حال أبو الحسين بن الحمارة¹ حيث انتشر السفور بين العامة وحفلات

¹ نفسه، مج 1، ص. 139.

² أشار ابن الخطيب إلى ذلك في عدة مناسبات من ذلك قوله : "...واختلط النساء بالرجال والتقي أرباب الحجابيات الرجال فلم تفرق بين السلاح و العيون الملاح (أنظر: ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل)، نشر وتح: أحمد مختار العبادي، د.ط، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر، 1958م، ص.50).

³ بن عبدون الاشبيلي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص.60 ؛ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص. 266.

⁴ A.R mykl : hispano- Arabic poetry and its relations with the old provençal

⁴ troubadours, Baltimore 1946.p. 72 .

⁵ محمد ليبب البتوني، رحلة الأندلس، ط2، مطبعة شركة المساهمة المصرية، مصر، د.ت. ط، ص.146.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.123.

⁷ بن حزم الأندلسي وآخرا، المصدر السابق، ص. 13 ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص.83.

⁸ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص. 282 ؛ اللوحة البدرية، ص.40.

مجالس الكبراء بآلات اللهو وشرب الخمر² رغم جهود البعض من ذوي الشأن في الحد من تلك المظاهر وهو ما أشار إليه بن الخطيب عند حديثه عن السلطان الغرناطي إسماعيل بن فرج بن إسماعيل الأنصاري ت 725هـ / 1324م أنه منع المغنيات من حضور ولائم الرجال مع إراقته للمسكرات³ ، وكذلك تضايق السلطان الغرناطي محمد الفقيه من سلوك كاتبه محمد بن محمد بن عابد الأنصاري ت 690هـ / 1291م نظرا لانهماكه في معاقرة الخمرة⁴ .

غير أن ذلك لم يمنعهم من أن يتسابقوا في جلب القينات والجواري من كل حذب وصوب و اللائي صار لهن فيما بعد دورا فعالا ودخلا مباشرا في تسيير شؤون الحكم ، وكان الانحطاط الخلقي الذي أخذت بوادره تتفشى في غرناطة وغيرها من إمارات الأندلس إلى جانب تقاذف أمواج الخطر الصليبي عليها سببا في تدخل المرابطين فيها وإسقاطهم لملوكها الذين وصف حالهم القائد المرابطي يوسف بن تاشفين : "إنما همة أحدهم كأسا يشربها و قينة تسمعه ولهو يقطع به أيامه"⁵ .

ولنا في ثرية أو إيزابيلا حظية السلطان الغرناطي أبو الحسن علي بن سعد الملقب بالغالب بالله⁶ أصدق دليل على ذلك ، وهي أحوال تكرر حدوثها من قبل أشهرها ما كان

¹ المقرئ ، نفح الطيب ، مج 4 ، ص 140 .

² عرفت صناعة الخمر انتشارا لها في كثير من المدن الأندلسية لعل أشهرها إشبيلية ؛ حيث كانت تصنع سرا بسبب فتاوى الفقهاء على وجوب إقامة الحد عاصريها وبائعها للمسلمين (أنظر : بن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 93 ، 94) .

³ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج 1 ، ص 388 .

⁴ نفسه ، مج 2 ، ص 281 .

⁵ المراكشي ، المصدر السابق ، ص 143 .

⁶ بن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 6 . ، المقرئ ، نفح الطيب ، مج 4 ، ص 514 .

مع صبح البشكنسية حظية الأمير الحكم المستنصر القرطبي ت366/976م¹، واعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد ت488/1095م بإشبيلية².

وكان لجمال مقاطعات غرناطة وغناها بمتطلبات الحياة من طيب هواء ونقاوة ماء ومحراث طيب أن جعلها سلاطين بني الأحمر منتزها لهم يقضون فيه أوقات الراحة ويستقبلون فيها من يرون فيه أهلا للتوقير من ذوي الوجاهة والشأن؛ من ذلك إقطاع السلطان محمد الغني بالله ت793/1390م قرية البيرة للمؤرخ الشهير عبد الرحمن بن خلدون ت808/1406م مكافأة له على إتمام سفارة عقد الصلح بين غرناطة وملك قشتالة دون بطرة بن الهنشة بن أدافونش عام 765/1363م³.

ويصف بن بطوطة ما كان بها من بساتين كثيفة ومنتزهات رائعة الأمر الذي جعله ينعثها بعروس الأندلس⁴.

وعرفت أيضا بقصورها الفخمة أشهرها قصر باديس بن حبوس الصنهاجي⁵ الذي قال عنه المقري "أنه ليس ببلاد الأندلس و الكفر مثله فيما قيل"⁶، وعنه قال بن الخطيب في إحدى قصائده :

عسى خطرة بالركب بأحادي العيس على الهضبة الشماء من قصر باديس

لنظفر من ذاك الزلال بعلة وننعم في تلك الظلال بتعريس¹

¹ المراكشي، المصدر السابق، ص. 38، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيرة، حققه وعلق حواشيه: د.حسن مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1، ص.204.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.110؛ المقري، نفح الطيب، مج4، ص.272.

³ بن خلدون، رحلة بن خلدون شرقا وغربا 1352 - 1401 هـ، عارضها بأصولها وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط1، دارالسويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2003م، ص. 124.

⁴ بن بطوطة، المصدر السابق، ص ص. 187، 188؛ عنان، نهاية الأندلس، ص. 134.

⁵ بن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص.343.

⁶ المقري، نفح الطيب، مج1، ص. 196.

يليه في الفخامة قصر قلعة الحمراء الذي اتخذهُ السلطان الغرناطي محمد بن الأحمر
ت 671/1272م مركزاً لحكمه وزاد فيه العديد من الأبراج المنيعة².

والشأن نفسه مع قصر القصبة العليا الذي أعجب بجمال عمرانه الأمير المرابطي
يوسف بن تاشفين ت 500/1106م عام 483/1090م حيث أمر بالحفاظ عليه وذلك
بعد أن طاف بأرجائه³.

كما أنه من علامات الحياة الهنيئة بغرناطة أنها كانت حافلة بالأسواق أشهرها سوق
العطارين⁴ الذي كانت تشرف عليه عائلة عبد الله بن علي القيسي العرادي⁵ والسوق الذي
اختص بأواني المنزل وعرف بسوق الأطباق⁶ وسوق الغزل⁷ كانت هذه الأسواق في
مجملها تشهد حركة تجارية نشيطة في معاملات البيع و الشراء يقصدها الكبير و الصغير
الغني و الفقير على حد سواء⁸.

زيادة على انتشار الحمامات بنوعيتها العامة في الدور والخاصة في البيوت والتي
توحي بعناية الغرناطيين بالنظافة من ذلك حمام الجامع الأعظم الذي بناه أبو محمد عبد
الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري ت 518/1124م⁹، وهي عادة أثرت
عند أهل الأندلس بلغت درجة أن يفضل الواحد منهم أن يطوي يومه صائماً ليبتاع صابوناً
يغتسل به على أن يرى بين الناس بمظهر غير لائق¹⁰، هذه السمة نال منها الغرناطيون

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 486.

² عنان، الآثار الأندلسية، ص. 189، 190.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 353.

⁴ الفلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص. 114.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 286.

⁶ الفلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص. 119.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 325.

⁸ بن الخطيب، مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، ص. 69.

⁹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 52.

¹⁰ المقرئ، نفح الطيب، مج 1، ص. 223.

حظهم ؛ذلك أنهم كانوا يرون أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة¹.

وتشكلت في المجتمع الغرناطي طبقة أرستقراطية على مر السنين اعتبرت نتاجا لتطور كبير وراقي اجتماعي مزدهر من ذلك ما ذكره بن الخطيب نقلا عن المؤرخ القرطبي الشهير أبو مروان بن حيان ت 1076/469م أنه كان يجتمع بباب مسجدھا الجامع بالبيرة خمسون حكمة² كلها من فضة لكثرة الأشراف بها³.

زيادة على أنها عدت في العديد من السنين قبلة لمن تعرضت بلاده للأزمات كقدوم أحمد بن عبد الله بن محمد بن عرفة عليها في رفقة من قومه سنة 705هـ / 1305 بعد أن نزل بهم البلاء والغلاء⁴ ،والأمر نفسه مع قاضي إشبيلية أبو بكر محمد بن فتح بن علي الأنصاري الشهير بالإشبيريون ت 698هـ / 1298م الذي لجأ إلى حاضرتها بعد سقوط بلده في يد القشتاليين أين عين محتسبا وصاحباً للشرطة مع تقديمه قاضيا بها طيلة ثلاثين عاما⁵.

ولعل الحدث الاجتماعي الهام الذي شهدته غرناطة طيلة تاريخها هو وباء الطاعون الذي حل بها سنة 749هـ / 1348م حيث أدى بحياة عشرات الآلاف من أبنائها وعلمائها كالقاضي أبو القاسم محمد بن محمد بن عبد الحكيم اللخمي ت 749هـ / 1348م⁶.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص.135.

² الحكمة حديدة توضع في فم الدابة أو حنكها لترويضها ومنعها من مخالفة راکبها (أنظر: بن منظور ،لسان العرب ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1374هـ / 1955م ،مج 12 ،ص ص.143،144).

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص.92.

⁴ نفسه ،مج 1 ،ص.279.

⁵ نفسه ،مج 2 ،ص.138.

⁶ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 2 ،ص.266.

كما كانت أعمالها تشهد في بعض الفترات ما يشبه المجاعات وهو ما أشار إليه بن الخطيب في رحلته رفقة السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف ت 755/1354م لتفقد البلاد الشرقية منها حيث ذكر أن أهل قنتورية من أعمال ألميرية قدموا للسلطان و حاشيته أعز ما كانوا يملكون في ذلك الوقت هدية تمثلت في دجاجة جاءوا بها يزفونها كالعروس فوق الرؤوس¹.

الأوضاع الاقتصادية:

نعمت غرناطة بانتعاش اقتصادي كبير نظرا لما توفرت عليه من الأراضي الخصبة وما احتوت عليه من معادن مختلفة؛ فعن الأولى ذكر بن الخطيب أنها كانت أكثر إنتاجا للقمح والشعير حيث وصفها بأنها بحر من بحور الحنطة² والطعام³ مع أنواع الفواكه المختلفة⁴ كالتين⁵ والتفاح الجلياني⁶ والعنب المالقي الذي كان يباع منه ستة أرطال بدرهم صغير⁷، إضافة إلى الجوز والقسطل⁸، واللوز والزبيب⁹.

¹ بن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص. 37.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 96.

³ بن الخطيب، مشاهدات، ص. 31.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 109؛ مجهول، الحلل الموشية، ص. 91.

⁵ الإدريسي، المصدر السابق، 204؛ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص. 40.

⁶ المقرئ، نفح الطيب، مج 1، ص. 149 وما بعدها.

⁷ بن بطوطة، المصدر السابق، ص. 669.

⁸ الزهري، المصدر السابق، ص. 94.

⁹ العمري، المصدر السابق، ص. 234.

وأدت كثرة الأنهار بها¹ والمقدرة بخمسة وعشرون نهرا² دورا هاما في أن تفوق حقولها أربعين ميلا³ وأصلها نهري شنيل وحدره بحيث كانت تمر بين البساتين والمزارع⁴ وكذلك في توفرها على ما يزيد عن مائة وثلاثين طاحونة تعمل بالماء⁵.

أما عن المعادن فقد اشتملت على الذهب الأحمر الغالي الثمن مقارنة بمدن الأندلس الأخرى⁶ والفضة والرصاص والحديد⁷، منها ما استعمل في صك العملة وصناعة الحلبي الحلبي ومنها ما كانت تصنع منه الأسلحة وأدوات الفلاحة⁸.

كما اشتهرت أيضا بصناعة الحرير⁹ الذي كانت تصدر منه كميات كبيرة¹⁰ والفخار والفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في بلد¹¹.

وذكر بن الخطيب أن مداخل غرناطة السنوية الزراعية والصناعية كانت تفوق خمسمائة وستون ألف دينار¹² كما أنه كان لوقوع مدنها على البحر المتوسط أن تعددت بها أنواع الأسماك والحيتان التي شكلت مصدر رزق وكسب لممتهني حرفة الصيد مع وفرة غذاء أساسي لأهل المملكة في الآن ذاته ولعل أشهر نقاط هذا النشاط الصناعي

¹ مجهول، الحلل الموشية، ص. 91.

² الزهري، المصدر السابق، ص. 94.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 99.

⁴ القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص. 215، 216.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 133.

⁶ الزهري، المصدر السابق، ص. 95، 96.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 98.

⁸ نفسه، مج 1، ص. 137، 138.

⁹ القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص. 217.

¹⁰ أبو الحسن القلصادي، المصدر السابق، ص. 17، 18.

¹¹ القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص. 219؛ العمري، المصدر السابق، ص. 234.

¹² بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 133.

التجاري مدينة مالقة التي عرفت بتصنيع الأسماك المملحة، ناهيك عن صناعة السفن الحربية التي كانت ألمرية تحوي على دار لها كونها أول مراسي بلاد الأندلس الإسلامية التي تنطلق منها الحملات العسكرية لقتال النصارى¹.

¹ العمري، المصدر السابق، ص ص. 232، 233.

الفصل الأول

- التعريف بابن الخطيب ومؤلفاته

- دراسة لكتاب الإحاطة

التعريف بابن الخطيب:

1/مولده ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني¹ نسبه إلى موضع سلمان باليمن² الذي تنسب إليه بعض البطون القحطانية³ وأصل بيتهم من اليمنية

¹ أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دار الثقافة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1967م، ص. 58، بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط، ج6، ص. 244.

² المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.22.

³ أورد بن الخطيب أربع وعشرون بيتا من قصيدة طويلة يفتخر فيها بأصوله المشرقية (أنظر: الإحاطة مج4، ص. 490، 491).

الذين وفدوا إلى الأندلس على عهد الفتح الإسلامي و استقروا بقرطبة¹ وعندما قامت موقعة الربرض الشهيرة كانت أسرته ممن غادرها رفقة الكثير من أسر الفقهاء، فاستقر بها المقام بطليطلة² حيث لبثت بها قرابة قرنين من الزمن³ ومنها إلى مدينة لوشة على إثر تعرضها لأطماع النصارى وحالة اللا استقرار التي باتت تشهدها، فكان مولده بها عام 713هـ / 1313م⁴، وسمي بلسان الدين وهو أحد الألقاب المشرقية⁵.

ويورد بن الخطيب البعض من الألقاب التي كان أجداده يعرفون بها قديما كبيت بني

الوزير⁶ وحديثا بيني الخطيب⁷ نسبة إلى جده سعيد⁸ الذي كان يلقي دروس العلم ويعظ
ويعظ

الناس بأحد الأبراج الواقعة على الطريق الرابط بين غرناطة و إشبيلية⁹.

وظاهرة التسميات المتعددة نجدها تتكرر في شخصية لسان الدين نفسه لاعتبارات مختلفة لها علاقة وطيدة بمسيرة حياته؛ منها تعدد المسؤوليات التي أوكلت إليه وتعرضه

¹ أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج1، ص.308.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.386.

³ كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص.335.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.10.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص.439؛ المقرئ، أزهار الرياض، ج1، ص.186.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.386؛ المقرئ، أزهار الرياض، ج1، ص.186.

⁷ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، د.ط، دار الجليل، بيروت، 1414هـ/1993م، ج3، ص.469.

⁸ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.8.

⁹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.387؛ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.10.

للمحن بسبب حنق خصومه وأعدائه عليه نظرا لمكانته السلطانية والعلمية التي حسدوه عليها إضافة إلى ثرائه الذي اشتهر به¹.

ولعل أشهر الألقاب التي عرف بها لقب "ذو الوزارتين"² ويقصد به وزارتي القلم والسيف اللتين قلده إياهما السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج بن أبي الوليد بن نصر عام 1362/763 م³، يليها لقب "ذو الحياتين" أو "ذو العمرين"⁴؛ كونه أصيب في أواخر سنين حياته بداء الأرق وهذا ما أشار إليه بقوله: "العجب مني مع تألّفي لهذا الكتاب - الوصول إلى حفظ الصحة من الفصول - الذي لم يألّف مثله في الطب، ومع ذلك لا أقدر على داء الأرق الذي بي"⁵.

وقد استغل لسان الدين هذه الحالة التي ألمت به في الكتابة وفي تسجيل ملاحظاته على الأحداث التي كانت تشهدها الأندلس عامة جسدها في مؤلفاته العديدة التي سيأتي ذكرها لاحقا⁶.

ويلقبه الأمير أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بنزِيل فاس المقتول بها أدركته وخاطبته وخاطبني⁷، كما أورد له المقرئ تسميات أخرى ذكر أنه سمع الناس بالمغرب يتناقلونها

¹ بن الخطيب، نفسه، مج4، صص. 343، 344.

² لم يكن بن الخطيب أول من لقب بهذه التسمية بل سبقه إليها بعض نبهاء غرناطة كابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الرحمن بن محمد بن الحكيم اللخمي ت1308/708م الذي قلده إياها السلطان الغرناطي أبو عبد الله المخلوع (أنظر:

الإحاطة، مج2، صص. 444، 445).

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص. 452.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص. 80.

⁵ بن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق د: محمد الشريف قاهر، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973م، ص. 54؛ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص. 80.

⁶ أنظر: ص - ص. 64-70.

⁷ بن الأحمر، المصدر السابق، ص. 58.

كذي الميتمتين وذو القبرين¹ نسبة لما وقع له عند موته من مآسي ومحن ارتكبت في حقه عجب الناس منها².

نشأته العلمية:

أخذ بن الخطيب منذ نعومة أظافره في طلب العلم فتلقاه عن شيوخ كثر بحكم أن مملكة غرناطة صارت ملتقى لزخم هائل من أصحاب العلوم بمختلف فروعها ،ناهيك عن كونه من عائلة لها صيت ذائع في حقل المعرفة³ وشؤون السياسة ،ذلك ما ساعده على صقل مواهبه التي ما فتئت تزداد تدفقا بمرور السنين⁴.

ولعل من أبرز الذين تتلمذ على أيديهم الأستاذ أبو عبد الله بن عبد الولي العواد⁵

،الذي أخذ عنه القرآن كتابة وحفظا، وظبط قراءته على الشيخ أبي الحسن القيطاجي⁷،ولازم الشيخ أبو عبد الله بن الفخار الإلبيري بغية تحصيل علوم الفقه والتفسير نظرا لما عرف عنه من إمامة عالية في هذا الباب⁸ ،ودرس الأدب على شيخه الرئيس صاحب القلم الأعلى أبو الحسن بن الجياب ت⁷⁴⁹/هـ¹³⁴⁸م⁹، ولم يدع لسان الدين ضربا من ضروب العلم إلا خاضه أو بابا من أبواب العلماء إلا طرقه ،فحتى الطب وصناعة التعديل

¹ المقرئ ،نفح الطيب ،مج5 ،ص.80.

² بن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص.709.

³ بن القاضي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص.308.

⁴ أشار بن الخطيب إلى ما بلغته مكانة جده سعيد بن عبد الله ت⁶⁸³/هـ¹²⁸⁴م لدى السلطان الغرناطي محمد الثاني ت⁷⁰¹/هـ¹³⁰²م بقوله: "فنبه القدر وانفسحت الخطوة ، وانتاب البيت الرؤساء والقرابة . (أنظر : الإحاطة ،مج4 ،ص.441).

⁵ أحمد بابا التنبكتي ،نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ،إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة ،ط1 ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،1398/هـ¹⁹⁸⁹م ،ص.445.

⁶ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص ص 457 ، 458 ؛ المقرئ ،نفح الطيب ،مج5 ،ص ص.383،384.

⁷ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص 104 ؛ المقرئ ،نفح الطيب،مج5 ،ص.507.

⁸ المقرئ ،نفح الطيب ،مج5 ،ص.355.

⁹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص.458.

كان له حظ وافر منهما حيث يقول أنه أخذهما عن شيخ عصره الإمام أبي زكريا بن هذيل¹.

ومما زاد في علو شأنه التحاقه بديوان الإنشاء لدى دولة بني نصر على عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل على إثر وفاة أبيه عبد الله بن سعيد في موقعة طريف²؛ الذي؛ الذي كان يشغل منصب الإشراف على مخازن الطعام بالقصر الغرناطي لدى السلطان أبو الوليد إسماعيل النصري (713-725هـ/1314-1325م)³، فأبان عن براعة كبيرة في النظم والنثر إلى جانب تدبير الرسائل السلطانية ودليله في ذلك كله شيخه أبو الحسن بن الجياب ت749هـ/1348م الأمر الذي أهله لرئاسة الديوان بعد وفاته⁴، وفي هذا الصدد الصدد يشير إلى أن معلمه قد استمر إلى آخر عمره رئيسا للجماعة التي قلما اجتمع مثلها⁵.

لقد أصبح بن الخطيب في ظرف وجيز آمرا ناهيا ذا سلطة واسعة اكتملت معالمها باعتلائه الوزارة لدى السلطان أبو الحجاج يوسف ت755هـ/1354م وهو لا يزال في ريعان شبابه؛ وفي ذلك يقول: "قلدني السلطان كتابة سره ولما يجتمع الشباب ويستكمل السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة"⁶، وجامعا بين خدمة القلم ولقب الوزارة⁷، كما قوى

¹ نفسه، مج4، ص.459.

² يقصد بها المعركة التي انهزم فيها جيش أبو الحسن المريني وإسماعيل بن الأحمر الغرناطي المشترك المتكون من نحو ستين ألف ضد جيوش النصاري بثغر مدينة طريف، حيث كان وقعها قويا على مسلمي المغرب والأندلس (أنظر: المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.ص.14، 15).

³ بن خلدون، العبر، ج7، ص.261.

⁴ بن الخطيب، ديوان الصيب و الجهام، ص. 55؛ بن حجر، المصدر السابق، ج1، ص.130.

⁵ بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص. 91.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص. 443.

⁷ نفسه، مج2، ص.17.

قوى نفوذه منشوره السلطاني الذي جاء فيه قوله: " وأطلقنا يده على كل ما جعل الله لنا النظر فيه"¹.

ولقد زاد من مكانة بن الخطيب في دولة بني نصر أنه صار ساعدها القوي وأمينها الوفي الذي تحتمي به في أوقات الشدائد والمحن؛ نظرا لشخصيته القوية وبصيرته النافذة بما يدور حوله من أوضاع زمانه، وهذا ما أشار إليه بقوله: "واستعملني السلطان في السفارة إلى الملوك واستتابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه وأتتمني على صنوان ذخيرته وبيت ماله"²، وذلك ما أكده بن خلدون بقوله "وانفرد بن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت إليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته"³.

كانت أولى حركاته التي رفعت من شأنه لدى أهل غرناطة السفارة التي قام بها إلى

¹ نفسه، مج 4، ص. 443.

² نفسه، مج 4، ص. 443.

³ بن خلدون، العبر، ج 7، ص. 694.

الدولة المرينية 1 بأمر من السلطان الغرناطي محمد الخامس ت 1390/793م طلبا
للعون² ضد أطماع مملكة قشتالة وذلك عام 1355/756م 3 ،ولدى مثوله بين يدي
السلطان أبو عنان المريني ت1357/759م⁴ أنشده قصيدة قال فيها:

خليفة الله ساعد القدر

علاك ما لاح في الدجى قمر

ودافعت عنك يد قدرته

ماليس يسطيع دفعه البشر

ليس لنا ملجأ نامله

سواك أنت الثمل والوزر

والناس طرا بأرض أندلس

لولاك ما وطنوا وما عمروا

¹ قامت الدولة المرينية على إثر سقوط دولة الموحدين عام 668/1269 م على يد الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني ت1286/685م الذي اتخذ من فاس عاصمة لحكمه والذي لبث في خلفه قرابة قرون شهدت خلالها الدولة العديد من الأحداث في سبيل ترسيم وجودها وتقوية نفوذها إلى أن سقطت سنة 869/1464م (أنظر: علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.307 وما بعدها؛ محمد بن غازي العثماني، المرجع السابق، ص.75؛ ابن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، د.ط، فاس، 1316هـ، ج3، ص.168.

² ظلت الدولة المرينية الساعد القوي الذي كانت تلجأ إليه غرناطة كلما تعرضت لتهديدات النصارى لقربها الجغرافي منها زيادة على قوتها العسكرية الكبيرة بين سائر قوى بلاد المغرب الأخرى آنذاك، وتعود أولى إرهابات هذا التعاون إلى

عهد السلطانين أبو يوسف يعقوب المريني (668-685/1269-1286) و السلطان محمد الفقيه (671-701 هـ 1272/1301م)؛ أين تم تحطيم الأسطول القشتالي عام 678 م/1279م ومن بعده إبعاد النصارى إلى ما وراء نهر الوادي الكبير واستمر هذا التعاون إلى عهد أبي الحسن المريني وخلفائه من بعده رغم ظهور بعض الخلافات التي كانت تملئها المصالح الشخصية في العديد من المناسبات (للمزيد أنظر: بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص.45؛ بن خلدون، العبر، ج7، ص.240؛ بن أبي زرع، المصدر السابق، ص-ص.326-334؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص.506، السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص.19).

³ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص.206.

⁴ هو المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المكنى بأبي عنان، ولد عام 729/1330م، بويج بتلمسان بعدما بلغه نبأ غرق أبيه أبو الحسن المريني ت1353/752م مع أسطوله قبالة ساحل بجاية، مات خنقا على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي سنة 759/1360م (أنظر: إسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1411/1991م، ص.36 وما بعدها).

وقد همتهم نفوسهم فوجهوني إليك وانتظروا¹

فما كان من السلطان المريني إلا أن أجاب تطلعاته بقوله: " لن ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم"².

اعتبرت هذه السفارة الناجحة في حياة بن الخطيب بمثابة المنعرج الحاسم الذي حدد مسيرته السياسية والعلمية التي ما فتئ يتألق فيهما بمرور السنين والأيام العvisية التي شهدها موطنه، فعن الأولى كان لاحتكاكه بوزراء المملكة وسفراء الدول دور كبير في اتساع نظرتة لدواليب الحكم وفهم ما كانت عليه أحوال الأمم أوقات السعة والضيق، أما العلمية فتتجلى في مؤلفاته المختلفة التي توالى صدورها لأعوام متتالية جاءت في أغلبها كعصارة تجارب لمن سبقوه من أهل العلم، فقهاء وأدباء كانوا أو قضاة سواء ممن تيسر لهم الاجتماع بهم أو تسنى له الإطلاع على مؤلفاتهم فيما بعد؛ كمعاصره بن مرزوق التلمساني والقاضي عياض المالكي ت 544هـ/1149م³ الذي اضطلع على أغلب مؤلفاته⁴.

غير أن الأحداث الخطيرة التي شهدتها غرناطة سنة 760هـ/1358م وذلك باستيلاء الأمير إسماعيل بن الأحمر على الحكم⁵ كان لها تأثير بليغ على حياة بن الخطيب، فقد

¹ المقرئ، أزهار الرياض، ج1، ص.206.

² السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص.96.

³ هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، إمام وقته في علوم الحديث والنحو وكلام العرب وأنسابهم، ولد بسبنة عام 476هـ وتوفي بمراكش سنة 544هـ، له تصانيف عدة منها كتاب الإكمال في شرح كتاب مسلم وكتاب مشارق الأنوار وكتاب التنبيهات (أنظر: بن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص.152 وما بعدها).

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص.228.

⁵ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص.311.

صودرت أملاكه¹ وألقي في السجن إلى أن غادره إلى المغرب سنة 761/1359م² بعد شفاعة السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني ت 762/1360م فيه رفقة سلطانه محمد الخامس الغني بالله ت 793/1390م³.

وعند وصولهما إلى فاس مركز السلطنة المرينية ألقى بن الخطيب قصيدة من ثمانين بيتا اشتملت على التذكير بأمجاد المرينيين وبلائهم الحسن في الذود عن الدين وفي الآن ذاته يطلب من السلطان أبو سالم المريني ت 762/1360م نصرة سلطان غرناطة المخلوع، وإعانتته على استرجاع حكمه؛ ومما جاء فيها قوله:

قصدناك يا خير الملوك على النوى	للتصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام عن غوائلها	وقد رأينا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى	ولذنا بذاك العزم فانهزم الشر
ولما أتينا البحر يرهب موجه	ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا	ببالمريين جاءه العز والنصر
مرامك سهل لا تؤودك كلفة	سوى عرض ما انله في العلى خطر ⁴ .

استولى لسان الدين بهذا النظم على سامعيه فأبكاهم تأثرا على حد قول بن خلدون⁵ الذي كان يشغل منصبا ساميا لدى المرينيين⁶، وعن هذا الموقف يقول لسان الدين: "فهاج

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 443.

² بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص. 110 وما بعدها.

³ بن خلدون، العبر، ج 7، ص. 652؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، د. ط، لجنة

إحياء التراث، القاهرة، 1389/1969م، ج 1، ص. 92.

⁴ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 2، ص. 313.

⁵ بن خلدون، العبر، ج 7، ص. 307.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 498.

فهاج الامتعاض وسالت العبرات ،وكان يوما مشهودا وموقفا مشهورا طال به الحديث وعمرت به النوادي"¹.

كانت الأيام التي قضاها بن الخطيب بالمغرب حافلة بالأحداث ؛فقد أقطعه سلطانهها الدور والأراضي بمدينة سلا² وأعانه على استرجاع أمواله التي صودرت ببلده³ ،كما استغل أوقات فراغه في التأليف والتتقيح والعمل الجاد المعروف به ؛فصدرت عنه بذلك مؤلفات عديدة ككتاب "اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية" و"كناسة الدكان بعد انتقال السكان" و"نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب"⁴.

وبقي بن الخطيب بسلا يتقلب في العيش الرغد والحياة الهنيئة إلى أن دعاه السلطان محمد الخامس الغني بالله إلى اللحاق به إلى غرناطة بعد استعادته لحكمه عام 763 هـ/1361م⁵ ،وكان هذا بعد أن اعتذر له وزيره بإعفائه من الخدمة بهدف التفرغ للعبادة وأداء فريضة الحج⁶ ،وأمام إصراره على قراره أعطاه سلطانه عهدا مكتوبا بأن لا يمسه يمسه أكثر من عامين⁷.

ازداد نفوذ لسان الدين بعد عودته إلى غرناطة شيئا فشيئا حتى صار الأمر الناهي دون منازع نظرا لحنكته وبصيرته النافذتين في شؤون السياسة ،الأمر الذي جعله عرضة للدسائس والمكائد التي بات أعدائه وحساده من مقربيه يتفننون فيها⁸ وعلى رأسهم تلميذه

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج2 ،ص.29.

² المقرئ ،نفح الطيب ،مج5 ،ص.100.

³ السلاوي ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 32.

⁴ المقرئ ،أزهار الرياض ،ج1 ،ص.189،190.

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4،ص.448 وما بعدها.

⁶ بن الخطيب ،ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة،

1401/1981م ،مج2، ص.112.

⁷ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص.445.

⁸ بن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص.694.

أبو عبد الله بن زمرك¹ والقاضي أبو الحسن النباهي² ، وذلك بتأليب السلطان محمد الخامس عليه وتشكيكه في نواياه³ وهي الأمور التي أحس بها لسان الدين وجعل يبحث لها لها عن حلول بدءا بطلب إعفائه من منصبه⁴ ، وصولا إلى طلب اللجوء لدى سلطان المغرب عبد العزيز المريني الذي أسعفه على ذلك فجاز إلى جبل الفتح⁵ ومنه إلى سبتة في جمادى الثانية سنة 773هـ/1371م حيث استقبله بحفاوة تليق بأمثاله من الكبراء⁶.

كان أول عمل قام به بن الخطيب بموطنه الجديد أن بعث برسالة إلى سلطان غرناطة الملبس عليه يشرح له فيها سبب ما أقدم عليه وأن ذلك لم يكن بمحض إرادته بل بإيعاز من حساده وخصومه ويذكره بالسنوات التي قضاها في خدمة وطنه والتي لم يبخل فيها عن بذل النفس والنفيس من أجله ، وأنه لن يفقد بفعلته تلك الكثير مقارنة بما ستخسره غرناطة وسلطانها لقاء جفائهم لوزيرها المحنك ولا أدل على ذلك من قوله "إنما كان بن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثم أقشعت ، وتركت الأزهار تفوح والمحاسن تلوح"⁷.

راح خصوم بن الخطيب يبحثون له عن أية زلة أو مأخذ ويستغلون أية هفوة أو مطلب عليهم يشفون صدورهم ويحققون مآربهم في القضاء عليه ومحاولة طمس مكانته

¹ المقرئ ، أزهار الرياض ، ج2 ، ص.11.

² المقرئ ، نفح الطيب ، مج5 ، ص.103.

³ نفسه ، مج5 ، ص.101.

⁴ بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج2 ، ص.317.

⁵ أطلق الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي هذه التسمية على جبل طارق عام 555هـ/1160م وذلك لكون تلك المنطقة المنطقة

القريبة من الثغور البحرية عدت منطلقا للحملة العسكرية للجيش الإسلامية نحو الأندلس (أنظر : عبد الله السويسي ، تاريخ رباط الفتح ، تقديم : محمد جحي ، د.ط ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة ، الرباط ، 1979هـ/1399م ، ص.51، 52).

⁶ المقرئ ، نفح الطيب ، مج5 ، ص.103 ؛ أنظر كذلك : محمد كرد علي ، لسان الدين بن الخطيب ، مجلة المقتبس ، إشراف محمد يوسف نجم ، د.ط ، دار صادر ، بيروت ، 1352هـ/1907م ، مج2 ، ص.507.

⁷ بن خلدون ، رحلة ابن خلدون شرقا وغربا ، ص.152.

وآثاره ، وحامل ذلك قاضي الجماعة أبو الحسن النباهي الذي تنكر لحسن صنيع بن الخطيب معه ¹ ، وراح يلفق له التهم ويحيك حوله الأكاذيب ويأول الأقاويل كالإسراف في الدور والضياع وإحجامه عن الجهاد في سبيل الله ضد النصارى والأخطر من ذلك كله إتهامه بالإحداث في الدين والقدح في الموتى في بعض مؤلفاته ² ، خصوصا كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف" الذي ألفه عام 1367/769م ³ ؛ الذي ضمنه الحديث عن عقيدة أصحاب الاتحاد والحلول وأقاويل النصارى الفاسدة في ألوهية عيسى عليه السلام وتأويلات الفلاسفة ومقالات الصوفية وشطحات غلاتهم وأعاب عليه ذكرها وعدم التعليق عليها وكأنه رضي بما فيها مسامرة لأهلها ومداراتهم وجمل ذلك كله في رسالته التي بعث بها إليه سنة 1371/773م ⁴ .

لم يستغرب بن الخطيب تلك التهم خصوصا وأنها صدرت عن الذين كانوا بالأمس القريب يتوددون إليه طلبا للقرب منه ومجالسته بغية منافسته ، فرد عليهم بدوره من خلال مؤلفيه: "الكتيبة الكامنة" و"كتب أعمال الأعلام" ؛ حيث شرح في الأول سوء فهم خصومه لما كتب وتلاعبهم بسلطان غرناطة وتأليبهم عليه ، داحضا بذلك التهم المنسوبة إليه التي لم تظهر إلى الوجود على حد زعمهم إلا بعد أربع سنوات من تأليفه للكتاب الذي حكم عليه فيه بالزندقة ⁵ .

¹ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص.211.

² أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ضبط وشرح وتعليق وتقديم مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ / 1995 م، ص.202 ؛ وأنظر ما جاء في الرسالة: المقري، أزهار الرياض، ج1، ص.212 وما بعدها.

³ بن خلدون، العبر، ج7، ص.341.

⁴ المقري، نفح الطيب، ج1، ص.66 وما بعدها.

⁵ بن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، ط1، ص.146، ص.507.

وفي الثاني أرخى قلمه في النيل ممن ناصبوه العداء واضطروه إلى الفرار عن وطنه أولهم النباهي الذي نعته بأبشع الأوصاف كالجعسوس الذي معناه القزم الذميمة، بالإضافة إلى رسالة سماها "خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن" أنزله فيها إلى أرذل الدرجات¹.

لم يهنأ لسلطان غرناطة بال دون القضاء على لسان الدين فأرسل بدوره إلى السلطان عبد العزيز المريني طلبا بتسليمه² غير أنه قوبل بالرفض مخاطبا إياه بقوله: "هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه"³، والأمر نفسه قام به مع الوزير أبو بكر بن غازي بعد وفاة السلطان عبد العزيز سنة 774/1372م⁴، كونه صار وصيا على الصغير أبو زيان محمد السعيد فكان رده كسابقه⁵.

وبقي الأمر على حاله إلى أن قامت ثورة بالمغرب استولى فيها على الحكم أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني سنة 776/1374م⁶، حيث أقدم على سجن بن الخطيب ردا على محمد الغني بالله الذي سائده في ثورته⁷ فأرسل بدوره وفدا إلى حضرة حضرة

¹ بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 78، 80.

² المقرئ ، نفح الطيب ، مج 5، ص 103.

³ نفسه ، مج 5 ، ص 103.

⁴ بن حجر ، إنباء الغمر ، ج 1 ، ص 92.

⁵ المقرئ ، نفح الطيب ، مج 5 ، ص 105.

⁶ بن الأحمر ، روضة النسرین ، ص 34.

⁷ بن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 341.

فاس يترأسهم بن زمرك¹ حاملين التهم المنسوبة إليه وعلى رأسها الزندقة² التي أخذت حظها الوافر من تلك المحكمة الصورية المحسومة نتيجتها؛ إذ امتحن بالعذاب أمام الحضور ثم أعيد إلى سجنه³ بعد أن أفتى بعض أشباه الفقهاء بقتله⁴، ومن ثمة بعثوا إليه من قتله خنقا بمحبسه ليلا⁵.

وبعد دفنه نبش قبره وأخرجت جثته أين تم حرقها⁶ ليعاد بعد ذلك إلى قبره⁷ بمقبرة بمقبرة فاس فوق بابها المعروف بباب المحروق⁸.

أدرك بن الخطيب قرب نهايته وأن الجميع تتكروا له فأطلق العنان لأحاسيسه التي أجملها في أبيات يرثي فيها حاله:

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بو عظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت

¹ هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك الوزير من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس على عصره، وولاه السلطان محمد الغني بالله الغرناطي كاتم سره ثم عزله ليعود بعدها إلى منصبه، سعى إلى الإطاحة بأستاذه لسان الدين الذي تتلمذ على يديه إلى أن قتل خنقا، أساء بعده إلى رجال الدولة مما حملهم على قتله رفقة أبنائه وخدمه، له أشعار وموشحات جمعها بن الأحمر في مجلد كبير (أنظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، د.ط، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين روزفلت للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص.17).

² بن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص.243.

³ بن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص.311.

⁴ بن حجر، المصدر السابق، ج1، ص.92.

⁵ بن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص.246.

⁶ لم يكن بن الخطيب أول من فعلت به هذه الفعلة الشنيعة بل سبقه إليها العديد كما هو حال مسلم بن سعيد التتملي ت698هـ / 1298م الذي نبش قبره وأحرقت جثته بغرناطة نقمة من ثالث سلاطينها أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف؛ والأمر نفسه حدث لأبي فارس عبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي الذي مات خنقا بسجن فاس سنة

1297/697م (أنظر: بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.330، 331؛ مج4، ص.26).

⁷ بن خلدون، العبر، ج7، ص.709، بن حجر، إنباء الغمر، ج1، ص.92.

⁸ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.111.

وكنا نقوت فيها نحن قوت

وكنا عظاما فصرنا عظاما

غربنا فناحت علينا السموت

وكنا شمس سماء العلى

وفات ومن ذا الذي لا يفوت

فقل للعدى ذهب بن الخطيب

فقل يفرح اليوم من لا يموت¹

فمن كان يفرح منهم له

أوصافه وما قيل عنه:

نالت شخصية وزير غرناطة الفذ إعجاب الكثيرين سواء من الذين عاصروه أو ممن اهتموا بتاريخ تلك المملكة الفتية التي استطاعت على حين من الزمن أن تحافظ على جزء هام من تراث الأندلس الحافل بالإنجازات عن طريق تضحيات الكثيرين في سبيل إيصال رسالة الإسلام الداعية إلى التآلق في شتى مجالات الحياة ،ومن بين ذلك الكم الهائل من الشعراء والكتاب يمكن الاقتصار على أوصاف البعض من المشاهير من ذلك:

ما قال فيه علي بن محمد بن علي بن البنا ت1349/هـ750م عند تقلده منصب الكتابة العليا:

فكان منك على الآمال ناصره

هو العلا جرى باليمن طايره

لا عجز الشمس ما أمت عسا كره

ولو جرى بك ممتدا إلى الأمل

ومن زانت حلى الدين والدنيا مفاخره

هل أنت إلا الخطيب بن الخطيب

فما بدا منك في التقصير عاذره²

فان يقصر عن الأوصاف ذو أدب

¹ بن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص.709.

² بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص ص.167،168.

وقال فيه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك قبل أن يتكدر صفو العلاقة بينهما :

أمنجد أمالي ومنفق كاسدي ومصدر جاهي والحديث كبير

أنس ولا أنس مجالسك التي بها تلتقيني نضرة وسرور

نزورك في جنح الظلام وننتهي وبين يدينا من حديثك نور¹

وخاطبه في إحدى الرسائل بقوله "...أبو معارفي وولي نعمتي ومعيد جاهي ومقوي كماله، ومورد أمالي ممن توالى نعمه علي، ويتوفر قسمه لدي... فماذا أقول فيمن صار مؤثرا إلينا بالتقديم، جاليا صورة تشريفي بالإنساب إليه في أحسن التقويم..."².

وقال عنه بن خلدون ت808/1406م " بأنه إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية غير مدافع"³.

ووصفه بن قنفذ القسنطيني بقوله : شيخنا الفقيه الكاتب الشهير الذي سمعت جملة من تواليفه بقراءته هو في مجالس مختلفة⁴.

ونعته الأمير الغرناطي إسماعيل بن الأحمر بكاتب الأرض إلى يوم العرض... وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين بالإطلاع على العلوم العقلية والامتناع بالمفهوم النقلية⁵.

ووصفه المقرئ بقوله: "فارس النظم والنثر في ذلك العصر، والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر، كيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر، ونثره تزي صوره بالخريدة ودمية القصر"¹.

¹ إسماعيل بن الأحمر، نثر فرائد الجمان، ص ص. 153، 154.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص ص. 313، 314.

³ بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م، ص. 620.

⁴ أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص ص. 370، 371.

⁵ بن الأحمر، نثر فرائد الجمان، ص ص. 58، 59.

وزاد على ذلك في مناسبة أخرى: "لسان الدين إمام هذه الفنون ،المحقق لذوي الآمال
الظنون، المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون وله اليد الطولى في العلوم على
اختلاف أجناسها والألفاظ الرائقة التي تزيج وحشة الأنفس بإيناسها" ،ومن شعره فيه قوله:

ليت شعري أي العبارات توفي واجب ابن الخطيب مما أروم

وأنا عاجز عن البعض منها لقصوري وما العيي ملوم

وهو يدعى لسان دين وناهيك افتخارا به تتم الرسوم

فبأي الحلى أحلي علما نال فضلا روته عرب وروم

أحفظ قد ارتوى من معين لصواب عليه كان يحوم

أم لفهم يستخرج الدر غوصا من بحار يخشى بها من يعوم

أم لفكر مؤلف في فنون عن دهاء به تداوي الكلوم².

ونظم فيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور :

فخر الوزارة الذي ما مثله بدر علا في مغرب أو مشرق

ومذ أرانيه زماني لم أبل من صرفه بمرعد أو مبرق

لا سيما منذ حططت في حمى مقامه الأمنع رحل أيقني

أيقنت أني في رجائي لم أخب وأن مسعى بغيتي لم يخفق³

¹ المقرئ ،نفح الطيب ،مج1 ،ص.70.

² المقرئ ،نفح الطيب ،مج1،ص.113 وما بعدها.

³ نفسه ،مج6 ،ص.81.

كما مدحه قرينه في العلم بن مرزوق التلمساني عند لقيه إياه بفاس :

يا قادما وافي بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح

هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها تتل المنى وتقر بكل سماح

مغنى الإمام أبي عنان بمنن تظفر ببحر في العلى طفاح

من قاس جود أبي عنان ذي الندى بسواه قاس البحر الضحضاح¹.

وقال فيه كذلك أبو يحيى محمد بن أحمد بن الأكل ت 767/1365م:

أشرف من حظ الملوك على التقى وأبدى لهم نصحا وصية مرشد

وساس الرعايا الآن خير سياسة مباركة في كل غيب ومشهد

وأرض عن دنياه زاهدا وإنها لمظهرة طوعا له عن تودد²

ونجد المدارس الغربية بدورها تولى شخصية بن الخطيب اهتماما خاصا شبيه نوعا ما بالذي ناله العلامة عبد الرحمن بن خلدون ت 808/1406م؛ مثلها ما يعرف بالمستشرقين الذين تتبعوا كل كبيرة وصغيرة لها علاقة بالمسلمين لقرون عديدة خصوصا ما تعلق بتاريخ إسبانيا، ولعل أشهرهم كارل بروكلمان وجونثال بالنتيا وفرانشيسكو كوديرا وماريانو جسبار رميرو Mariano Gaspar Ramiro صاحب كتاب تاريخ مرسية الإسلامية historia de Murcia musulmana ومؤسس مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها Centro de estudios historicos de Granada y Reino su.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص. 107.

² نفسه، مج3، ص. 205.

فقال عنه كارل بروكلمان: "تستطيع هذه الإمارة الصغيرة - إمارة بني الأحمر - أن تفتخر أيضا بمؤرخ كبير اضطربت حياته واختلفت عليه الأحوال بعد نعمة وبؤس؛ فهو يمثل أحسن تمثيل الحياة السياسية القلقة في هذه الدولة الهزيلة خلال القرن الرابع عشر"¹.

وقال عنه بالنثيا في كتابه **تاريخ الفكر الأندلسي**: "أن كتابة تاريخ الغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر ميلادي تبلغ ذروتها باسمين كبيرين؛ هما بن الخطيب المؤرخ المتفنن والسياسي الأديب وابن خلدون منشأ فلسفة التاريخ، لكن بن الخطيب يسمو على جميع كتاب عصره بشخصيته الفذة ومؤلفاته الكثيرة؛ إذ كان شغوفا بالعلوم الطبية والفلسفية التي درسها على شيخه الطبيب يحيى بن هذيل"².

أما روميرو فقد اعتنى بمتابعة أعمال بن الخطيب أبرزها ترجمته لعدد من الرسائل التاريخية التي وردت في كتابه **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** إلى الإسبانية تحت عنوان **corresspondencia diplomatica entre Granada y Fes en el siglo xiv** المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس في القرن الرابع عشر³.

¹ بروكلمان، المرجع السابق، ص ص. 334، 335.

² أنخل جانتالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن العربية حسين مؤنس، د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت. ط، ص. 251 وما بعدها.

³ عن هذه الرسائل أنظر: Ramiro: revista del Centro de estudios historicos de Granada y su Reino, Granada, 1913, tome.4 ,p-p.247-248 ,p-p.258_274.

مؤلفات بن الخطيب:

لعله إذا جيء لدراسة مؤلفات لسان الدين التي جادت بها قريحته يجد القارئ نفسه مشدود الاهتمام أحيانا وشارد الذهن أحيانا أخرى نظرا لذلك الكم الهائل والغزير من المعلومات المتنوعة في كتاباته المختلفة؛ منها ما هو متعلق بالحوادث التاريخية ومنها ما له صلة بدواليب الحكم ومنها ما يتعلق بالإبداع الفكري في مجالات مختلفة شكلت في مجملها تراثا متنوعا أعطى صورة جليلة على أحوال المغرب والأندلس عامة، المضطربة الأوضاع في مناسبات مختلفة ومن أبرز تلك المؤلفات نجد:

(1) **طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر**¹: وهو مؤلف شهير كتبه بن الخطيب ليعرف بملوك غرناطة من سلالة السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الخزرجي (591-671هـ/1194-1272م)؛ بين فيه سيرة كل واحد منهم وأعماله التي اشتهرت بها، كما هو حال الأمير أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف (677-725هـ/1278-1324م) الذي شهد عهده اضطرابات داخلية سببها المؤامرات والدسائس كتلك التي جرت بينه وبين صاحب مالقة، ناهيك عن ثورة الأشياخ بغرناطة²؛ استعان به في الإحاطة مرات عديدة كحديثه عن وفاة السلطان الغرناطي محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ت 701هـ/1301م³.

(2) **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**⁴: يعد من أهم الكتب التي ألفها بن الخطيب بعد كتاب الإحاطة من حيث القيمة والشهرة وغلبة اهتمام صاحبه به مقارنة بسائر مؤلفاته التاريخية والأدبية الأخرى؛ نظرا لما حواه من الوثائق التاريخية الهامة المتعلقة بانجازات سلاطين بني نصر، منها ما يصب في باب الجهاد والدفاع عن حرمة مملكة

¹ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص.190، أحمد بابا التتبتكي، المصدر السابق، ص.446.

² بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص.78 وما بعدها.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.566.

⁴ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص.189.

غرناطة وأهلها وقدرتهم على كسب ود أمراء المسلمين وملوك قشتالة في الآن ذاته والتي كانت تدبج على يد لسان الدين كتلك التي بعث بها السلطان أبو الحجاج يوسف الغرناطي إلى بيدرو الثاني ملك قشتالة رفقة الأمير أبو الفضل محمد بن أبي الحسن المريني، يمينه فيها بمساعدته على محاربة أخيه السلطان أبو عنان المريني ومنازعته لعرش دولته¹، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع وذلك بالقضاء على أبي الفضل عام 755هـ/1354م²، وقابله في الحين ذاته الحنكة في التملص من الحادثة السابقة الذكر من قبل السلطان الغرناطي عبد الله محمد بن أبي الحجاج الذي بعث إلى أبي عنان برسائل ثلاث احتوت على الاعتذار ومحاولة تبرئة الذمة ومذكرا إياه بما بين الدولتين من أواصر المودة والأخوة والمصير المشترك، وكذلك رسالته إلى سلطان المغرب عام 756هـ/1355م يراجع فيه عيسى بن الحسن بن أبي منديل الذي ثار بجبل الفتح وقبض بعدها وسجن بفاس؛ نوه فيها بخصال السلطان المذكور وما عرف عنه من عفو وسعة خاطر وقدر سلفه من سلاطين بني مرين³، والشأن ذاته مع بن مرزوق التلمساني يستشفع له بحضرة سلطان فاس⁴، هذا بالإضافة إلى مخاطبات بن الخطيب إلى أصحاب المناصب والهيئات من أمراء وولاة مقاطعات ناهيك عن مراسلاته الشخصية لأصدقائه.

(3) الإكليل الزاهر فيما ندر عن التاج من الجواهر⁵ : هو من مؤلفات بن الخطيب

الصغرى، ذكره في مناسبات عدة في كتاب الإحاطة عند تعريفه بالشخصيات كما هو

¹ بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص.135.

² نفسه، ج1، ص.143.

³ نفسه، ج1، ص.235 وما بعدها.

⁴ نفسه، مج1، ص.342 وما بعدها.

⁵ بن حجر، إنباء الغمر، ج1، ص.92.

حال محمد بن محمد بن حزب الله الوادي آشي¹ وأحمد بن صفوان القيسي المالقي ت
705هـ / 1305م².

(4) التاج المحلى في مساجلة القذح المعلى³: يعد هذا الكتاب مختصرا لتاريخ
مملكة غرناطة وتراجم أعيانها في القرن الثامن هجري - الرابع عشر ميلادي
كالقاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن شبرين ت 747 هـ / 1346م والفقيه
أبو عبد الله محمد بن محمد بن جزى الكلبي ت 758 هـ / 1356م، والأمر نفسه مع
أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المعروف بابن اليتيم⁴.

(5) رقم الحلل في نظم الدول⁵: قال عنه بن الخطيب أنه ألفه على شكل الرجز
الرجز، تعرض فيه إلى أوصاف سلاطين بني الأحمر ومدح مناقبهم كالأمر محمد
بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية الذي نظم فيه:

أول أملاكهم محمد	وهو الأمير الغالب المؤيد
قام وشمل الدين في شتات	والروم تستولي على الجهات
فنعش الدين به لما عثر	ونظم السلك وقد كان انتثر
واحكم السلم سريعا وعقد	وصارت الذناب ترعى والنقد ⁶

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 367.

² نفسه، مج 2، ص. 381.

³ المقرئ، نفح الطيب، مج 7، ص. 97؛ إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن
أسماء الكتب والفنون، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط، مج 1، ص. 210.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 98.

⁵ بن الأحمر، نشير فرائد الجمان، ص. 61؛ المقرئ، أزهار الرياض، ج 1، ص. 190؛ بن قنفذ، المصدر السابق،
ص. 371.

⁶ بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، د. ط، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص. 108، 109.

(6) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة¹: هو إحدى مؤلفات الهامة والتي تعد من المصادر القليلة التي أشارت إلى بقايا شعراء الأندلس في عصر بن الخطيب والذين إتقاهم بنفسه؛ شرع في تأليفه في جمادى الآخرة من عام 774هـ / 1372م وهو عبارة عن تقرير أهداه إلى أهل المشرق، عرف فيه بالعديد من شعراء الأندلس الذين عاصروهم والذين بلغ عددهم ثلاثة أشخاص ومائة كالخطيب الشيخ أبو زيد خالد بن خالد الونالشي، والخطيب أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي العاص التتوخي والشيخ الكاتب أبو القاسم الخضر بن أحمد بن أبي العافية ت 745 هـ / 1344 م وذلك بقوله: "وسميت هذا الوضع بالكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، يستدل به من يباشره على نيل من كنا نعاشره، ويقف من يدارسه على فضل من كنا نمارسه".²

وقد يكون تأليفه لهذا الكتاب هو رغبته في إعادة النظر في قيمة بعض الرجال الذين انقلبوا عليه وتتكروا الجميله معهم كالقاضي على بن عبد الله بن الحسن النباهي الملقب بالجعسوس والذي يقول عنه: "أطروفة الزمن التي تجل غرائبها عن الثمن وقرد شارد من قرود اليمن ذنبا وأحداقا وفروة وأشداقا وخبثا و سلاحا"³، وكان قد ألف فيه كتاب سماه "خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن"⁴، والأمر نفسه مع أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك الذي يقول عنه: "هذا الرجل والتصغير وعلى أصله وان لم يعب السهم صغر نصله، مخلوق من مكيدة وحذر، ومفطور اللسان على هذيان وهذر

¹ أورد المقرئ تسمية هذا الكتاب بالكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة (أنظر: نفح الطيب، مج 7، ص. 97).

² بن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص. 13.

³ نفسه، ص. 146.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، مج 7، ص. 101.

،خبيث أن شكر ،خدع ومكر ،ودس في الصفو والعكر ،وإن رمى واقصد فالله أعلم بما قصد"¹.

والكتاب في مجمله يعطي للدارسين في مجال الأدب والشعراء صورة جلية عن أدباء القرن الثامن هجري بالأندلس واتجاهاتهم الشعرية.

(7) كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام² : يعد هذا الكتاب من المؤلفات التاريخية الشهيرة التي كتبها بن الخطيب وهو بعيد عن وطنه غرناطة ،وتكمن أهميته في الأحداث والمعلومات التاريخية التي حفل بها ؛فرغم أن سببه الرئيس كان صد محاولات الانقلاب التي كانت تهدد استقرار البلاط المريني على إثر وفاة السلطان عبد العزيز المريني سنة 774هـ /1372م ومحاوله وزيره أبو بكر بن غازي المحافظة على السلطة في يد ولي عهده السلطان سعيد الذي لم يكن سنة قد تجاوز الخمس سنوات ،إلا أن لسان الدين أخذ شجون الكلام في جوانب عديدة من تاريخ الإسلام سواء في بلاد المغرب والأندلس أو المشرق معا حيث يكشف لنا هذا المعجم التاريخي عن الكثير من الحوادث التي شهدتها العالم الإسلامي مشرقا ومغربا طيلة مراحل مختلفة دون أن ينسى أفراد سلاطين بني نصر الذين خدمهم رفقة عائلته لسنوات عديدة³.

(8) "روضة التعريف بالحب الشريف"⁴: يتعرض هذا الكتاب إلى الزهد وأحوال أهله ، ومختلف العبارات ذات الصلة بالتصوف كالمرید والغوث وشيخ الطريقة زيادة على تصورات عدة كماهية العبودية وحديث على طريقة أهل الوحدة المطلقة وهي الأمور

¹ بن الخطيب ،الكتيبة الكامنة ،ص.282.

² المقرئ ،أزهار الرياض ،ج1 ،ص.190 ،أحمد بابا التنبكتي ،المصدر السابق ،ص.446.

³ نفسه ،ص.287 وما بعدها.

⁴ بن الأحمر ،نثير فرائد الجمان ،ص.60.

التي استغلها خصومه في الحنق عليه وفي السعاية لدى سلطان غرناطة محمد الغني بالله من تشهير وتهم ملفقة حول انتقاصه للموتى¹.

ورغم أن تأليف هذا الكتاب كان محاولة رد على ديوان الصبابة لأبي العباس أحمد بن يحي التلمساني الشهير بابن أبي حجلة ت776/1374م إلا أن لسان الدين أخذ شجون الكلام في سرد الأقاويل والأطروحات التي لها علاقة بالعبودية والروحانيات.

(9) **المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية**²: ألفه للسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز؛ سرد فيه عبقرية سلفه وما امتازوا به من شرف وعلو شان، وكان ذلك محاولة للرد عن من جاهروا بعداوة سلفه والقادحين في فخره.

1/ تسمية الكتاب:

ثمة خلاف طفيف حول إسم هذا الكتاب علي حسب ما ورد في مخطوطاته المختلفة؛ فمنها من تسميه كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" كدار الكتب المصرية ومخطوطة جامع الزيتونة بتونس³، ومنها التي تسميه "الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة"⁴ أو "الإحاطة في تاريخ غرناطة" كما هو حال مكتبة سان لورنزو الملكية بالإسكو ريال التي ورد في الصفحة ما قبل الأخيرة قول بن الخطيب "قلت هنا انتهى هذا التأليف المسمي بالإحاطة في تاريخ غرناطة علي سبيل الاختصار وتحصل منه ما أردناه هذا المقدار"⁵.

¹ المقري، نفح الطيب، مج7، ص.100.

² المقري، أزهار الرياض، ج1، ص.190.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.3.

⁴ نفسه، مج4، ص.461.

⁵ نفسه، مج3، ص.13؛ مج4، ص.634.

بينما يذكره المقري التلمساني ت 1041/1631م في كتابه **نفح الطيب** بأنه "الإحاطة بتاريخ غرناطة"، وأنه اطلع علي المجلد الرابع من النسخة التي أرسلها بن الخطيب إلى مصر ووقفها على طلبة العلم"¹.

ويذكر الأمير إسماعيل بن الأحمر حفيد السلطان الغرناطي الغني بالله أن أصل تسمية كتاب الإحاطة سببه إطلاع بن الخطيب على كتاب الأديب الغرناطي أبو عبد الله محمد بن جزي 758/1356م الذي شرع في وضعه للسلطان أبي عنان المريني وذلك أثناء قيام لسان الدين بسفارة من سلطانه الغني بالله إلى السلطان أبي عنان عام 755/1354م².

وعن هذا الكتاب يقول بن الخطيب "أخبرني بن جزي عند لقياه إياي بمدينة فاس في غرض الرسالة عام خمس وخمسين وسبعماية أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ذاهبا هذا المذهب الذي انتدبت إليه ،ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاع³.

2/ موضوع الكتاب :

يحتوي كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة على تراجم الأعلام الذين ترجم لهم بن الخطيب على اختلاف أزمנתهم منهم من عاصروهم أو أخذ عنهم أو سبق لهم وأن دخلوا غرناطة سواء من أهل العدوتين (المغرب والأندلس) أو المشاركة ،ولم يحصر ذكره على العلماء والأدباء والشعراء فقط بل تعرض بالوصف لكل صاحب نفوذ من ذوي الرأي كالوزراء وقادة الجيوش أمثال أبي عبد الله محمد بن محمد بن شلبطور الهاشمي قائد أسطول ألميرية ت 755 هـ /1354م⁴؛الذين كانت لهم علاقة بغرناطة سواء بسلاطينها

¹ المقري ،نفح الطيب ،مج7 ،ص. 103.

² بن الأحمر ،روضة النسرین ،ص.34.

³ بن الخطيب ،الإحاطة ، مج2 ، ص. 257.

⁴ نفسه ،مج2،ص.360.

من بني الأحمر¹ ومن قبلهم بنو زيري² أو الوزراء البارزين كرضوان النصري ت
760هـ / 1358م³.

وكذلك علي بن لب بن سعيد العنسي ت 627هـ / 1229م⁴ وشيوخ الغزاة المغاربة
كالشيخ أبو إدريس عبد الحق بن عثمان بن عبد الحق⁵ ومن بعده شيخ بن الخطيب يحي
بن عمر بن رحو⁶.

دون أن ينسي ذكر الأمراء الذين دخلوها أو وصلوا إلى أحوازها؛ كالخليفة الحكم
بن عبد الرحمن بن محمد القرطبي (302هـ / 914م - 366هـ / 976م)⁷ على إثر موقعة
الميرية سنة 351هـ / 962م⁸، ومن قبله جده الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
ت 206هـ / 821م⁹ الذي اقتتل مع عمه أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمان بأحواز
البيرة¹⁰.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 377، ص. 398، ص. 520، ص. 556.

² نفسه، مج 1، ص. 431، ص. 435، ص. 477، ص. 486، ص. 513، مج 3، ص. 379، مج 4، ص. 241.

³ نفسه، مج 1، ص. 506 وما بعدها.

⁴ نفسه، مج 4، ص. 73.

⁵ نفسه، مج 3، ص. 536.

⁶ نفسه، مج 4، ص. 365.

⁷ نفسه، مج 1، ص. 478.

⁸ يقصد بموقعة الميرية صد الأسطول القرطبي لإحدى تحرشات النورمان الذين كان يطلق عليهم اسم المجوس، وذلك
بعد أن حاصروا إحدى الحصون البحرية والمعروف بحصن القبيطة (أنظر: بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص
42).

⁹ هو أبو العاص الحكم ابن هشام ابن عبد الرحمن ابن معاوية المعروف بالحكم الرضي نسبة لوقعة الربيض
المشهورة في قرطبة سنة 202 هـ / 817 م تولى الحكم بإمارة قرطبة وهو ابن اثنتان وعشرون سنة (أنظر:
الضبي، المصدر السابق، ج 1، ص. 43؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص
222، 223).

¹⁰ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص - ص. 478-482.

وعند تعرضه لسلطين بني الأحمر نجده يورد صفحات عديدة يذكر فيها بإسهاب حياتهم ومناقبتهم ومكانتهم التي اشتهروا بها كمحمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر ومن بعده ابنه محمد بن إسماعيل 715 - 733 هـ / 1315 - 1332 م ويخص السلطين محمد الثالث بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بطيب ذكر وسيرة بحكم معاصرته له¹.

كما أفرد فصولا ذكر فيها الزهاد و الصلحاء والصوفية² والفقراء ومنها ما جاءت في الغرباء والطارئين الذين ألجأتهم الظروف المختلفة إلي دخول غرناطة ، ولم ينس بن الخطيب أخذ حظ لترجمة نفسه في آخر الكتاب والتي أوردها العلامة محمد عبد الله عنان بعد تحقيقه للكتاب حيث نجدها استحوذت على مئة وست وتسعون صفحة ؛من الصفحة 438 الي الصفحة 634 من الجزء الرابع ،تناول فيها مراحل نشأته وتقلده للمناصب السلطانية مع ذكره لأهم الأحداث التي عاصرها ومن كانت له علاقات بهم تجلت في المراسلات وتبادل التهاني والتشريفات³.

3/ منهجه في تأليف كتاب الإحاطة:

بعد أن هيا ابن الخطيب لكتابه في قسمه الأول بتعريفات تخص بلده غرناطة والذي سماه "حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن " ،وقسمه الثاني الذي سماه "حلى الزائر والقاطن و المتحرك والساكن " ؛جاء كتابه مرتبا ترتيبا هجائيا لتراجم شخصيات عددهم أربعمائة وستة وتسعون شخصية ،بدأ بحرف الألف وأنهاه بحرف الياء.

وقد يلاحظ القارئ لكتاب الإحاطة أن صاحبه لم يفرد النساء بفصل خاص مع قلة ذكره لهن على غير عادة المترجمين سواء الذين سبقوه أو من جاءوا بعده ؛فتجده عند تعرضه للغرناطيات في القسم الأول يذكرهن بالتفاتة خاطفة ،يعدد فيها صفاتهن الجسمية والخلقية بقوله : "وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج2 ،ص - ص. 13 - 91 .

² نفسه ،مج4 ،ص - ص. 196 - 216 .

³ نفسه ،مج4 ،ص. 438 وما بعدها.

الشعور ونبل الكلام وحسن المحاورة¹ ثم يذكر ما وصلت إليه حالهن في الميل إلى التبرج نتيجة البالغة في استخدام وسائل الترف، وما جاء في ذكر بعضهن فكان في صفحات قليلة خص بها من اشتهرن بالعلم أو رفعة المكانة في غرناطة أو ما جاورها، منه تعريفه لحمد بن زياد المكتب الشاعرة من سكان وادي آش وكذلك حفصة بنت الحاج الركوني اللتين سيأتي ذكرهما عند الحديث عن الشعر والشعراء بغرناطة².

4/ طريقته في الترجمة:

يبدأ بن الخطيب في ترجمته للشخصيات بذكر اسم العلم كاملا، اسمه ونسبه ولقبه وكنيته المعروف بها، ويركز علي بلده كأن ينعت بالغرناطي أو المالقي أو القرطبي يليها التتمق في اختيار الألفاظ التي تليق بالعلم وتبين منزلته العلمية والاجتماعية وعلوه بين أقرانه في حياته أو سمع عن إنجازاتهم، لذا تجده في الكثير من الأحيان يسهب في مدح مشاهيرهم كأستاذه أبو الحسن بن الجياب الذي يقول فيه شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ صدر صدور الجلة وعلم أعلام هذه الملة ... استعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب شباة يراعه ... وما عسى أن أقول في إمام الأئمة ونور الدياجي المدلهمة والمثل السائر في بعد صيت وعلو الهمة³.

ثم بعد ذلك يأتي علي ذكر نشأته وشيوخه وأعماله وتلاميذه إن كان من الراسخين في العلم، دون أن يغفل ذكر الجيد من الأقوال والأشعار وقد يرد في بعض الأحيان عليها؛ منها مراجعته لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبكر بن مرزوق العجيسي⁴ عندما لقيه بفاس بقوله :

راحت تذكرني كؤوس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 139.

² أنظر: ص. 179-181.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 125، 126.

⁴ هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني الذي شغل منصب الإمامة وأمانة الرسالة للسلطان أبو الحسن المريني عام 753 هـ/1352م له كتاب "عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز"، وشرح كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض اليحصبي السبتي ت544هـ/1149م، (أنظر: الإحاطة، مج 3، ص. 103-126).

بخليفة الله المؤيد فارس
شمس المعالي الأزهر الوضاح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه
أنى يقاسى الغمر بالضحضاح¹

غير أن اللافت للانتباه هو الاختلاف في طريقة التعريف بالشخصيات الذي يرجع إلى وزن المعرف به ومكانته؛ فإن كان العلم أميرا أو وزيرا أو ذا شأن بارز فإنه يكثر من الحديث عن ما جرى في عهده، وهو ما خص به سلاطينه من بني الأحمر سواء الذين حكموا قبل مولده منهم محمد بن يوسف بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري (595-671/1198-1272م)² أو الذين عاصروهم كمحمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج ابن يوسف بن نصر الخزرجي (739/1338م-1340/741م) الذين يقول عنه: "عاملني بما لا مزيد عليه في العناية وأحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية، كافا الله فضله و شكر رعيه و أعلى محله عنده"³، دون أن ينسى ذكر سلطانه محمد الغني بالله (755-793/1354-1390م) الذي قلده أعلى المناصب وأطلق له يده فيها، حيث مدحه بقصيدة في أربع وتسعين بيتا⁴.

كما أورد قصيدة رثاء من سبعة وسبعين بيتا في ثلاث من إخوانه أبدع في استخدام العبارات المناسبة لهذا المقام كشفت عن مشاعر رجل لم تمنعه السياسة من الإدلاء بها⁵.

5/ مصادر الكتاب :

استعان بن الخطيب في تأليف كتاب الإحاطة بالعديد من المصادر التي تسنى له الإطلاع عليها بحكم منزلته السلطانية في دولة بني الأحمر، ناهيك عن مشاهداته وسماعه عن الكثير من الحوادث نظرا لانتقلاته المستمرة سواء، داخل بلاد الأندلس أو عند سفارته لدى دولة بني مرين، فتجده عند ترجمته لمعلم ما أو لشخصية ما يذكر المصدر الذي استقى منه وصاحبه، الأمر الذي يجعل الكتاب قيم المضمون بحكم ثرائه بالمعلومات والحوادث التاريخية.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.ص 108، 109.

² نفسه مج2، ص - ص. 92 - 100 .

³ نفسه، مج2، ص. 17 .

⁴ أنظر: البعض منها في الملحق رقم: 05.

⁵ أنظر: الإحاطة، مج4، ص. 491 وما بعدها.

ولعل من أبرز المصادر على حسب ما أورد بن الخطيب نذكر:

1 - "المقتبس في تاريخ رجال الأندلس" لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي 377-462 هـ / 987-1069م أعظم مؤرخي الأندلس، يعتبر هذا المؤلف مصدرا للكثير من المؤرخين الذين دونوا عن الأندلس ورجالها خصوصا وأنه من الذين شهدوا فتنة قرطبة الشهيرة عام 399هـ / 1008م والحوادث التي تلتها¹، وبن الخطيب كغيره من المؤرخين ذكره في بداية كتابه في فصل اسم مدينة غرناطة ووضعها على إجمال واختصار².

2 - "تاريخ إفتتاح الأندلس" لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية ت 367 هـ 977/ م، رجع إليه بن الخطيب عند حديثه عن فتح مدينة غرناطة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها³، وهو مصدر هام لا يمكن لدارس تاريخ الفتوحات الاستغناء عنه نظرا لما فيه من الفوائد الجمة والمعلومات الهامة عن بلاد الأندلس.

3- "تاريخ علماء البيرة" لمحمد بن عبد الواحد بن حقل الغافقي المعروف بأبي القاسم الملاحى 549-619 هـ / 1154-1222م، عده بن الخطيب من الرجال الثقات في الضبط ما جعله يكثر من النقل عليه، خصوصا عند ذكره لمراحل نشأة مملكة غرناطة⁴ كما أفرد له مكان في كتابه للتعريف به وبمؤلفاته⁵.

4- "التعريف بطبقات الأمم" لأبي القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي 420-462 هـ / 1029 - 1069م، يعد هذا الكتاب من المصادر الهامة التي أشارت إلى النشاط العلمي الخاص بالعلوم التطبيقية من طب وفلك ورياضيات وكيمياء

¹ أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، ت 469 هـ / 1076م، المقتبس في أخبار الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، د.ط، مطبعة سيما، بيروت، 1956م، ص. 13.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص ص. 91، 92.

³ نفسه، مج 1، ص. 100.

⁴ نفسه، مج 1، ص. 93.

⁵ نفسه، مج 3، ص ص. 176، 177.

التي عرفتھا الأندلس عامة ،وهو ما أدى بآبن الخطيب إلى الاستشهاد به في العديد من المناسبات¹.

5- "الأثوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية" لأبي بكر بن محمد بن يحيى الصيرفي ت 570هـ / 1174م كاتب ووزير الأمير المرابطي محمد بن تاشفين ؛أخذ بن الخطيب عنه الكثير من القضايا التي شهدتها الأندلس في عهد دولة المرابطين² ؛خصوصا علاقتهم بمملكة غرناطة التي يؤرخ لها ذو لوزارتين ،منها ذكره لهدم السكان كنيسة قولجر بمدينة غرناطة³ وحملة ألفونسو الأول عليها سنة 515هـ / 1121م وما دار بينه وبين المعاهدة أي النصراري المعاهدون الذين استدعوه⁴.

6- "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" للقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي ت 703هـ / 1303م⁵ ؛وهو عبارة عن كتاب يتضمن العديد من تراجم رجال ونساء الأندلس ومن حل بها من المغاربة والمشاركة ،جاء على شكل تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وكتاب الصلة لابن بشكوال⁶.

7- "أخبار ملوك الأندلس" لأحمد بن محمد بن موسى الرازي 274-344 هـ / 887-955 م ،رجع إليه لسان الدين عند وصفه لإحدى أهم حواضر غرناطة وهي كورة البيرة التي اشتهرت قبلها وما امتازت به عن نظيراتها من الكور كغزارة المياه وكثير الثمار والمعادن⁷.

8- "كتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن"⁸ لمحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي وهو من أشهر شيوخ بن الخطيب الذين تتلمذ عليه ،وبحكم تقليده للمناصب العليا

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.94.

² نفسه ،مج4 ، ص ص. 349 ، 350.

³ نفسه ،مج1 ،ص ص. 107 ، 108.

⁴ نفسه ،مج1 ،ص ص. 109 ، 110.

⁵ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي ؛ العارف بالتاريخ الأسانيد والبارع في الشعر و الأدب ، تولى قضاء مراكش مدة ثم آخر عنها ، توفي بتلمسان في المحرم عام 703هـ / 1303م (أنظر: أبو الحسن النباهي ،المصدر السابق ،ص. 166).

⁶ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص ص. 97 ، 98 .

⁷ نفسه ،مج1 ،ص ص. 97 ، 98 .

⁸ نفسه ،مج1 ،ص. 372.

كالقضاء والولاية والإقراء بكل من الميرية ومالقة صادق الكثير من الشخصيات وشهد العديد من الأحوال دونها في مؤلفه المذكور على غرار كتبه الأخرى؛ "كالإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح" و"الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عني من الشيوخ والأتباع والأصحاب"¹، هذا ما جعله يكثر من الأخذ عنه في العديد من المناسبات.

9- "قلائد العقيان" لعلي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالفتح بن خاقان ت 529هـ/1134م؛ قرأ له بن الخطيب وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم كأبي الحسن بن سراج وابن دريد الكاتب، وكان يستشهد بما دونه في العديد من المناسبات بالإضافة إلى كتابه "مطمح الأنفس"².

واستخدم لسان الدين البعض من مؤلفاته الشهيرة التي نجده يعود إليها في الكثير من المناسبات علي رأسها المؤلف الموسوم بـ "التاج المحلى في مساجلة القذح المعلى"³ الذي يسرد فيه تاريخ نشأة موطنه وملوكه بني الأحمر وأعيانه حتى القرن الثامن الهجري⁴، وكذلك مؤلفه "عائدا الصلة"⁵ الذي وصل بها كتاب "صلة الصلة" لشيخه أبي جعفر بن الزبير ت 708هـ/1308م⁶.

وكان في العديد من المرات يذكر أنه رأى أو سمع هذا الخبر في أوانه أو تلك الترجمة من صاحبها؛ فعن الأول روايته مثلا لحادثة وثوب محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر 732-763هـ/ 1331 - 1361م على ملك غرناطة سنة 760هـ/1358م وما نجم عنها من آثار علقت في ذهنه فأسهب في ذكرها⁷، أما عن

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص- ص. 143 - 149.

² نفسه، مج4، ص ص. 248 - 250.

³ نفسه، مج1، ص. 54؛ مج4، ص. 461.

⁴ نفسه، مج1، ص. 54.

⁵ نفسه، مج1، ص. 58، ص. 153.

⁶ نفسه، مج4، ص. 104، ص. 460.

⁷ نفسه، مج1، ص- ص. 523 - 531.

الترجمة قوله عن الحاجب رضوان النصري ت 760 هـ / 1358م أخبرني أنه من القلصادة وأن انتسابه يتجاذبه القشتالية من طرف العمومة والبرجلونية من طرف الخؤولة¹.

تاريخ تأليف الكتاب :

لا يوجد تاريخ محدد يوضح متى بدأ لسان الدين في تأليف كتابه غير أن هناك إشارات قد تعطي للباحث صورة جلية لذلك ،منها أنه عند عودته من سفره إلى فاس عام 755 هـ / 1354م ،وبعد أن تقلد رضوان النصري منصب الحجابة والوزارة أخذ يدون الأسماء والألقاب وتاريخ المواليد والوفيات بمساعدة تلميذه أبو عبد الله الشريشي الذي أوكلت له مهنة تأديب أبناء السلطان الغني بالله ،حيث قام هذا الأخير بترتيب مسودات الكتاب وتبويبها ،وتم له ذلك قبل أن ينفي بن الخطيب إلى المغرب رفقة سلطانه سنة 761 هـ / 1359م² ،وذلك بعدما تغلب عليه أخوه الأمير إسماعيل على إثر انقلاب مدبر في 28 رمضان 760 هـ / 1358م³ ،وبعد تلك النكبة عاد إلى غرناطة عام 763 هـ / 1361م ،فواصل كتابة تراجمه إلي أن أتمه عام 769 هـ / 1367م⁴.

إضافة إلى ذلك ذكره العلامة عبد الرحمن بن خلدون أنه تلقى من بن الخطيب رسالة في جمادى الأولى عام 769 هـ / 1370م يعلمه فيها أنه بعث بنسخة من الإحاطة إلى المشرق⁵.

أهمية الكتاب :

يعتبر كتاب الإحاطة من المصادر الموثوقة التي تعطي لنا صورة جلية عن صفحات مجيدة من تاريخ الإسلام في الأندلس المتعددة المجالات خصوصا الفكرية منها ولبلد المؤلف غرناطة بوجه أخص التي شهدت في عصره في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي رقي حضاري كبير شابه في الكثير من الأحيان ذلك الذي كان قائما في قرطبة على

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص ص. 506 ، 507.

² نفسه،مج1 ،ص. 5 ؛المقري ،نفع الطيب ،مج7 ،ص ص. 107 ، 108.

³ نفسه ،مج1 ،ص. 24.

⁴ نفسه ،مج1 ،ص. 5.

⁵ بن خلدون ،التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ،ص. 121.

عهد عبد الرحمن الناصر ت 350هـ / 961 م¹، والحكم المستنصر 350-366هـ / 961-976 م²، والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ت 392هـ / 1001 م³.

فلسان الدين عاش قرابة ثلاث وستون عاما منه، ناهيك عن كونه أبرز مؤرخي وأدباء عصره وأوفرهم علما وفطنة، إذا ما استثنينا بعض الأعلام كالعلامة عبد الرحمن بن خلدون ت 808 هـ / 1406 م صاحب المقدمة الشهيرة وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ بن خلدون وابن مرزوق التلمساني، كان ذا مواهب فائقة ساعد على نموها وسعتها مكانته الرفيعة لدى ملوك بني نصر الذي لا يمكن ذكرهم دون الإشارة أو التوقف عند شخصيته الفذة التي صار صاحبها يطلق عليه اسم ذي الوزارتين "السيف والقلم"⁴.

وفي الآن ذاته ساعدته تلك الميزات الفكرية الرفيعة في التسيير المحكم لشؤون سلاطينه الذين تقلب في خدمتهم وعلو ذكره عندهم⁵.

ويمكن أن يستخلص المتصفح والمتمعن للإحاطة فوائد هامة تشير في مدلولها إلى مدى علو شأن العلماء والأدباء خصوصا هذا الرجل الفذ والليبيب الذي استطاع أن يوفق إلى أبعد حد فيما كتبه رغم انشغاله الكبير بقضايا الحكم وخفاياه، ومن أجل تلك الفوائد:

1- أن الكتاب يعتبر مصدرا هاما عرف برجل علا نجمه في سماء الأندلس وعم صيته بقاع مختلفة من العالم الإسلامي في وقته ومن بعد موته توضحه تلك المراسلات السلطانية والأدبية العديدة بينه وبين الأمراء المسلمين وسلاطينهم كرسالته إلى سلطان تلمسان الجديد أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن ت 753هـ / 1352 م⁶، إضافة

¹ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص. 14؛ بن عميرة الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ / 1989 م، ج1، ص. 39؛ المقري، نفح الطيب، مج 1، ص. 379.

² بن الفرضي، المصدر السابق، ص. 15؛ المقري، نفح الطيب، مج 1، ص. 396.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 102 وما بعدها.

⁴ نفسه، مج 4، ص. 451.

⁵ نفسه، مج 2، ص. 17.

⁶ نفسه، مج 4، ص. 53-54.

إلى رسالته لأبي إسحاق بن أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي¹ ،ناهيك عن الزيارات الميدانية التي كان يقوم بها في العديد من المرات خصوصا مع دولة بني مرين أثناء الفترات العصيبة التي كانت تشهدها طبيعة العلاقات بين غرناطة وممالك النصارى².

2- يكشف لنا بن الخطيب عن توارخ كثيرة لأحداث تركت أثرها الكبير في نفسه ،كموقعة ساللا دو سنة 741 هـ/ 1340 م والتي استشهد فيها أبوه وأخوه في ساحة المعركة ضد جيوش النصارى ،وكذلك موت رئيسه في الخدمة أبو الحسن بن الجباب بطاعون سنة 749 هـ/ 1348 م والتي عجلت بيزوغ نجمه في سماء السياسة الغرناطية.

3- يظهر في العديد من المناسبات حالات الاضطراب التي كانت تشهدها إمارات الأندلس وتتأخر أمرائها فيما بينهم ،وذكر سقوط العديد منها في أيادي النصارى كما حدث مع ماردة التي سقطت سنة 627 هـ/ 1299³ ،وبلنسية سنة 636 هـ/ 1238 م⁴ ،دون إغفاله للدسائس والمؤامرات التي كانت تحدث داخل بلاط غرناطة من حاشية الملك بين الحين والآخر⁵.

4- يبرز الكتاب مدى سعة ثقافة بن الخطيب وقدرته على استحضار العديد من المعلومات التي أخذها عن أقرانه وعلماء عصره سواء من جالسهم أو من وصل إنتاجهم نتيجة شغف الكبير بالمطالعة ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الشخصيات التي تقصى عنها وسرد أحوالها.

5- يميظ صاحبه اللثام عن الكثير من القضايا الاجتماعية التي كانت سائدة في الأندلس عموما وغرناطة على وجه الخصوص من عادات وتقاليد ومراسيم الاحتفالات في الأعياد والمناسبات ،كما أنه حفل بالعديد من الفوائد من الآراء النقدية والألفاظ اللغوية الراقية وقدر كبير من الأشعار في مختلف الأغراض.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص ص 53، 54، ص 561 وما بعدها.

² نفسه ،مج4 ، ص 324 وما بعدها.

³ نفسه ،مج2 ،ص 130.

⁴ نفسه ،مج1 ،ص 176.

⁵ نفسه ،مج2 ،ص 137.

8 / مخطوطات الكتاب:

تعددت مخطوطات كتاب الإحاطة واختلفت سواء من حيث مكان تواجدها أو من حيث حجم كل مخطوط ونسخه، ويعتبر محمد عبد الله عنان أن مخطوطة مكتبة الإسكوا ريال بمدرید هو أقرب النسخ المخطوطة من الصواب والتي ضمت أقرب النصوص والتراجم للمؤلف الأصلي مقارنة بالمخطوطات الأخرى التي ينقصها العديد من الفقرات والمختارات النثرية على اختلاف أحجامها¹، وتحتوي هذي النسخة على قطعتين كبيرتين من كتاب الإحاطة تقع إحداها تحت رقم 1688 وتضم إحدى وخمسمائة صفحة كبيرة مكتوبة بخط أندلسي معنونة بأنها السفر الثاني من "مختصر الإحاطة" وكتب عليها " الحمد لله تملكه عبد الله تعالى زيدان أمير المؤمنين بن أحمد المنصور أمير المؤمنين "، وورد في نهاية المخطوط في لوحته ما قبل الأخيرة قول بن الخطيب: " قلت هنا انتهى هذا التأليف المسمى بالإحاطة في تاريخ غرناطة على سبيل الاختصار وتحصل منه ما أردنا من هذا المقدار، ووهبناه للناظر فيه هبة ليست بهبة اعتصار بل هي لتحصيله ذات انتصار"².

أما القطعة الثانية فتحمل رقم 1699 وتضم خمسة وتسعون ومائة صفحة ذات حجم كبير، ضمت تراجم حروف الميم واللام، ورد في ختامها أنها كتبت في 15 رمضان عام 806 هـ؛ أي بعد وفاة صاحبها بثلاثين عاما³.

ويأتي مخطوط مكتبة جامع الزيتونة بتونس في المرتبة الثانية من حيث الأهمية إذ يحتوي على ثلاث نسخ من الإحاطة حملت الأرقام 3522، 3523، 3524 وبعد نقلها إلي مكتبة العطارين بدار الكتب الوطنية أصبحت تحمل أرقام 8134، 8135، 8136 علي التوالي⁴، يحتوي المجلد الأول على 335 لوحة كبيرة ويضم الثاني 299 لوحة بينما يتكون الثالث من 302 صفحة ضمت هذه النسخ تراجم العديد من الشخصيات المهمة على رأسها السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر والسلطان

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 8.

² نفسه، مج 1، ص. 13.

³ نفسه، مج 1، ص. 14.

⁴ أنظر: صورة لمخطوط الإحاطة الملحق رقم: 04.

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قيس الخزرجي ،وختمت بترجمة يحي بن إبراهيم بن يحي البرغواطي ت768/هـ 1366م.

كتبت النسخ بخط مغربي ووسمت في نهاية السفر الثالث بأنها كتاب الإحاطة وأنه في الثامن والعشرين من جمادى الثانية عام 774 هـ / 1372 م¹ وهي تحمل في أولها صيغة وقف تحبيس وفي أسفلها توقيعات الواقف والشهود².

BEBLEOTICA ACADEMIA DE HISTORIA DE LA REAL أكاديمية التاريخ بمدرید

نسخة كاملة من كتاب الإحاطة تحتوي على ثلاث مجلدات حملت اسم كوديرا نسبة إلى عضو أكاديمية التاريخ الملكية الذي قام بنسخها وهي منقولة عن نسخة فاس بالمغرب ونسخة جامع الزيتونة بتونس حسب ما جاء في مذكرتها بالإضافة إلى نسخة جاينجوس وهي الأخرى موجودة بمكتبة الأكاديمية السالفة الذكر وتضم النسخة مائتين وتسعين ورقة مكتوبة بخط أندلسي قديم تبدأ صفحتها الثانية بـ " بسم الله الرحمن الرحيم ،صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب"³.

كما توجد بدار الكتب المصرية ثلاث قطع كبيرة من الإحاطة لا تحمل الأولى أي تاريخ بينما تحتوي الثانية على 101 لوحة مزدوجة والثالثة 111 لوحة مزدوجة وهما منقولتان عن نسخة مدينة فاس ومكتوبة بخط مغربي جميل⁴.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص ص. 10،11.

² أنظر: ما جاء في صيغة وقف تحبيس كتاب الإحاطة الملحق رقم: 03.

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص ص. 11 ، 12.

⁴ نفسه ،مج1 ،ص.15.

الفصل الثاني

طرق ومؤسسات التعليم

- طرق التعليم
- المؤسسات التعليمية
- دور الحكام في الحياة العلمية
- دور العلماء
- دور العامة

لا يمكن التطرق إلى الحياة العلمية لأية دولة من الدول ،وفي أي حقبة كانت دون التعرض لمناهج التعليم وطرقه ومراحلہ يليه بعد ذلك النظر في دور مؤسساته من كتابيب ومساجد ومدارس ومكتبات باعتبارها قواعد تتطلق منها بواذر الرقي الحضاري، ويتم بواسطتها التعرف على مدى فاعلية هذه المنشآت العلمية في المجتمع على اختلاف أطيافه وتفاعل أفرادہ معها، بدءا بهرم السلطة من أمراء ووزراء مرورا بأهل الحل والعقد من علماء وقضاة ومستشارين وصولا إلى عامة الناس من فلاحين وحرفيين تمثل في مجملها عائلات طلبة العلم ،وذلك ما سنحاول إسقاطه على مملكة غرناطة حتى يتسنى للباحث والقارئ على حد سواء عقد مقارنة بينها وبين نظيراتها من إمارات الأندلس خاصة و الدول الإسلامية عامة في أوقات الشدة والرخاء.

طرق التعليم بغرناطة :

1/ الإقراء:

يعتبر الإقراء¹ من أشهر طرق التعليم التي كانت منتشرة في غرناطة كغيرها من إمارات الأندلس، ويطلق على ممارسه إسم المقرئ وصفته أن يمسك المعلم كتابا ويقرأ منه ويقوم الطلبة بكتابة نسخهم أو أن يكلف الأستاذ أحد الطلاب بالقراءة في حضرته ويقوم البقية بالكتابة بينما يعمل هو على تصحيح القراءة وتقديم النطق السليم للكلمات والمواضع الصحيحة للوقف والابتداء وهذه طريقة شهيرة في تعليم القراءات القرآنية²، وقد خصص بن الخطيب فصلا ذكر فيه عددا من المقرئين؛ سواء من ذو الأصول الغرناطية أو ممن دخلوها؛ منهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن يوسف بن جزى الكلبى ت 741هـ / 1340م صاحب المؤلفات العديدة مثل كتاب **أصول القراء الستة غير نافع**، كان من أبرز المقرئين والقائمين للتدريس، أهله إليه إلمامه للعديد من الفنون من عربية وأصول فقه³، وأبو محمد عبد الله بن على بن سلمون الكنانى ت 741هـ/1340م صاحب الكتاب المسمى **الشافى فى تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافى**، قرأ على شيوخ عدة كأبى جعفر بن الزبير فى غرناطة والمكتب أبو الحسن البلوطى، وبسببة على المقرئ أبا القاسم بن الطيب فسمع وأسمع وأقرأ⁴.

وكذلك أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود الأنصارى الأزدي ت 612هـ / 1215م الذى يصفه بن الخطيب بأنه ذا سماع جم لم يشاركه فى أحد من أهل المغرب

¹ يقصد بالإقراء قراءة الطالب على أستاذه ما حفظه من كتابه أو صدره، ويسمىها أغلب المحدثين عرضا كونه يعرض فيها على شيخه، واشترط فى المقرئ أن يتمتع بصفات خلقية حميدة، ومستوى علمي راق لكي يكون ثقة بين الناس (أنظر: جلال الدين السيوطي، **تدريب الراوي فى شرح تقريب النواوي**، شرح ألفاظه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صالح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م، ج2، ص8).

² السيوطي، **الإتقان فى علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1418هـ/1997م، ج1، صص. 279، 280.

³ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص. 20 وما بعدها.

⁴ نفسه، مج3، صص. 400، 401.

حيث قرأ أكثر من ستين تأليفا بين الكبار والصغار وأخذ على أبو محمد بن عبد الله من ستة وثلاثين تأليفا بين قراءة وسماع منها الصحيحان¹.

ومن الذين اشتهروا أيضا قاضي غرناطة وكاتبها محمد بن أحمد بن حيون الذي تحيز إلى التحليق لتدريس العلم وتفرغ لإقراء العربية والفقهاء²، وأبو القاسم محمد بن أحمد بن علي الغساني الذي كان يقرأ الفقه والعربية معا³.

2/ الإجازة:

جاء في تعريف الإجازة أنها أذن من الأستاذ لتلميذه أن يروي عنه مروياته أو مسموعاته أو بعضا منها⁴ وتضاربت آراء المحدثين بين قبول ورفض حول ما إن كانت الإجازة طريقة كافية لنقل العلم لوحدها؛ فمن الصنف الأول الحسن البصري وابن شهاب الزهري⁵، والصنف الآخر مثله شعبة وعطاء⁶؛ حيث قالوا: "لو صحت الإجازة بطلت الرحلة"⁷، ومنهم من حملها محمل الفتيا أي أنه من عرف عنه العلم والدين جاز له أن يعلم يعلم ويفتي⁸.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، صص 416، 417.

² نفسه، مج2، ص. 183.

³ نفسه، مج3، ص. 64.

⁴ السيوطي، تدريب الراوي، ج2، ص. 19 وما بعدها.

⁵ أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، الكفاية في علوم الرواية، تحقيق وتعليق أحمد عمر هاشم، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص. 350.

⁶ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي، التقويد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة بن الصلاح، وضع حواشيه: محمد عبد الله شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م، ص. 180.

⁷ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص. 353.

⁸ الونشريسي، المعيار المعرب في فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج11، ص. 17.

وتجلت مظاهرها في أن الشيوخ كانوا يكتبونها لطلابهم على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتب يثبتون فيها لهم قراءتها ويجيزون تدريسها¹.

وقد شهدت غرناطة العديدة من طلبة العلم الذين كانوا يأتونها طلبا للإجازة عن شيوخها وعلمائها كما هو حال أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي الفقيه المفسر من أهل بجاية الذي أجازته الشيخ أبو عبد الله بن الفخار الشهير بالإلبيري بغرناطة عام 753هـ / 1352م وذلك ما ساعده على تصدر الفتيا بها، ويذكر بن الخطيب أنه أجازته رفقة أبنائه الثلاثة عبد الله ومحمد وعلي²، والأمر نفسه مع أبو عبد الله بن محمد بن أحمد جزي المقرئ الذي أجازته جمع من الشيوخ منهم أبو عبد الله محمد بن بيبش الذي منحه إجازة عامة لجميع كتاب الموطأ وأغلب كتاب الشفا للقاضي عياض والشيخ أبو الحسن بن الجياب وأثير الدين أبو حيان³.

وكذلك أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله المعروف بابن سلون ت 741هـ / 1340م مؤلف كتاب الشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي، أجازته جمع من الشيوخ منهم بغرناطة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن النولي وأبو عمران موسى الداري برندة، ومن أهل المشرق عز الدين أحمد بن محمد الحساني وابن دقيق العيد⁴.

ولم يقتصر طلب الإجازة على طلبة العلم بل تعداه إلى أصحاب الوظائف السامية كما هو حال القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الغافقي ت 731هـ / 1330م صاحب كتاب المنهاج لترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله بن الحاج أجازته كل من أبي جعفر الطباع وأبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن بن الصائغ الإشبيلي⁵.

¹ لبيب عبد الستار، الحضارات، ط14، دار المشرق، بيروت، 1997م، ص.273.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص- ص. 324-329.

³ نفسه، مج3، ص-ص. 392-395.

⁴ نفسه، مج3، ص- ص. 400-404.

⁵ نفسه، مج3، ص ص411، 412.

وكذلك القاضي أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد الأنصاري ت 745هـ/ 1344م الذي أجاز له جمع كبير من العلماء قرأ عليهم كأبي الحسن بن فضيلة والحاج أبو محمد بن جابر¹، والأمر نفسه مع الطبيب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن الزبير ت 683هـ/ 1284م شقيق أبو جعفر بن الزبير الذي أجاز له كل من أبو بكر المحرز وأبو الحسن الشاري².

ومن الإجازات ما كانت تعطى عامة لكل من عاصر شيخا من الشيوخ مثل تلك التي منحها الإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ الباوي لكل من أدرك عام أحد وأربعين وستة مائة للهجرة³.

كما كانت الإجازة مطلبا للكثير من طلب العلم على اختلاف أصقاع بلدانهم يحملون أنفسهم ويكابدون عناء السفر من أجلها؛ من ذلك ما ذكره بن الخطيب عن أهل بغداد الذين طلبوها من الأندلسيين فكتبها لهم أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عسكرت 636هـ/ 1238م صاحب المؤلفات العديدة أشهرها "المشروع الروي في الزيادة عن المروي" و"نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر"⁴.

ومما ورد في شأن الإجازة ما أورده أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري المعروف بالساحلي ت 752هـ/ 1351م من شعر قال فيه :

أجزت لهم أبقاهم الله كلما رويت عن الأشياخ في سالف الدهر

وما سمعت أذناي عن كل عالم وما جاد من نظمي وما راق من نثر

على شرط أصحاب الحديث وظبطهم برى من التصحيف عار من نكر⁵

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص ص 413، 414.

² نفسه، مج 3، ص. 419.

³ نفسه، مج 1، ص. 289.

⁴ نفسه، مج 2، ص. 172 وما بعدها.

⁵ نفسه، مج 4، ص. 406.

وكذلك ما قاله أبو الحسين محمد بن أحمد التلمساني ت746هـ/1345م عن إجازته والتي جاء فيها:

ولدت لعام من ثلاث وعشرة
وست مئتين هجرة لمحمد
تطوفت قدما بالحجاز وإنني
بمصر هو المربلي وسبته مولد¹

3/ الرحلة:

ألف العرب الرحلات² التجارية منذ القديم والتي كانت أغلبها في أولى أمرها تتم بين اليمن والشام³، وصارت فيما بعد من أهم روابط التواصل بين بقاع الإسلام المترامية الأطراف التي اتسعت بفضل الفتوحات الإسلامية حيث ساعد هذا الاتساع العلماء والرحالة على الحركة دون قيود، لذا وجدت في تراجم العديد منهم مصطلح الرحلة من بلد لآخر⁴.

كما كانت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا بين طلبة العلم في العهود الإسلامية، حيث اعتبرت فكرة ملاقة الشيخ والجلوس إليه ذات أهمية بالغة لا بد منها في تحصيل العلم⁵، فلم يكتف الطالب بقراءة مؤلفات شيخ من الشيوخ وإنما حرص على قراءتها عليه أو سماعها منه حتى يتفقه فيها أكثر ويستفيد من علمه، لعل أبرزها رحلة أبو عبد الله البخاري في طلب الحديث على علماء البصرة⁶.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.202.

² الرحلة مأخوذة من الإرتحال فيقال ارتحل القوم عن المكان أي انتقلوا إلى غيره ورحل الرجل ترحيلا فهو راحل، وأرحل إذا كثرت رواحله (أنظر: الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص.1005).

³ عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008 م، ص.211.

⁴ أحمد فراج حسين، المدخل للفقهاء الإسلاميين، د.ط، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2002م، ص.151.

⁵ بن خلدون، المقدمة، ص.559.

⁶ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ج2، ص.15.

والرحلة في بلاد المغرب الإسلامي عدت منذ الوهلة الأولى اتجاه المشرق إحدى الصفات التي تميز بها رجاله بحثا عن المعرفة، غير أنها تراوحت بين الطابع الديني والعلمي؛ فالديني كان بدواعي قضاء مناسك الحج¹ وزيارة المسجد النبوي²، إضافة إلى الإطلاع على المواقع التي شهدت أحداثا حاسمة في تاريخ الإسلام في أوائل عهده بغية أخذ العبرة والاستذكار³، أما العلمي فكان بهدف ملاقة الشيوخ والجلوس في حلقتهم مع الإطلاع على مؤلفات مشاهيرهم، ناهيك عن دورها الهام في تفعيل روابط الأخوة وتبادل الأفكار بين أبناء الأمة الواحدة خصوصا في موسم الحج⁴.

والأمر الجدير بالاهتمام هو أن كتب الرحلات جاءت قليلة إذا ما قورنت بمؤلفات أخرى كالتاريخ وكتب السير والطبقات، لكن ذلك لم يمنع ما قل منها من أن تحفل بالمعلومات الهامة والأخبار النادرة نظرا لحرص أصحابها على تدوين كل صغيرة وكبيرة شاهدها أو سمعوا بها، فصارت التأليف التي اهتمت بهذه الظاهرة تعرف بكتب الرحلات لعل أبرزها رحلة بن بطوطة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي ت1375/777م التي سماها صاحبها **بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**⁵ ورحلة العياشي المعروفة بماء الموائد⁶ ورحلة أبو عبد الله محمد بن عمر بن

¹ ذكر ابن الخطيب أن سلاطين غرناطة كانوا حريصين على أداء مناسك الحج حيث كانوا يصطحبون إليها العلماء وذوي المعرفة بشؤون الرحلة كما هو شأن السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن نصر التي صاحبه أبو عبد الله بن رشيد الفهري صاحب الرحلة المعروفة باسمه (أنظر: الإحاطة، مج2، ص.445).

² جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا بخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء غير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره (أنظر: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة، السنن، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.ط، ص.57، حديث رقم: 227).

³ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط، ص.54.

⁴ محمد محمود محمددين، التراث الجغرافي الإسلامي، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1419هـ/1999م، ص.46.

⁵ مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس: آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص.205.

⁶ أبو عبد الله محمد بن عمر، رحلة ابن رشيد السبتي، دراسة وتحليل: أحمد حدادي، د.ط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424هـ/2003م، ج1، ص.225.

رشيد السبتي ت 1321/هـ 721م الشهيرة بـ "ملئ العيبة"¹، إضافة إلى رحلة أبو البقاء خالد البلوي المسماة بـ " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"²، وكتاب "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام" لمحمد بن أحمد الصباغ المكي³.

ساهمت كلها في إعطاء صورة جلية لصفات ذلك العصر وأعلامه وأحواله الثقافية، ناهيك عن ما قدمته من تعريفات لبلدان ومواقع ومسالك طرق كانت مجهولة عند الكثيرين من ذي قبل.

كما اهتم الأندلسيون بدورهم بالرحلة لتحصيل العلم فآلفوا فيها الكتب حرصا منهم على تسجيل أخبار المشرق الإسلامي وتعريف أهل بلدهم به، ويتجلى ذلك في عديد المؤلفات منها كتاب الرحلة لصفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي ت 1201/هـ 598م⁴، وكتاب ترتيب الرحلة للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري ت 1148/هـ 543م⁵.

ومن الذين اشتهروا بالرحلة في غرناطة نجد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن لب ت 1324/هـ 725م من نبهاء الطلبة الغرناطيين، رحل إلى المشرق عام 1320/هـ 720م فاستقر بالقاهرة بمدرستها الصالحية التي أقرأ بها العربية واشتهر بعدها بأبي عبد الله النحوي⁶.

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي ت 1308/هـ 708م كاتب ديوان الإنشاء بالمملكة الذي رحل إلى المشرق مرات عديدة منها تلك التي رافق فيها العلامة أبو عبد الله بن رشيد الفهري عام 1284/هـ 683م حاجا بيت الله الحرام ومنه إلى المدينة النبوية فدمشق مارا في طريق عودته ببجاية بحثا عن مجالس العلم والرواية⁷.

¹ عبد الله كنون، المرجع السابق، ج 1، ص 392.

² مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 205.

³ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج 6، ص 21.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص 350.

⁵ المقرئ، نفح الطيب، مج 2، ص 36.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص 434.

⁷ نفسه، مج 2، ص 445.

والأمر نفسه مع أبو عمرو محمد بن علي التجيبي ت 602/1205م الراوية الثقة
،رحل إلى الإسكندرية فسمع بها مسائل العلم على أبي عبد الله بن منصور وجمع من
العلماء¹.

بالإضافة إلى أبي محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الغافقي ت 731/1330م الذي حج
سنة 687/1288م فالتقى بجمع من الشيوخ أمثال الإمام بن دقيق العيد والحافظ أبو
محمد عبد المؤمن الدمياني².

كما كان العديد من الرحالة الغرناطيين سواء من الحجيج أو من طلبة العلم ما
يتعرضون لعدد المصاعب والمخاطر في سبيل بلوغ مرامهم وقد تنتهي في نهاية المطاف
بالهلاك ؛من ذلك ما حدث لأبي بكر محمد بن عبد الله بن مقاتل الذي غرقت به السفينة
وبجملة من مرافقيه طلبة وأدباء حينما عزموا على الرحلة نحو المشرق سنة
739/1338م³.

والأمر ذاته حدث مع عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدي الشهير بابن القصير
ت 576/1180م الذي غرق في البحر قبالة مرسى تونس بعد تعرض السفينة التي كانت
تقله نحو الحج إلى اعتداء من طرف النصارى⁴.

ومنهم من كان يستقر في البلد الراحل إليه دون عودة إلى بلده لظروف قد تطرأ عليه
أو لحال رآه مختلفا عن بلده أثر في ذلك مثل ما حدث مع أبو عبد الله محمد بن محمد بن
الشديد الذي رحل إلى الحجاز التي طال بها بقاءه وانقطعت أخباره⁵.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 228.

² نفسه، مج 3، ص. 412.

³ نفسه، مج 2، ص. 380.

⁴ نفسه، مج 3، ص. 483.

⁵ نفسه، مج 2، ص. 386.

المؤسسات التعليمية :

1/ الكتابات:

جاءت هذه الكلمة للتعبير عن المكان الذي يتعلم فيه الصغار مبادئ العلم وجمعها مكاتب وكتاتيب¹ ويطلق على من يتولى التعليم به إسم المكتب².

ويشير الزبيدي أن هذه المهنة ظهرت في الأندلس بشكل ملفت للانتباه وذلك حينما

يتعرض لشخصية الغازي بن قيس ت199هـ/814م³ الذي كان ملتزما بالتأديب في قرطبة أيام دخول عبد الرحمن الداخل ت172هـ/788م⁴ إليها، وكيف كان يتعامل المؤدبون مع المتعلمين الصبية وذويهم⁵.

كما أن بن القوطية بدوره يذكر ما دار بين الصميل بن حاتم وبين أحد المؤدبين أثناء عملية الإقراء وأشار أن هذا النقاش وقع عرضا وذلك بمرور الصميل بمكتب المؤدب وهذا فيه دليل على وجود هذه المؤسسة التعليمية وأنها كانت ظاهرة للعيان بحيث

¹ بن منظور، المصدر السابق، مج6، ص.699.

² اشترط في معلم الكتاب أن يكون صحيح العقيدة تجنباً لفساد عقيدة الصبية، لذا حرص الآباء على التأكد من عقيدة معلم

أبنائهم قبل بحثهم عن دينه في الفروع (أنظر: تاج الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم " الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية ، تصدير أحمد عبيدلي ، ط2، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1985م ، ص.130).

³ يعتبر الغازي بن قيس أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس وكذلك أول من أدخل إليها قراءة نافع (أنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط.، دار المعارف، مصر، 1973م، ص.254).

⁴ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الدمشقي الأموي المعروف بالداخل أو صقر قریش ت172هـ/787م ، دخل إلى الأندلس بعد زوال خلافة بني أمية سنة 132هـ/749م وصار أميراً بقرطبة على إطاقته بيوسف الفهري عام 138هـ/755م (أنظر: بن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج1، ص.281).

⁵ الزبيدي ، المصدر السابق ، ص.254.

يسمع ما كان يجري فيها من تلقي علوم المشرع¹، خصوصا وأن منها ما كان يقام بالشوارع الأهلة بالناس وبالقرب من الدكاكين نظرا لإلحاح أهل الرقابة على ذلك².

ورغم أن الكتاب كان في أول الأمر ملحقا بجوار المسجد يأتيه الصبية³ لقراءة القرآن الكريم⁴ إلا أنه صار فيما بعد هيكلا مستقلا بنفسه خصوصا بعد أن كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم وكثر الولدان حيث أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁵ ببناء بيوت المكاتب وعين الرجال لتعليم الصبية وتأديبهم⁶، غير أن ذلك لم يمنع من وجود البعض منها بداخلها؛ من ذلك ما ذكره الخشني عند حديثه عن ما دار بين القاضي عمرو بن عبد الله ومعلم الصبية مؤمن بن سعيد نظرا لقرب المجلسين من بعضهما⁷

¹ أبو بكر بن القوطية، تاريخ افتتاح تاريخ الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ / 1989 م، ص. 60؛ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص. 347.

² أبو عبد الله محمد السقطي الملقب، كتاب في آداب الحسبة، تح: كولن ولفي بروفنسنال، د.ط، مكتبة أرنست لوروكس، باريس، د.ت.ط، ص. 68.

³ محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، د.ط، دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، د.ت.ط، ص. 73.

⁴ القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة روه عن الرسول صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتوغل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة، تواترها نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت القراءات السبع أصولا للقراءة (أنظر: بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ، ص. 419).

⁵ هو الصحابي الجليل أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح وأمه حنتمة بنت هاشم ابن المغيرة، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها أول من لقب بأمر المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، له فضل كبير في الإسلام على عهد النبوة وبعدها، مات سنة 23هـ من أثر طعنات أبو لؤلؤة المجوسي (أنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1418هـ/1997 م، ج3، ص. 318 وما بعدها).

⁶ محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، إعتناء وتحقيق عبد الله الخالدي الخالدي، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.ط، ج2، ص. 200.

⁷ أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني، قضية قرطبة، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989 م، ص. 149، 150.

، فكانت هذه الحادثة وشبهاتها سببا في نهى رجال الحسبة عن إقامة المكاتب في جوف المساجد من ذلك ما أقره بن عبدون الاشبيلي كون المساجد هي بيوت الله ومواقع الذكر والعبادة ، مشهورة بالطهارة لذا وجب أن لا يؤدب فيها الصبية لأنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم ، غير أنه عند الحاجة لم يرى بأسا في إقامتها بالسقائف¹.

والجدير بالإشارة أن الأيام الأولى في تعليم الأطفال² تكون صعبة ، لذا استوجب على أهل المتعلمين والمعلمين أنفسهم أن يسهروا على تعويدهم على هذا النمط الجديد في حياتهم ؛ ومن ذلك أن يعتاد الطفل على التفكير في الذهاب إلى المكتب أين يبقى هناك إلى قرابة الظهر ، بعدها يعود إلى منزله للغداء وأخذ قسط من الراحة ثم يرجع إلى المكتب من جديد لبدأ الدراسة بعد الظهر بقليل لينصرف إلى بيته وهكذا دواليك³.

وهذه الطريقة وشبهاتها أثرت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمره لعابد بن عبد الله الخزاعي بأن يلزم تعليم الصبية من بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى ، ثم من الظهر إلى صلاة العصر ويسرحهم بقية النهار ، ولا يلزمه الله بشرط أو عادة كعادة أهل البادية في إقرائهم السور ليلا⁴.

غير أن هناك من لم يحدد للتعليم أوقات معينة يجب إتباعها ومن ذلك ما قاله الونشريسي "وسئل أبو الطيب عبد المنعم بن خلدون الكندري ت421هـ/1030م هل

¹ محمد بن أحمد بن عبدون الاشبيلي ، رسالة في الحسبة ، تح: ليفي بروفنسال ، د.ط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م ، ص.24.

² يصف بن خلدون تعليم القرآن الكريم وتحفيظه للولدان بأنه شعار من شعائر الدين الذي أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من الآيات وبعض متون الأحاديث ، فصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات ، بالإضافة إلى أن التعليم في الصغر أشد رسوخا كونه أصل لما بعده (أنظر : المقدمة ، ص.556).

³ أحمد فؤاد الأهواني ، التربية في الإسلام ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1968م ، ص.65.

⁴ أحمد بن أبي جمعة المغراوي ، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان ، تحقيق وتعليق: أحمد جلولي البدوي ، رابح بونار ، د.ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ت.ط ، ص.51.

يجلس المعلم من الصبح إلى المغرب أو عند طلوع الشمس إلى الإسفار؟ "فأجاب أما وقت جلوس المعلم وقيامه فبحسب العرف، وما تعاذه أهل التعليم في كل بلد"¹.

أما عن طريقة التعليم في الكتاب فصورتها أن يقرأ المعلم آية من آيات الذكر الحكيم ويقوم الطفل بترديدها إلى أن يحفظها وهكذا²، غير أن البعض كانوا يلجئون إلى تعليم الصبية قصار السور القرآنية وهو ما أقره بن مرشد بقوله: "وأول ما يبدأ به المؤدب في تعليمه الصبي تحذيقه كتاب الحرف وقراءتها حتى يألف ذلك ثم يشرع في تحفيظه السور القصار من القرآن"³، وأن يجعل لتفقد حفظه وقتا معلوما مثل يوم الخميس أو الأربعاء يعرض الصبي عليه⁴.

ونظرا لدور المكتب الهام في نشر العلم صار شيوخه يجلسون لدى العام والخاص بغرناطة كغيرها من إمارات الإسلام ويتميزون بألقاب سامية تدل على رفعة قدرهم وعلو شأنهم أشهرها لقب معلم كتاب مثل أحمد بن عبد الملك العدوي الذي يقول عنه بن الخطيب "وهو اليوم من معلمي الكتاب"⁵، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني الغرناطي المعروف بالعواد ت750هـ/1349م الذي يصفه بـ "الشيخ المكتب الأستاذ الصالح، سابق الميدان وعلم أعلام القرآن في إتقان تجويده والمعرفة بطرق روايته والإطلاع بفنونه"⁶.

كما ذكر العديد من أسماء الذين اشتهروا بقوامتهم على الكتاب أمثال أبو القاسم محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي الذي يصفه بأنه أصبح صدرا في الكتاب وسهما في الكتاتيب⁷، وأبو عبد الله محمد بن محمد الخولاني الشهير بالشريشي ت718هـ/1318م

¹ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص.152.

² محمد عطية الأبراشي، المرجع السابق، ص.184.

³ بن مرشد، المرجع السابق، ص.138.

⁴ أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص.360.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.149.

⁶ نفسه، مج2، ص.33 وما بعدها.

⁷ نفسه، مج2، ص.250؛ ربحانة الكتاب، ج2، ص.383.

الذي يعد من الذين كانوا يقعدون في هذه المؤسسة التعليمية لمزاولة التدريس ؛حيث أكتب للصبيان في بعض أطوار التعليم¹.

وفي رسالته إلى صديقه عبد الله اليتيم يعطينا أصدق تعبير عن تلك المكانة الرفيعة بقوله: "وإني لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمرا فوق المراتب من كل مسيطر الدرة ،متقطب الأسرة متمم للوارد تنمر الهرة، يغدو إلى مكتبه والأمير في موكبه"².

ولعل من أبرز الكتاتيب التي شهدتها غرناطة تلك الزاوية التي كان لابن الخطيب دور كبير في إنشائها بأخشارش أحد أحياء الحضرة الملكية بجوار جامع البكري³.

2/المسجد:

عد المسجد⁴ عند قيام دولة الإسلام كمركز للإمارة تنظم فيه شؤون المسلمين لذا كان يقام في وسط المدينة حتى يسهل الوصول إليه⁵ ،وإلى جانب وظيفة المساجد التعبدية التعبدية كإقامة الصلاة⁶ وتعليم الناس الحلال و الحرام⁷ كانت تؤدي رسالة حضارية حضارية في مختلف جوانب الحياة⁸ جمعت بين الروح والمادة اللتين ساهمتا معا في

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص.167.

² نفسه ،مج3 ،ص.ص.100،101.

³ نفسه ،مج3 ،ص. 40.

⁴ المسجد والمسجد هو المكان الذي يسجد فيه ،وجمعه المساجد ،وهو كل موضع يتعبد فيه ،وسجد يسجد سجودا أي وضع جبهته على الأرض (أنظر: بن منظور ،المصدر السابق ،مج3 ،ص.240).

⁵ أحمد عبد الفتاح رواس قلعة جي ،مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، دار قتيبة، بيروت ،1991م،ص.61.

⁶ طه الولي ،المساجد في الإسلام،ط1،دار العلم للملايين ،بيروت ،1409هـ/1998م ،ص.158.

خير الدين وانلي ،المسجد في الإسلام:أحكامه ،آدابه،بدعه ،ط4 ،المكتبة الإسلامية

⁷ ،الأردن،1419هـ/1998م،ص.211.

⁸ إبراهيم بن صالح الخضير ،أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية،د.ط، مطابع الشرق الأوسط ،الرياض ،د.ت.ط، د.ت.ط، ج1، ص.8.

تفعيل البناء الحضاري¹، وصارت بمرور السنين من أهم المراكز التي يلتقي فيها الطلبة بشيوخهم لأخذ العلوم الشرعية ودروس اللغة والنحو، وهذا ما أشار إليه الونشريسي عندما استفتي في أمر جماعة كانوا يحلقون في المساجد للفتيا ومذاكرة العلم²، لذا كانت تغص بحلقات الذكر والوعظ من إقراء لقرآن ونشر لحديث³.

وباعتبار مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام وضع فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجر أساسه⁴ وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين"⁵ وفي فضله قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الصحابي أسيد بن ظهير الأنصاري "الصلاة في مسجد قباء كعمرة"⁶، ناهيك عن دوره الفعال كأول مؤسسة شرعية قامت بتبليغ شرائع الإسلام من عقيدة وعبادات ومعاملات⁷ لذا عمل النبي عليه السلام رفقة صحابته الكرام بعد انتقاله من قباء على تشييد مسجده في مكان كان قد اتخذ أسعد بن

¹ أحمد عبد الرحيم السايح، المساجد ودورها الثقافي، مجلة الداعي، تصدر عن الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند، الهند، العدد 01، السنة 24، 1421هـ / 2000م، ص. 11.

² الونشريسي، المصدر السابق، ج 9، ص. 27.

³ مفتاح محمد دياب، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة العربية الإسلامية، ط 1، الهيئة القومية للبحث العلمي، بنغازي، 1401هـ/ 1992م، ص. 35.

⁴ أبو محمد عبد الملك الحميري المعارفي البصري، السيرة النبوية، حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدماتها وفهارسها عبد الرؤوف سعد، د. ط، دار الجليل، بيروت، د. ت. ط، مج 2، ج 3، ص. 22.

⁵ سورة التوبة: الآية: 108.

⁶ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، حققه وعلق عليه: الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ج 2، ص. 190، حديث رقم: 460.

⁷ محمد حسن شراب، المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، ط 1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1415هـ/ 1994م، مج 1، ص ص 354، 355.

زرارة 1 للصلاة فيه مع أصحابه من قبله 2.

ولمكانة المسجد عند المسلمين حرصوا على صيانتها من كل ما هو داخل في باب الإذابة من طرح لقاذورات في محيطه 3 ونهي عن تجارة 4 أو إنشاء ضالة به 5.

وغرناطة كغيرها من أمصار الإسلام شهدت الأمر نفسه بل كانت في الكثير من الأحيان أشد تشبها بهذه المؤسسة الشرعية الرئيسية خصوصا في فترات الاضطرابات؛ سواء الخارجية مع ممالك النصارى المجاورة وذلك ببعث روح الجهاد والحث على الدفاع عن ديار الإسلام أو الداخلية بإخماد الفتن وحركات الانقلابات المتكررة التي كانت تثيرها الفئات الناقمة على سياسة بعض سلاطين المملكة بين الفينة والأخرى، من ذلك الثورة التي قام بها الشيخ علي بن أحمد بن نصر بمساعدة جملة من بني غرون ضد السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري 6 حيث تلي بمسجد غرناطة الأعظم نص بأمان الرعية على إثر التخلص من تلك المحنة 7.

¹ هو الصحابي الجليل أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن مالك من بني النجار، شهد بيعتي العقبة، وكان نقيباً على قبيلته من الخزرج، توفي قبل غزوة بدر (أنظر: بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، حقق أصوله ووظبط أعلامه ووضع فهرسه: علي محمد البجاوي، ط 1، دار الجليل، بيروت، 1412/1992م، مج 1، ص 54، 55).

² محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، مج 1، ص 184.

³ أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي، آداب الحسبة والمحتسب، تح: فاطمة الإدريسي، ط 1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1425هـ/2005م، ص 106.

⁴ يعد اتخاذ المساجد أماكن للمتاجرة من الأمور التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "إذا رأيتم الرجل يبيع ويشترى في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك" (أنظر: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، مج 4، ص 528، حديث رقم: 1560).

⁵ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبين لهذا" (أنظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط 1، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ/1998م، ص 228، حديث رقم: 1260).

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص 65 وما بعدها.

⁷ بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، مج 2، ص 57، 58.

ومما يوحى بمكانة المسجد وقديسته لدى الغرناطيين تخصيصه بالهبات والعطايا وعدم قبض الأيادي عنه لتسهيل تأدية رسالته السامية ؛لعل أبرزها ما أغدق به الوزير الغرناطي أبو علي بن هدية جامع غرناطة حيث خصه بأوقاف ساهمت في توسعته وزيادة حوانيته وحماماته¹.

وكذلك ما قام به الوزير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعافري ت518هـ/1124م الذي بنى حماما في جامع غرناطة الأعظم وشرع في توسعته حتى يتسع لجموع المصلين².

كما كانت تعتمد في مداخلها على أوقاف البساتين والحوانيت المحبسة عليها رفقة البيوت وأجزاء من مداخل عامة الناس ،والتي بدورها جعلت للإنفاق على الأئمة والمؤذنين والفقراء والراغبين في العلم وصرف رواتب المقرئين ومعلمي القرآن والحديث في المساجد والجوامع نظرا لدورها الهام في تدريس العلوم الشرعية ،ويذكر بن الخطيب في العديد من المناسبات أن طلبة العلم والحديث بالمساجد الغرناطية خصوصا على عهد بني نصر كان لهم أحباس أوقفت عليهم³.

وعلى حد تعبيره أن أبا عبد الله محمد بن محارب ت750هـ/1349م تبرع بسخاء من مال وريع لفائدة الطلبة وحبس عليهم كتبه⁴ ،وهي مبادرات حسنة تكرر ورودها في أحيان مختلفة سجلها أهل السير والفتوى من ذلك ما أورد الونشريسي في فتوى لأبي القاسم بن سراج عن كتب كانت محبسة على المساجد من طرف بعض الواقفين منها التي كانت بخزانة جامع غرناطة النصرية ضواشراطهم ألا تقرأ إلا به وإن خرجت فبرهن أو ثقة⁵.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.429.

² نفسه ،مج3 ،ص.524.

³ نفسه ،مج3 ،ص.79.

⁴ نفسه ،مج3 ،ص.78،79.

⁵ الونشريسي ،المصدر السابق ،ص.227،228.

والأمر ذاته كان مع أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ت1311/710م ثالث ملوك بني نصر الذي اعتنى بالمسجد الجامع بالحمراء أيما عناية من فخامة أعمدة وإحكام الإنارة ،ناهيك عن توقيفه لحمام كان محاذيا له مع كثير الإنفاق من أموال الجزية¹.

ولم يقتصر اهتمام الغرناطيين بمساجد وجوامع بلدهم بل تعدى ذلك إلى إمارات الأندلس قبل سقوطها من ذلك ما قام به عبد الملك بن حبيب السلمي الذي أوقف أرضه وبستان الزيتون على أحد مساجد قرطبة².

وهذه السنة الحميدة نجدها تتكرر في الكثير من المرات كما هو حال محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصريحي ت 1353/754م الذي بنى العديد من المساجد ،حصل أموالها من مترفي وزراء الدول بالمغرب على إثر سفارة وجهه بن الخطيب إليها³ ،وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكاتب ت 1210/607م الذي بنى مسجد دار القضاء وأصلح عدة مساجد من خالص ماله⁴.

تلك المساهمات جعلت هذه المؤسسة العلمية تقوم بدور فعال في نشر الوعي بين العام والخاص نظرا لعددها الكبير الذي ناهز الخمسين مسجدا⁵ ،فجامع الربض ومسجد البكري بغرناطة على سبيل المثال لا الحصر كانا يشهدان حركة نشطة ودعوبة لطلبة العلم ،يأخذون ما أمكن أخذه من العلوم من أفواه العلماء والمحدثين الذين حضوا في أرجاء المملكة الطيبة بسمو ورفعة نظرا لجودة بيانهم وحسن تفهيمهم كما هو شأن قاضي الجماعة الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعد بن بقي الذي كان ينهل عليه المتعلم والمستفيد والسامع⁶ رفقة أقرانه من الشيوخ يجلسون في المساجد في حلق ويقرؤون الطلبة مختلف العلوم كما هو حال الشيخ أبو الحسن القيطاجي ت1329/730م الذي أقرأ بمسجدها

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص ص.547،546.

² نفسه ،مج1 ،ص. 129 ؛مج3 ،ص ص.549،548.

³ نفسه ،مج3،ص ص.190،191.

⁴ نفسه ،مج3 ،ص.211.

⁵ نفسه ،مج1 ،ص.132.

⁶ نفسه ،مج3 ،ص.40.

الأعظم الفقه والأدب¹ ، والحال نفسها مع أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العبدري ت 1349/750م الذي كان يقرأ كتب الحديث والرقائق² للجامعة بالمسجد نفسه بأعذب نغمة وأمثل طريقة³.

وكذلك الشيخ أبو الحكم محمد بن أحمد الغساني ت 1348/749م الذي كان يحلق بمسجد مالقة الأعظم للتدريس والفتيا⁴ ، ومحمد بن إبراهيم بن المفرج الشهير بابن الدباغ ت 1269/668م الذي كان يقرأ للعلماء الفقه وأصوله وللجامعة الفروع والعقائد في كل من مسجدها الجامع وبمسجد بن عزرة وجامع باب البيازين⁵.

ويذكر بن الخطيب في إحدى المناسبات ما حدث في هذا المسجد مع الخطيب محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري ت 1321/721م من أهل سبتة والذي ورد على غرناطة عام 692هـ/1292م أين عين خطيبا وإماما به وما كان من قيامه على المنبر للخطبة والمؤذن لم يرفع صوته للآذان بعد ، ظنا منه أنه فرغ من ذلك وكيف رد على من حاول إشعاره ببديهة ورد بديع⁶.

زيادة على ذلك كانت مساجد غرناطة تتزاحم بالمصلين عند قدوم المشاهير لإلقاء الدروس والمواعظ بها كما هو حال مسجدها الجامع الذي كان ينزل به كل ذي شهرة بالعلم وصاحب سمت ووقار؛ من ذلك قدوم أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني

¹ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج 4 ، ص. 104.

² الرقائق مفرد رقيقة وهي اللطيفة الروحانية ، وقد تطلق على الوسطة اللطيفة الرابطة بين الشينين ، كما تطلق على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سر العبد (أنظر : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، كتاب التعريفات ، تحقيق وتقديم : إبراهيم الأبياري ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1417/1996م ، ص. 149 ؛ محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تح : محمد رضوان الداية ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1410/1990م ، ص. 371).

³ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج 3 ، ص. 97، 98.

⁴ نفسه ، مج 3 ، ص. 66.

⁵ نفسه ، مج 3 ، ص. 69.

⁶ نفسه ، مج 3 ، ص. 135 وما بعدها.

عام 718هـ/1318م أين كان يقوم فيه على شرح كتب السيرة النبوية الشريفة ليعين بعدها إماما بمسجد قصر السلطان¹.

وكما كانت المساجد ملتقى للعلم وتنوير العقول فقد استخدمت في الكثير من الأحيان لتحقيق المآرب الشخصية وتمير المشاريع التوسعية؛ من ذلك أمر والي غرناطة عتبة بن يحيى المغيلي بسب محمد بن يوسف بن الأحمر أول سلاطين غرناطة النصريين على المنابر نظرا لخصومته الشديدة معه².

أدى هذا الاهتمام الجاد بالمسجد بمرور السنين إلى حرق أعداء الملة عليه لهذا وبمجرد سقوط غرناطة لجأ فرناندو وأعوانه إلى طمس هذه المعالم مثل ما حدث مع مسجد حي البيازين الذي تم تحويله إلى كنيسة سميت باسم سان سلفادور³ كما تم تشييد كندرائية غرناطة فوق أنقاض مسجدھا الجامع⁴، والأمر نفسه حدث من قبل لمسجد قرطبة قرطبة الجامع إذ حول بدوره إلى كنيسة فور سقوطھا في يد القشتاليين سنة 633هـ/1235م⁵.

3/ المدرسة:

جاء ظهور المدرسة⁶ كمؤسسة علمية في أولى عهود الإسلام متأخرا إذا ما قورن بالكتاتيب والمساجد نظرا لاستثنائهما بنصيب كبير في التكوين العلمي سواء للصبيان أو الكبار⁷، غير أنه وباتساع حلقات الذكر والمناقشات والجدل التي أثرت على السير الحسن لأداء المسجد وظيفته السامية والمتمثلة في العبادة أدى ذلك إلى استحداث بدائل لنشر

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص ص. 200، 201.

² بن الخطيب، اللوحة البدرية، ص. 35.

³ عنان، نهاية الأندلس، ص ص. 315، 316.

⁴ نفسه، ص. 83.

⁵ نفسه، ص. 34.

⁶ المدرسة في اللغة مأخوذة من المدراس والمدرس أي الموضع الذي يدرس فيه ومنه المدراس وهو البيت الذي يدرس فيه القرآن، ويقال للذي قرأ الكتب ودرسها المدارس (أنظر: بن منظور، المصدر السابق، مج 6، ص. 80).

⁷ أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1417هـ/1996م، ص. 51.

العلم فظهرت المدرسة كمؤسسة علمية لها قواعدها ونظمها¹، حيث وجب على المدرس أخذ أوقات التدريس بعين الاعتبار سواء من حيث التقديم أو التأخير حتى يتسنى للطلبة حضور الدرس؛ فإن قدمه قبل شروق الشمس أو أخره إلى ما بعد الظهر حرم من قبض راتبه نظرا لمخافته العرف المعتاد في ذلك²، كما لزمه أن يحسن إلقاء الدرس وتوضيحه للناظرين مع مراعاته لحالهم، فإن كانوا مبتدئين يتدرج في تعليمهم من الأسهل إلى السهل حتى ينتهي بهم إلى أعلى درجات فهم المسائل³، دون إهماله الظهور بهيئة لائقة في مجلس التدريس من لبس أحسن الثياب وأنظفه ووضع أجود الطيب⁴.

هذه المظاهر وغيرها أثارت اهتمام العديد من مشاهير العلماء الذين أوردوا بدورهم مؤلفات خاصة جاءت على شكل إرشادات وتبويضات للمعلمين والمتعلمين على حد سواء؛ من ذلك ما ألفه الإمام بن حجر الهيتمي ت 973/1565م⁵، ومحمد بن أبي زيد في كتابه كتابه حكم المعلمين والمتعلمين⁶، وكذلك أحمد بن زيد البلخي ت 322/933م صاحب كتاب العلم والتعليم⁷، وأبو نعيم في كتابه رياضة المتعلمين⁸، وكتاب الرسالة في طلب طلب العلم لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ت 386/996م إمام المالكية ببلاد المغرب في وقته⁹.

¹ مفتاح محمد ديب، مقدمة في تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية، ص ص. 37، 38.

² بدر الدين بن جماعة الكفاني، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ط، ص. 44.

³ السبكي، المصدر السابق، ص. 105.

⁴ بن جماعة، المرجع السابق، ص. 31.

⁵ أبو العباس أحمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، تح: محمد سهيل الرس، وإشراف محمود الأرنؤوط، ط 2، دار بن كثير، بيروت، 1407هـ/1987م، ص. 15 وما بعدها.

⁶ بن خلدون، المقدمة، ص. 559.

⁷ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج 2، ص. 1440.

⁸ بن الأبار، المصدر السابق، ص. 181.

⁹ القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م، ص. 223.

وتعتبر مدرسة أبو بكر بن فورك ت 1015/406م¹ ومدرسة أبو بكر البيهقي ت 485هـ /1092م بنيسابور من أولى المدارس التي ظهرت في بلاد المسلمين² تلتها فيما فيما بعد مدارس بغداد على العهد العباسي كمدرسة مشهد أبي حنيفة عام 1066/459م³، ومدرسة توركان خاتون ت 1094/487م⁴ - زوجة السلطان ملك شاه السلجوقي⁵ - غير غير أن أشهرها هي مدارس نظام الملك السلجوقي ت 1092/485م⁶ في كل من البصرة والموصل ونيسابور والتي اشتهرت بتدريسها للعلوم الشرعية وعرفت بالنظامية نسبة إليه⁷.

واختلفت تلك المدارس من جهة النوع والوظيفة؛ فمنها ما لا يعدو أن يكون منزلا صغيرا يتخذه صاحبه لتلقي الدروس لطلبة العلم، وهذه عرفت بالأهلية كمدرسة أبي حاتم بن حيان السبتي ت 916/304م التي أوقف بها كتبها وجمعها في داره⁸، أما النوع الآخر

¹ أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1978، ج 4، ص 272.

² تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.ط، ج 2، ص 363.

³ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط 1، دار صادر، بيروت، 1359هـ، ج 8، ص 84.

⁴ بن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 84.

⁵ هو السلطان أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق بن دقاق الملقب بجلال الدولة، اشتهر برعايته للقائمين على المدارس والرباطات، ناهيك عن أعماله الجليلة في خدمة الإسلام من فتوحات وإرساء للأمن وإقامة العدل بين الرعية (أنظر: بن خلكان، المصدر السابق، مج 5، ص 283 وما بعدها).

⁶ هو الوزير أبو علي الحسن بن علي بن بن العباس الملقب بنظام الملك، بنى المدارس والربط والمساجد، وكان مجلسه مجلسه عامرا بالفقهاء والصوفية مقدما لهم كما هو حال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني وأبو القاسم القشيري (أنظر: بن خلكان، المصدر السابق، مج 2، ص 182 وما بعدها).

⁷ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 3، ص 203.

⁸ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 418.

فهو المدارس التي احتوت على مسجد للطلبة والمدرسين بحيث يكون للدولة باع طويل في إنشائها كما هو شأن نظامية بغداد¹.

ليتسع نطاق تشييدها فيما بعد وينتقل هذا التقليد إلى بلاد المغرب² ومن بعدها إلى الأندلس التي يقول عنها المقرئ أنه ليس لأهلها مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة³، ويشاطره الرأي خوليان ريبيرا الذي يذهب إلى القول بأن وجود المدرسة ببلاد الأندلس يرجع إلى التأثير الأوروبي الذي بدأت معالمه تتضح بإنشاء ألفونسو العاشر أول مدرسة إسلامية بمرسية نظرا لشغفه الشديد بالعلوم مهما اختلفت مصادرها ثم يذكر أنه سلمها لأحد العلماء المسلمين الذي كان ضليعا في معارفه متعمقا في كافة العلوم ولا يقصد بذلك العلوم فحسب، وإنما تلك التي يطلق عليها اسم العلوم القديمة من هندسة وطب وموسيقى ومنطق وباقي فروع الفلسفة⁴.

هذا العالم هو أبو بكر محمد بن أحمد الرقوتي الذي اشتهر بتقديم علومه إلى المسلمين والنصارى واليهود، فوصلت أخباره مدينة غرناطة التي تحرك سلطانها أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالفقيه (671-701هـ/1272-1301م) بدعوته للانتقال إلى مدينته وبعد إلحاح غادر مرسية وانتقل إلى غرناطة حيث أنزله سلطانها في أعدل بقع حضرته وبقي بها إلى غاية وفاته⁵.

وتعد هذه المبادرة أول محاولة رسمية لإقامة مدرسة بغرناطة والتي تأسست فيما بعد عام 1349/750م وعرفت باسم المدرسة النصرية وأطلق عليها كذلك جامعة غرناطة؛ وهي التي أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف (733-755هـ/1332-1354م) فعلا ذكرها

¹ Dodge bayard : muslim education in medieveal time , the middle east institute

Washington, 1962,p.20.

² عبد العزيز محمود لعرج، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، مجلة الدراسات الإنسانية الإنسانية ،تصدر عن كلية العلوم الإنسانية،العدد 1،السنة 1421هـ/2001م،ص.118.

³ المقرئ ،نفع الطيب ،مج 1،ص.220.

⁴ Julian Ribera y tarrago, op.cit, p p.18.19.

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 3،ص ص.67،68.

في ظل حكم بني نصر سلاطين غرناطة، بحيث صارت قبلة لطلبة العلم من الأندلس والمغرب وبلاد النصارى.

كان موقعها تجاه المسجد الجامع الذي أنشأت مكانه الكنيسة العظمى¹، ويحتفظ متحف غرناطة للآثار بقطع رخامية لبقايا لوحة هذه المدرسة، التي يقول عنها غرسيا غومس أن يوسف الأول افتتحها مقلدا المدارس الشهيرة على الشاطئ الآخر من مضيق جبل طارق ومغائرا للتقاليد الأندلسية في مجال التعليم².

لقد كانت هذه المدرسة من المشاريع الهامة التي شغلت حاشية السلطان أبو الحجاج يوسف والتي عرف عنها حبها للعلم و توقير أهله؛ فيذكر بن الخطيب أن الحاجب رضوان النصري كان من المهتمين والمشاركين في إحداث هذه المدرسة، إذ سبب لها الفوائد ووقف عليها الرباع المغلة وانفرد بمنقبها وجلب إليها الماء من النهر حتى جاءت نسيجة وحدها بهجة وصدرا وظرفا وفخامة³.

وكرثت أوقافها فيما بعد وهو ما أدى إلى تعيين مسؤول لها وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الذي أوكلت له مهمة مراقبة أحباسها؛ حيث يقول عنه بن الخطيب: " وهو الآن بالحالة الموصوفة مستوطنا حضرة غرناطة، وتاليا للأعشار القرآنية بين يدي السلطان أعزه الله، مرفع الجانب، معزز الجراية بولايته أحباس المدرسة"⁴.

كما أنها توفرت على أماكن معدة لإقامة المحترفين ببضاعة الطلب والمتسمين بالخير؛ شأن ذلك قاضي الجماعة بفاس وتلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري الكبير ت759هـ/ 1357م الذي سكن بها حيناً من الزمن⁵، وهذه الصفة لم تكن خاصة بغرناطة دونها من الإمارات الأخرى؛ كون أغلب المدارس التي عرفت في تاريخ الإسلام

¹ عنان، الآثار الباقية، ص. 171، 172.

Emilio Garc a G mez, cinco poetas musulmanes : biografias y estudios, segunda edicion ² austral. n=513 . Madrid,p.190.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 508، 509.

⁴ نفسه، مج 3، ص. 196 وما بعدها.

⁵ نفسه، مج 2، ص. 199.

اشتملت على أماكن للراحة وخزن الأمتعة ومساكن للطلبة الذين يفوق سنهم العشرين سنة ويحضرون دروس العلم ومجالس الإقراء¹، كما كان التعليم مجانيا في أغلب الحالات إذا ما استنتي أبناء الأغنياء الذين تلقوا تعليمهم على أيدي شيوخ خصوصيين².

وذكر المقرئ بدوره أنها خصت بمكتبة أمدها سلاطين بني نصر بالعديد من الكتب اشترطوا وقفها عليها؛ كما هو حال كتاب الإحاطة الذي كتب صيغته الفقيه الغرناطي أبو يحيى بن عاصم³.

وقد اختلفت هذه المدرسة عن نظيراتها من المدارس الإسلامية من حيث نمط التدريس وعدد المدرسين وشهرتهم؛ كما هو حال الرقوتي الذي كان يلقي دروس في العلوم العقلية⁴ ومحمد بن علي بن أحمد الخولاني ت754هـ/1353م يدرس النحو⁵، وأبو علي منصور بن عبد الله الزواوي يدرس الحساب والهندسة⁶، وأبو زكريا يحيى بن بن هذيل ت753هـ/1352م يقرأ الأصول والطب⁷.

إضافة إلى مكانة هؤلاء المدرسين العلمية لم يكن من السهل على أي فرد أن يظفر بمنصب بها نظرا لكونها أحد الرموز الهامة لدولة بني الأحمر، فكان السلطان في أغلب الأحيان هو من يعين المدرسين مع توصيات كبار العلماء عن من يرون فيهم الصلاح والعلم؛ منها تزكية منصور بن علي بن عبد الله الزواوي الذي أوصى به إمام الصنعة العربية الشيخ أبو عبد الله بن الفخار الشهير بالإلبيري على حد قول بن الخطيب⁸.

أدت هذه المدرسة دورا فعالا في تبليغ العلم نظرا لما كانت تقدمه لهذا المطلب الشريف من تسهيلات، فنجدها بمثابة قبلة سواء للطلبة أو العلماء من داخل غرناطة أو

¹ الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص.7.

² لبيب عبد الستار، الحضارات، ط14، دار المشرق، بيروت، 1997م، ص.270.

³ المقرئ، أزهار الرياض، ج1، ص.55.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.68.

⁵ نفسه، مج3، ص.35، 36.

⁶ نفسه، مج3، ص.325.

⁷ نفسه، مج4، ص.390.

⁸ نفسه، مج3، ص.342 وما بعدها.

من خارجه ؛ فالطلبة كانوا يأتون لمجالسة العلماء وأخذ ما أمكن أخذه بغية التحصيل والتدرج في المراتب العلمية ، والعلماء كانوا يلجون دعوات السلاطين للإقراء بها سواء من أهل الأندلس كما هو حال محمد بن محارب الصريحي المالقي ت750هـ/1349م الذي دعي للتدريس بالمدرسة النصرية عام 749هـ/1348م والذي عهد بدوره ببيع كبير لطلبة العلم وحبس عليهم كتبه¹ ، أو من أهل المغرب مثل محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني ت771هـ/1369م الذي قدم سفيرا عن السلطان أبو الحسن المريني إلى غرناطة أواخر عام 748هـ/1347م فأقعه سلطانها للإقراء بها مع تقليده الخطبة بالمسجد الجامع إلى غاية أواخر عام 754هـ/1353م².

وبقيت على ذلك المنوال إلى غاية عهد أبي عبد الله آخر سلاطين غرناطة حيث ذكر المقرئ أن أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي كان شاعر بلاط السلطان المفضل ولقبه بالمدرس وهذه قد تكون إشارة إلى مزاولته مهنة الإقراء بالمدرسة الغرناطية³.

3/ الرباط :

عدت الرباطات⁴ من المظاهر الخاصة التي ميزت الأندلس منذ أولى سنوات الفتح لها ولعل أولى الإشارات إلى هذه المراكز بها هو ما ذكره المقرئ عند حديثه عن عقبة بن حجاج السلولي ت123هـ/740م والي الأندلس الذي بنى رباطا على حدود أربونة جعله قاعدة لعملياته الجهادية⁵ ، غير أن بن حيان ثقة مؤرخي الأندلس أقر أن أول رباط عسكري هو ذلك الذي اعتصم فيه المتطوعة للجهاد نتيجة لغارات النورمان الأولى على

¹ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج3 ، صص.78،79.

² نفسه ، مج3 ، ص.103 وما بعدها.

³ المقرئ ، أزهار الرياض ، ج1 ، ص.103.

⁴ مأخوذة من الرباط والمرابطة وهو ملازمة ثغر العدو ، ومنه المواظبة على الأمر وفي الأصل الإقامة على جهاد

العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها (أنظر: بن منظور ، المصدر السابق ، مج7 ، ص.302).

⁵ المقرئ ، نفح الطيب ، مج3 ، صص.19،20.

السواحل الأندلسية¹، وبمرور السنين شهدت هذه البقاع تطورا ملحوظا انتقلت فيه المهمة من مجرد مواجهة المتربصين بحواضر بلاد إلى مراكز لتعليم وحفظ القرآن الكريم².

وأدت هذه المؤسسة التعليمية رسالة حضارية فعالة سواء في تنشئة الأجيال المجاهدة للدفاع عن سلامة البلاد من الأعداء المتربصين بها³ وبالتالي المحافظة على المكتسبات أو من حيث مساهمتها في توفير من يرتادها من طلبة العلم والمتطوعة يدرسون بها القرآن الكريم ومختلف العلوم وقيمون فيها الصلوات وينمون فيها روح التعاون والتآخي ابتغاء لمرضاة الله⁴.

وبما أنها شهدت انتشارا واسعا في غرناطة فقد كانت لها دورا كبير في سير النشاط العلمي، خصوصا في الفترات التي شهدت تزايد تحرشات القوى النصرانية على تخوم أراضيها بزعماء قشتالة⁵ ناهيك عن تقبل المسلمين لحماس الدفاع عن ممتلكاتهم فوجدوا بين الانعزال الروحي والمران العسكري ملاذا هاما لطموحاتهم⁶.

ولعل من أشهر تلك الرباطات رباط العقاب الذي كان يتعبد فيه الفقيه الغرناطي أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الشهير بالإلبيري ت459/1066م⁷، وذكر ابن الخطيب

¹ بن حيان، المصدر السابق، ص. 24.

² إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجليل، بيروت، 1417هـ/1997م، ص. 15.

³ عبد الله السويسي، المرجع السابق، ص. 52.

⁴ كانت هذه الميزات مشتركة في أغلب الرباطات التي أنشأت سواء ببلاد المغرب أو الأندلس كما هو حال الرباط الذي أنشأه الفقيه المرابطي عبد الله بن ياسين ت450هـ بجدالة حينما طلب منه شيخه واكمك بن زلو اللمطي مرافقة الجوهر بن سكن الجدالي الذي مر بالسوس عائدا من الحج إلى بلده فرافقه إليه؛ أين أقرأ الناس وأظهر الإيمان بتغيير المنكر، لينتقل فيما بعد إلى لمتونة التي ألزم أهلها بصلاة الجماعة وعاقب كل من تخلف عنها بعشرة أسواط لكل ركعة تفوته (أنظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1403/1983م، ج8، ص. 81، 82).

⁵ حكمت علي الأوسي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، ص. 214، 215.

⁶ ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص. 62؛ ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، ص. 35.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص. 155.

أن أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين ت 669هـ/1270م صاحب كتاب **بد العارف في التصوف** زاره في جملة من أتباعه¹.

وكذلك رباط المحروق الواقع في أعلى حي نجد والذي ينسب إلى أحد زعماء مدينة غرناطة وأعيانها وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن المحروق².

والشأن نفسه مع رباط ألميرية الذي أعتبر لفترات عديدة قاعدة رئيسة للأسطول الإسلامي الأندلسي³.

ولم يقتصر الاهتمام بالرباطات والعناية بها على أمراء غرناطة وسلطينها بل تعداه إلى أمراء الدول الإسلامية من ذلك معاهد به سلطان فاس أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني من أموال الصدقات لبعض رباطاتها عام 762هـ/1360م قدم بها قاضي الحضرة الفاسية أبو العباس بن عبد الرحمن المعروف بابن القباب⁴.

دور الحكام في الحياة العلمية:

شهدت الأندلس فترات عديدة من التمزق السياسي وذلك بانقسامها إلى ممالك عديدة تنازعت فيما بينها وأهم هذه الفترات ما عرف بعصر الطوائف بممالكه الصغيرة⁵، ولكن ذلك لم يمنع من بزوغ قفزة ثقافية أعطت ثمارا لما سبقها من مراحل استقرار التي كانت من ذي قبل ويرجع ذلك إلى عمل حكام تلك الممالك على تقريب على ما أمكن تقريبه من علماء وأدباء وفلاسفة وأطباء ساهموا بقسط وافر في إنكاء روح تنافس العلمي⁶، وفي هذا الصدد يورد المقرئ قول الشقندي: "وكان في تفرقهم اجتماع

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 37.

² نفسه، مج 3، 273.

³ الحميري، المصدر السابق، ص. 537.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 188.

⁵ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 3، ص. 43.

⁶ ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص. 20.

على النعم لفضلاء العباد ، إذ انفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور المنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني¹.

وكان تشجيع العلماء بالأندلس عادة حميدة سار عليها حكام وأمراء البلاد طيلة قرون عديدة نظرا لما لها من دور هام في توطيد ركائز الحكم ومسايرة تطورات الأحداث ، إضافة إلى ثقافة ولادة الأمر التي تميزت بكونها إسلامية بحتة أساسها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هذا ما جعلهم يخضعون المؤسسات التعليمية لمناهج تدريس شرعية² ، ناهيك عن المكانة الجليلة التي كان يحظى بها أهل العلم لدى العامة والخاصة وتقديرهم لهم على حد سواء ؛بالإضافة إلى أنهم كانوا على دراية واسعة بفنون عدة ، لذا كانت تعقد مجالس المناظرات العلمية والمساجلات الأدبية على مرأى منهم مرة في الأسبوع أو أكثر³.

كما كانوا يبذلون من مالهم ووقتهم الشيء الكثير للعلماء والأدباء ، لذلك راجت دولة العلم والأدب رواجاً كبيراً وكثر التأليف والتصنيف على حد تعبير ابن النديم⁴.

ويذكر المقرئ أن العالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار إليه ويحال عليه ، وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياح حاجة⁵ ؛ وهذه السمة لم تكن في غرناطة فحسب بل كانت غالبية على أمراء الأندلس عامة طيلة قرون عديدة ، ففي

¹ المقرئ ، نفح الطيب ، مج 3 ، ص 190.

حامد الشافعي دياب ، الكتب والمكتبات الأندلس ، ط 1 ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998م ، ص . 31².

³ يوهانس بيدرسن ، الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة ، ترجمة حيدر غيبة ، د. ط ، دمشق ، 1989 م ، ص 61 .

⁴ شعبان خليفة ووليد محمد العوزة ، الفهرست لابن النديم ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991م ، مج 1 ، ص . 10 . 10⁴.

⁵ المقرئ ، نفح الطيب ، مج 1 ، ص . 211.

قرطبة شهد عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (172-180 هـ/788-796 م) تشجيعاً حقيقياً على التعليم واتخذ مؤدبين لأبنائه اشتهروا بالعلم وحسن الخلق حتى أنه أسكن بعضهم في داره كشمس بن نمير الذي أنزله في الدار المعروفة بسالار¹، زيادة على تعيينه للعالم الكبير وكيبة بن ربيعة مؤدبا خاصا بولي عهده الحكم بن هشام ت206هـ/821م² الذي يقول عنه غونثال بالنتيا: "أن تسامح الحكم مع العلماء لم يكن له حدود مما دفعهم للالتفاف حول بلاطه، ولقد قام بحمايتهم وتشجيعهم حتى الفلاسفة منهم"³.

وفي إشبيلية شهد الشعر على عهد المعتمد بن عباد ازدهارا كبيرا كون الأمير نفسه كان شاعرا الأمر الذي جعل أغلب حاشيته من الشعراء⁴، وكذلك عند بني المظفر⁵ أمراء بطليوس إذ كانوا ملجأ لأهل الآداب، فالمظفر يحيى بن منصور ت460هـ/1067م كان شديد الحرص على جمع علوم تأدب من نحو وشعر ونوادر الأخبار وعيون التاريخ، وانتخب مما اجتمع له من ذلك كتاب كبير ترجمه باسمه⁶.

غير أن مجاهد العامري⁷ صاحب دانية خالف أمراء عصره؛ فرغم ما عرف عنه من نبوغ في علوم مختلفة⁸ إلا أنه كان شديدا مع الشعراء من خلال تتبعه لقصائدهم كلمة

¹ بن الفرضي، المصدر السابق، ص. 165.

² بن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص. 65.

³ غونثال بالنتيا، المرجع السابق، ص. 448.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص. 94.

⁵ نسبة إلى عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر، تلقب بالمظفر سيف الدولة بعد وفاة أبيه في رمضان سنة 392هـ/1001م؛ غزا سبع غزوات منها إلى بلاد الفرنجة ومنها إلى بنبلونة ومنها إلى غيلسية. (أنظر: بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 83 وما بعدها).

⁶ المراكشي، المصدر السابق، ص. 78.

⁷ هو أبو الجيوش ذو الوزارتين مجاهد العامري أمير دانية والجزائر الشرقية، صاحب الوقائع الشهيرة والخلال الفضيلة الفضيلة من إجلال أهل العلم وتقدم فروسية وغزوات ضد الروم (أنظر: بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 217 وما بعدها).

⁸ عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص. 414.

كلمة كلمة، ناقدا لقوافيها، لذا أحجموا عن مدحه نظرا لإجحافه عن تكريمهم¹، والأمر نفسه نجده عند المرابطين الذين امتدت سلطتهم إلى غرناطة على عهد الاضطرابات التي كانت تشهدها الأندلس بين الحين والآخر، فالأمير المرابطي أبو محمد بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين لما دخل غرناطة في ذي الحجة عام 1125/523 م عكف على إكرام الفقهاء وطلبة العلم وإغداقهم بالمنح للمناظرة وسماع الطريف من أخبار الأولين² سالكا في ذلك نهج أسلافه؛ فالأمير يوسف بن تاشفين عرف عليه رعايته للفقهاء والصلحاء وإجرائه الأرزاق عليهم من بيت المال طيلة أيامه³.

واشتهرت في العصور الوسطى ظاهرة استدعاء الحكام و الملوك لأهل العلم وتقريبهم منهم؛ وغرناطة بدورها كان لها الحظ الأوفر في ذلك، فهذه الأمير الغرناطي باديس بن حبوس الصنهاجي يستقبل الشعراء بمجلسه ويغداقهم بالعطايا أمثال الشاعر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي ت 465 هـ / 1072 م⁴، والشاعر عبد الرحمن بن الحاج الحاج القيمي⁵ والشأن نفسه مع الأمير عبد الله بن بلكين الذي استدعى إلى بلاطه الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن مالك المري ت 481 هـ/1088 م⁶.

كما عرف بنو نصر بدورهم الجلي في رعاية العلماء والأدباء؛ لذا عمر بلاطهم بالتقاليد العلمية الزاهرة على اختلاف أقسامها؛ فنجد السلطان محمد بن الأحمر ت 1272/671م اشتهر بولعه الشديد بالعلوم، هذا ما جعله من أبرز حماة العلم والأدب بغرناطة الذين جعلوا أيام خاصة لقراءة أحاديث الصحيحين واستقبال الشعراء وسماع

¹ بن عذاري ،المصدر السابق، ج3، ص.156.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.449،450.

³ بن أبي زرع، المصدر السابق، ص.38.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.234.

⁵ نفسه، مج3، ص.517.

⁶ نفسه، مج2، ص.282.

قصائدهم ،حيث كان صالح بن شريف الرندي ت 684هـ /1285م¹ صاحب مرثية الأندلس الشهيرة من خاصة مقربييه الذين يحب سماع ما تفيض به قرائحهم².

وسار خلفه على نفس النهج ؛حيث أن السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه (671 - 701 هـ / 1272 - 1301م)³ ثاني ملوك غرناطة كان عالما متمكنا يهوى مجالس العلم ولا يتوانى في تكريم العلماء ؛من ذلك استقدامه لمحمد بن أحمد الرقوتي المرسي الذي ذاع صيته ببلده ونبغ في فنون عديدة كالهندسة والطب والمنطق والفلسفة ،فأنزله أحسن المنازل وجعله لمناظرة كل من ينتحل صناعة أو علما⁴. علما⁴.

والشيء نفسه مع الأستاذ المتفن محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي ت 715هـ / 1315م الذي استقدمه من مدينة بجاية فانتفع الناس به في الحساب وعلم الهيئة وأقرئهم كتابه الكبير وزيجه الكبير ،ناهيك عن كتابه الحيوان والخواص⁵.

وكذا الأمر مع السلطان أبو عبد الله محمد الملقب بالمخلوع الذي اشتهر بنظم الشعر الرقيق على حسب ما أورده لنا بن الخطيب في قصيدة من نظمته:

واعدني وعدا وقد اخلفا	أقل شيء في الملاح الوفا
وحال عن عهدي ولم يرعه	ما ضره لو أنه انصفا
ما بالها لم تتعطف على	صب لها مازال مستعظفا

¹ هو أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ويكنى بأبي الطيب، كان فقيها حافظا متفنا في النثر والنظم، له مقامات ومختصر في الفرائض وكتاب سماه "الوافي في نظم القوافي"، اشتهر بنونيته الشهيرة في وصف حال الأندلس الذي تهاوت إماراته الواحدة تلو الأخرى (أنظر: المقري ،نفح الطيب ،مج 4 ،ص. 486).

² بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 2 ،ص. 95.

³ نفسه ،مج 1 ،ص. 565 ؛ بن الخطيب ،كناسة الدكان ،ص. 20.

⁴ نفسه ،مج 3 ،ص. 67، 68.

⁵ نفسه ،مج 3 ،ص. 69، 70.

يستطلع الأنباء من نحوها ويرقب البرق إذا ما هفا¹

ولم يقتصر اهتمام بنو نصر على علماء ومشاهير غرناطة فقط بل تعداهم إلى الغرباء والوافدين عليها؛ مثل الشاعر محمد بن حسن العمراني الفاسي ت 1347/748م الذي أغدقه السلطان أبو الحجاج يوسف بالهدايا وأمر له بكسوة، فنظم فيه قصيدة منها:

خذ ذا أبا الحجاج من خير ماح
لخير ملك في البرية مرتضا

فقد كان قبل اليوم غاض قريضه
فلما رأى الإحسان منك تقبضا

ونظم الفتى يسمو على قدر ما يرى
من الجود مهما ينقضي نيله انقضا²

والحال نفسها مع الأديب أبو عبد الله محمد بن عمر المليكشي ت 740هـ / 1339م الذي لقي بها حفاية وانسحبت عليه بها جراية³.

ولم ينحصر تشجيع العلم وحملته على دعم سلاطين غرناطة فقط، بل تعداه إلى الوزراء الذين أدوا دورا هاما في دفع عجلة تلك الحركة العلمية المزدهرة؛ وذلك حسب ما ذكره بن الخطيب من أنه قام بدعوة العديد من ذو العلم والوجاهة، كالفقيه محمد بن محمد العبدي ت 753هـ / 1352م من سبتة وحمله إلى غرناطة أين أسندت له مهمة الإقراء فبقي بها إلى أن وافته المنية⁴، ومنها حرصه على تثبيت أبي عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني المعروف بالعواد ت 750هـ / 1349م للإقراء بقوله " طلب للتصدر

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص ص. 546، 545.

² نفسه، مج 2، ص ص. 524، 523.

³ نفسه، مج 2، ص. 563.

⁴ نفسه، مج 3، ص ص. 31-27.

للإقراء فأبى لشدة انقباضه فنبهت بالباب السلطاني على وجوب نصبه للناس، فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته فانتفع به¹.

والأمر نفسه مع محمد بن عبد الله الخولاني إذ قال عنه: "وترقى إلى هذا العهد بإشارتي التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان والرياسة القرآنية بباب الإمارة والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة²، وكذلك اجتذابه للشاعر محمد بن علي بن عبد الله العرادي (731-755هـ/1330-1354م) إلى الدار السلطانية³.

كما أشاد بدور الوزير أبو عبد الله بن أحمد المحروق ت729هـ/1328م وزير السلطان الغرناطي بن عبد الله بن إسماعيل بن الأحمر؛ حيث أحظى هذا الوزير الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن فتوح اللخمي ت730هـ/1329م بعناية كبيرة إذ قال عنه: "واختصه ورتب له بالحمراء جراية وقلده نظره خزانة الكتب السلطانية"⁴، والحال نفسه حدث مع الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد الشراط الذي استدعي للكتابة بالباب السلطاني، فلقي من العناية والاهتمام ما يليق بأمثاله⁵.

كما أن اهتمام باقي السلاطين بشأن العلوم جعلهم يحرصون على تعليم أبنائهم واختيارهم لأحسن المعلمين؛ ذلك ما ذكره بن الخطيب عن السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصراني أنه كان يخرج بنفسه طلبا لمعلمي قران لأبنائه⁶.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص-ص. 33-35.

² نفسه، مج 3، ص. 167، 168.

³ نفسه، مج 2، ص. 286، 287.

⁴ نفسه، مج 3، ص-ص. 23-25.

⁵ نفسه، مج 3، ص. 441.

⁶ نفسه، مج 2، ص. 39.

دور العلماء في الحياة العلمية:

ساهمت أفواج العلماء التي قدمت على غرناطة سواء من المشرق أو المغرب الإسلاميين في دفع الحركة العلمية وازدهارها، وذلك عن طريق نشر العلم بين الناس حيث شهدت هذه الأخيرة فرار عديد من العلماء وعائلاتهم إليها بحكم أنها صارت ملجأ لهم بعد سقوط الأندلس كما هو حال الفقيهين أبو محمد عبد الله بن أيوب الأنصاري ت562هـ/1166م صاحب كتاب **المنوعة في الفقه المالكي**¹، وعبد العزيز بن علي بن الإمام الأنصاري من أهل سرقسطة، حيث كانا كأمثالهم من عديد العلماء يساهمون بدورهم في إثراء خزائن الكتب عن طريق وقف مؤلفاتهم عليها سواء بأنفسهم أو عن طريق وصاية يشيرون فيها إلى وقفها على مدارس معينة، وهي النظرة التي يضيفها المقرئ عن كتاب **الإحاطة بأخبار غرناطة** الذي تم وقفه على المدرسة اليوسفية².

كما أنه وجد منهم من كانت لهم مكتبات خاصة تعرضت للنهب والإتلاف كما هو حال أبو جعفر أحمد بن الزبير ت708هـ/1308م التي ضاعت أغلبها بسبب استيلاء الغوغاء عليها³، وهذه الحالة تكررت فيما بعد مع كتب بن الخطيب الذي أحرقت كتبه أمام مرأى الجميع على إثر اتهامه بالزندقة ومخالفته لأمر الدين⁴.

كما أن أبا عبد الله محمد بن محارب الصريحي ت750هـ/1349م تصدق بمال كثير وعهد بريع مجد لطلبة العلم وحبس عليهم كتبه⁵، ولم تنحصر مساهماتهم في هذا الحد بل تعدته إلى أبعد من ذلك وهو ما حدث مع أبو عبد الله محمد عبد الرحمن الكاتب

¹ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص.405.

² المقرئ، **نفح الطيب**، مج7، صص102، 103.

³ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص.191.

⁴ خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي

ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص.191.

⁵ مج3، ص.79.

ت 607 هـ / 1210م الذي بني مسجد دار القضاء من ماله وتأنق في بنائه وأصلح مساجد عدة¹.

ومن العلماء من لم تشغلهم مناصبهم السلطانية كما هو حال الفقيه المحدث أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللخمي ت 708 هـ / 1308م الملقب بذي الوزارتين حيث كان شغوفا بجمع الكتب حتى ضاقت خزائن قصوره بها².

دور العامة في الحياة العلمية :

كان لأهل العلم مكانة رفيعة ومرموقة لدى أهل غرناطة وسلطينها كغيرهم من أهل الأندلس وأمرائه من قبل ، فعند الرعاية أولوا عناية فائقة بتربية أبنائهم وتعليمهم بحيث كانوا ينظرون إلى المعلم دوما نظرة إجلال وتقدير ، كونه أدرى الناس بطرق تعليم الطلبة وأحرصهم على مصالحهم ناهيك عن تحسين خلقهم وإصلاح شأنهم³.

لذا حرصوا كثيرا على اختيار مؤدبي أولادهم ممن اشتهروا بالعلم الغزير والأخلاق الحسنة ، وهو ما يفهم من قول للعالم الأندلسي أبو بكر بن العربي ت 543هـ / 1148م بين فيه مدى اهتمام الآباء بذلك "...كنت يوما مع بعض المعلمين فجلس إلينا أبي رحمة الله عليه يطالع ما انتهى إليه علمي في لحظة سرقها من زمانه مع عظيم انشغاله ..." ⁴ ، وأضاف في مناسبة أخرى أن أباه قرنه بثلاثة من المعلمين أحدهم لطبط القرآن والثاني لعلم العربية والثالث للتدريب في الحساب⁵.

¹ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج 3 ، ص. 211.

² نفسه ، مج 2 ، ص. 446.

³ بن جماعة ، المصدر السابق ، ص ص. 49، 50.

⁴ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي ، قانون التأويل ، دراسة وتحقيق : محمد السليمان ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص. 76.

⁵ نفسه ، ص. 70.

ولعل من دلائل اهتمامهم بالعلماء ما ساقه أبو زيد عبد الرحمن الغرناطي المعروف بابن القصير من أن العامة بغرناطة خرجوا بعدد لا يحصى رفقة ما يزيد عن مائتي راكب للقاء الفقيه المالكي القاضي عياض عند وروده عليها، حيث برزوا تبريزا لم يرى لأمير من ذي قبل¹.

كما عرف الغرناطيون كغيرهم من مدن الأندلس كإشبيلية ومرسية اهتماما بالغاً بالكتب ما أدى إلى وجود العديد من المكتبات العامة والخاصة²، وهذه السمة ظهرت بشكل ملحوظ ليس في غرناطة فحسب بل في شتى أقطار الدولة الإسلامية كما هو بغداد؛ حيث زاد من انتشارها سعة ثقافة بائعي الكتب الذين كانوا في أغلبهم أدباء يدركون قيمتها العلمية أكثر من التجارية³، والشأن ذاته كان في قرطبة أيام ازدهارها أشهرها مكتبة المستنصر الأموي ت 366هـ/976م⁴ التي احتوت على أربع وأربعون فهرسة في كل منها خمسون ورقة ذكر فيها أسماء الدواوين فقط⁵.

وتكمن تلك الأهمية في العناية التي جسدتها شهرة حرفة الوراقة حتى صار بها حي يعرف بحي الوراقين⁶ كان العلماء يقصدونه لنسخ مؤلفاتهم ومنهم من امتنها كما هو شأن النحوي أبو عبد الله بن محمد بن سارة البكري ت 519هـ / 1125م.

¹ المقري، أزهار الرياض، ج 3، ص ص. 11، 12.

² عمر رضا كحالة، مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام، ط 1، مطبعة الحجاز، دمشق، 1394هـ / 1974م، ص. 244.

³ محمد أحمد كريم وآخرون، تاريخ التربية والتعليم، د. ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، ص. 112.

⁴ عنان، دولة الإسلام في الأندلس - الخلافة الأموية والدولة العمارية، العصر الأول: القسم الثاني، ط 3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1380هـ / 1960م، ص. 457.

⁵ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ص. 100.

⁶ خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص. 193.

ومن شعره في هذه الحرفة قوله:

أما الوراقة فهي أكلة حرفة أغصانها وثمارها الحرمان

شبّهت صاحبها بإبرة خايط يكسو العراة وظهره عريان¹.

كما زاد من اعتناء بعضهم بالكتب أن اشتغلوا بالنسخ كالعلامة أحمد بن عباس بن أبي زكريا ت 427/1035م الذي برع في نسخ الكتب بخطه الجميل واشتهر عنه أنه كان مغاليا فيها نافعا من خصه بها لا يستخرج منها شيء لفظ بخله بها إلا لسبيلها².

والشأن ذاته مع محمد بن محمد بن عياش الذي ألف كتابا جمع فيه أسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها رتبها ترتيبا حسنا³.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص 439، 440.

² نفسه، مج 1، ص 259.

³ نفسه، مج 2، ص 148.

الفصل الثالث

العلوم الشرعية

- القراءات

- التفسير

- الفقه

- أصول الفقه

- الحديث

- علم الكلام

طوال تاريخ الأندلس كان للدين دور هام ومميز في تشييد صرح ذلك البلد الإسلامي بحكم أنه جزء لا يتجزأ من حياة الناس في أي بلد إسلامي كان ،وأن أولي الأمر والرعية كانوا يبذلون قصارى جهدهم في أن تكون تصرفاتهم موافقة لتعاليم الشرع أو قريبة منه على أقل تقدير ،لكن ماقتئ الأمر أن اقترب العلماء والفقهاء من الحكام وشاركوهم في الحكم حتى يبدوا الأمر أمام العامة أنه من وظائف الدولة يقوم به رجال عارفون بالعقيدة ،فأدى ذلك في العديد من المرات إلى استغلال بعضهم لهذه الدولة في تحقيق مآربهم أو استغلالهم من طرف الحكام لتمرير مشاريعهم وطموحاتهم المختلفة ،كانت في الكثير من المرات تسيء إلى تعاليم الدين الحنيف كما هو حال غرناطة .

1/القراءات :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي كانت فيه البشرية تسبح في فلك الشرك وترزخ تحت وطأة العبودية والجهل فكانت بعثته للإعتاق وكسر قيود الظلم مصداقا لقوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"¹ .

فصار القرآن الكريم الذي نزل به جبريل عليه السلام حجة التي أيده الله سبحانه وتعالى بها² وأمره بتبليغه للناس حتى يفهموا تعاليم الدين الحنيف ومقاصده النبيلة لقوله تعالى " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين"³، وتعهده بتنزيهه عن التحريف والتزييف فقال جل وعلى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"⁴، وشرف نبيه صلى الله عليه وسلم بصدق ما يقول، فقال جل شأنه: "وما ينطق عن الهوى (2) إن هو إلا وحي يوحى(3)"⁵ وقوله أيضا " وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم"⁶، وأوصاه بإقراء الناس وتعليمهم إياه مصداقا لقوله " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا"⁷ .

¹ سورة الأنبياء، الآية: 107.

² مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط34، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1418هـ/1998م، ص.39.

³ سورة المائدة، الآية: 67.

⁴ سورة الحجر، الآية: 09.

⁵ سورة النجم، الآيتين: 03، 04.

⁶ سورة النمل، الآية: 06.

⁷ سورة الإسراء، الآية: 106.

فانكب الصحابة الكرام رضوان الله عنهم على تعلمه وأولوه عناية تليق به¹ حفظا وترتيلا ابتغاء للأجر ومعرفة لأحكام الشرع للعمل به على بينة ونيل الشرف ؛ لقوله صلى

الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"² وقوله عليه السلام "بلغوا عني ولو آية"³؛ فكثرت فيهم القراءة حتى عين فيهم النبي عليه الصلاة والسلام نفرا منهم يأخذ المسلمون عنهم فقال: "استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل"⁴.

وانتشروا بعد ذلك في الأمصار يقرئون الناس ويعلمونهم القراءات؛ فكان مصعب بن عمير رضي الله عنه أول من أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة لتلقيه الناس ويقرؤهم القرآن⁵ والشأن نفسه مع الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري الذي بعثه بعثته إلى اليمن⁶.

وسلك التابعون من بعدهم نهج أسلافهم أشهرهم سعيد بن المسيب ت 2171/94 والحسن البصري ت 728/110م وزر بن حبيش ت 702/83م، واستقروا جميعا على مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ت 35 655/هـ الذي كانت صحفه عند أم

¹ أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، سنن القراء ومناهج المجودين، ط1، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1414هـ، ص.33.

² من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه (أنظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تع: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت. ط. ص. 650، باب ما جاء في تعليم القرآن، حديث رقم: 2907).

³ من حديث عبد الله بن عمرو (أنظر: صحيح البخاري، ص. 582، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: 3461).

⁴ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تع: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، مكتبة دار السلام، الرياض، ودار الفحاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1418هـ/1997م، ج7، ص. 129، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم: 3760.

⁵ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، مج3، ص. 87.

⁶ بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص. 75، 76.

المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما¹ حيث صار مرجعا للناس يعودون إليه في قراءاتهم وفي حال خلافهم².

ومع طلائع الفتح الإسلامي الأولى لبلاد المغرب حرص الصحب الكرام على تعليم أهله القرآن الكريم وتفسيره لهم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم³ وزاد اهتمامهم بالدراسات القرآنية بعد إنشاء مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري عام 51 هـ / 671⁴ حيث ظهرت بها الكتاتيب⁵ التي شهدت إقبالا واستحسانا من طرف مرتاديها خصوصا الصبية منهم من الذين بقيت بعض الحوادث مرتبطة بذاكرتهم؛ فقد روى غياث بن أبي شبيب أن الصحابي سفيان بن وهب رضي الله عنه كان يمر بهم وهم غلمان بالقيروان فيسلم عليهم وهم في الكتاب⁶.

وما يدل على نجاح تلك المدارس القرآنية في تأدية مهامها هو علو نجم العديد ممن تعلموا بها من الطلبة أصبحوا في ما بعد شيوخ القراءات وعلماء في زمنهم أمثال حفص

¹ هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأمها زينب بنت مظنون، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عام ثلاث للهجرة، كانت صوامعة قوامة لله تعالى، روى عنها كثير من الصحب الكرام رضوان الله عنهم، توفيت سنة 45/665م (أنظر: بن حجر، الإصابة، مج7، ص. 581 وما بعدها).

² إبراهيم الأبياري، تاريخ القرآن، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م، ص. 104 وما بعدها.

³ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م، ج1، ص. 60 وما بعدها.

⁴ بن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص. 51.

⁵ لعل أصدق دليل على انتشار الكتاب في العهود الأولى للإسلام ببلاد المغرب الإسلامي هو تأليف كتاب آداب المعلمين للمعلمين لمحمد بن سحنون المالكي ت240هـ/854م الذي بين فيه طرق تعليم القرآن وآداب متعلميه مع ذكر حقوق المعلم وواجباته

(أنظر: سحنون المالكي، آداب المتعلمين، ص. 137).

⁶ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص. 91.

بن عمارة ت 198هـ / 813 م¹، ومعاوية بن الفضل الصمادحي ت 199هـ / 814 م²، وأسد بن الفرات ت 213هـ / 828 م³.

ويعد كل من يحيى بن يعمر العدواني ت 129هـ / 746 م وأبو عبيد القاسم بن سلام ت 224هـ / 838 م مؤلف كتاب غريب القرآن من الأوائل الذين ألفوا في علم القراءات⁴، تلاهم جمع من العلماء أشهرهم أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي صاحب كتاب السبعة ت 324هـ / 935 م⁵، وأبو الحسن الطاهر بن غلبون الحلبي ت 399هـ / 1008 م مؤلف كتاب "التذكرة في قراءة الثمان"⁶.

ولعل أشهرهم أبو بكر الخير محمد بن محمد بن الجزري ت 833م / 1429م صاحب كتاب "النشر في القراءات العشر" عرف فيه بأشهر القراءات وقراءها⁷.

ووجد هذا العلم بالأندلس أيما عناية نظرا لعظيم منزلته وشرف أهله بين الناس، ويبين ذلك المؤلفات الشهيرة والعديدة في هذا الشأن ككتاب "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت 444هـ / 1052 م⁸، و"التقريب في القراءات السبع

¹ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى التتوخي، صححه وعلق عليه إبراهيم شبوح، د.ط، المكتبة العتيقة، تونس، 1413هـ / 1993م، ج1، ص 319، 320.

² نفسه، ج1، ص 317، 318.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 255.

⁴ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ط، ج2، ص 253.

⁵ أبي نصر عبد الوهاب بن علي المعروف بتاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، 1413هـ / 1992م، ج3، ص 57.

⁶ بن خير الأموي الإشبيلي، فهرسة بن خير، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ / 1989م، ج1، ص 41.

⁷ إبراهيم الأبياري، تاريخ القرآن، ص 139.

⁸ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص 197.

لأبي العباس أحمد بن محمد بن حرب¹، و "حرز الأمانى ووجه التهاني" لأبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي ت 590هـ / 1193م وهي عبارة عن منظومة لامية من ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا تضمنت التعريف بالقراءات السبعة وقارئها².

وغرناطة شهدت بدورها عناية فائقة بهذا العلم ولعل ما يفسر هذا هو ذلك العدد الكبير من المقرئين الذين أجادوا فيه ونبغوا قراءة وتعلّما وتألّفا أمثال أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد خلف الأنصاري الذي عرف بين أنصاره بابن الباذش ت 540هـ / 1145م؛ كان إماما في الإقراء متفنا في علومه إلى جانب تبحره في الأدب وبصيرته بالأسانيد، أخذ القراءات على شيوخ أفاضل منهم أبو القاسم بن خلف بن النحاس، وأبو جعفر هابيل بن محمد الحلاسي وأبو الحسن بن زكريا، وأجازه في الإمامة والإتقان أبو علي الغساني بعد أن أسمع عليه، ترك تأليف عديدة منها كتاب "الإقناع" وكتاب "الطرق المتداولة" في القراءات³.

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني المعروف بالعواد ت 750هـ / 1349م الذي كان علما من أعلام القرآن اتقاناً وتجويداً، قرأ على جهازة المقرئين والحفاظ كأبي جعفر بن الزبير وأبي جعفر الجزيري الضرير، دعي للتصدر للإقراء فرفض لشدة ورعه وكثرة مشاغله، زيادة على كونه أحد شيوخ بن الخطيب الذين نهل عنهم علوم الدين وعلى رأسها القرآن الكريم، فنجدته يقول عنه: "هو أستاذي وجاري الألف، لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبته رحمة الله عليه"⁴.

¹ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي المعروف بابن الأبار، التكملة لكتاب الصلاة، عن بطبعه وتعليق حواشيه ألفريد بل وبن أبي شنب، د.ط، المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا، الجزائر، 1337هـ / 1919م، ص.60.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص.325..

³ نفسه، مج 1، ص.196.

⁴ نفسه، مج 3، ص.34.

وتوارث سلفه من بعده هذا العلم على رأسهم ابنه أبو جعفر أحمد عبد الولي الرعيني ت750/1349م الذي نشأ في بيت أهله ذو دين والتزام بالسنة الأمر الذي ساعده على إتقان تجويد القرآن والمثابرة على تعلمه وتعليمه مقتفيا بذلك أثر الصالحين من نصح للناس وإعراض عن ذوي الوجاهة مع زهد في جميع أحواله، ويبرز مدى عنايته بالقرآن الكريم قوله والله ما كتبت قط يميني إلا كتاب الله، فأحب أن ألقاه على سجيّتي بتوفيقيه إن شاء الله وتسديده¹.

ومن المقرئين الذين نالوا شهرة كبيرة بغرناطة كذلك محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزى الكلبي ت741/1342م أحد شيوخ بن الخطيب، أخذ القرآن حفظا على المقرئ أبو عبد الله بن الكماد ورواية على كل من الشيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن وعلى القاضي أبو عبد الله بن برطال وأبو الوليد الحضرمي الذي اشتهر بالرواية عن سهل بن مالك وطبقته، ألف بدوره في هذا الباب كتابين سماهما "المختصر البارع في قراءة نافع" و"أصول القراءة الستة غير نافع"².

وكذلك أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الكواب ت633/1235م خطيب مسجد غرناطة الجامع، أتقن أهل زمانه في تجويد القرآن الكريم والذي أخذ مجمل القراءات عن جمع من المتمكنين فيها أمثال أبي الحسين بن كوثر وأبي عبد الله بن عروس وأبي الحسن الصدفي الفاسي³.

وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن فتوح ت581/1185م الذي أخذ القراءات على جمع من مشاهير الإقراء بمكة على إثر رحلة له أمثال الخطيب أبي الحسن بن عباس وعلى أبي داود بن يحيى، له مؤلف سماه الشريف والإعلام بما أبهم في القرآن من

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، صص. 193، 194.

² نفسه، مج3، ص. 22.

³ نفسه، مج3، صص. 399، 400.

أسماء الأعلام¹، بالإضافة إلى أبو جعفر أحمد بن الزيات صاحب كتاب "لذات السمع من القراءات السبع"².

2/ التفسير:

بعد انتهاء الطالب من حفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه ينتقل إلى دراسة معانيه وفهم نصوصه وذلك في إطار ما يسمى بعلم التفسير³ الذي لو لاه لما اتضحت مدلولات آياته عرفت أحكامه⁴، ولا علم الناسخ من المنسوخ⁵.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.481.

² نفسه، مج1، ص.290.

³ التفسير لغة مصدر فسر بتشديد السين، والفسر هو الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر أوضح لمعنى المفسر من السامع، وإصطلاحاً هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها. (أنظر: محمد بن يوسف المعروف بابن حبان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ محمد معوض، تقرّظ عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م، ج1، ص.10، 09).

⁴ عبد الرحمن مسعد علي بركة، بن جزي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل، ط1، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها، ليبيا، 1994م، ص.16.

⁵ المقصود بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملة تارة وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر تارة أخرى إما بتخصيص عام أو تقييد مطلق وحمله على المقيد وتبيينه. (أنظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، قراءة وتقديم وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، 1423هـ، مج2، ص.66؛ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ت224هـ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، دراسة وتح: محمد بن صالح المدفر، ط2، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ /1997م، ص.54، 55).

ويعد تفسير الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ت687/هـ¹ أول تفسير وضع للقرآن الكريم على هيئة كتاب في تاريخ الدولة الإسلامية²، وسار فيه على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في شرح كلام الله المنزل والذي عرف فيما بعد بالتفسير بالمأثور³، وهو ما اتفق عليه أغلب أهل الأندلس الذين تتأقلوه عن الفاتحين⁴ واعتبروه مصدرا أساسيا للدراسات القرآنية⁵، تلاه فيما بعد بعض المحاولات التي قام بها شلة من العلماء الأندلسيين الذين تمكنوا من الرحلة صوب المشرق الإسلامي أين احتكوا بالعديد من المهتمين بهذا العلم العزيز لعل أبرزهم الغازي بن قيس ت199/هـ814م الذي كان راسا في علوم القرآن ببلده⁶.

ويعتبر تفسير بقي بن مخلد ت276/هـ889م⁷ منطلقا للدراسات في هذا الباب الواسع الواسع وأشهرها⁸، لتظهر فيما بعد ذلك تفاسير عديدة كتفسير محمد بن عبد الله المزري ت399/هـ1008م⁹، وكتاب الناسخ والمنسوخ لأبي الحسن مجاهد بن أصبغ

¹ هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عم النبي صلى الله عليه وسلم، حبر الأمة وفقه عصره وإمام التفسير، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، أفقته الناس وهو حدث صغير، له مسند من ألف وستمئة وستون حديثا (أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، ج3، ص.491).

² أحمد أمين، فجر الإسلام، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994م، ص.240.

³ المراد بالتفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو في السنة أو في كلام الصحابة الثابت الصحيح، بيانا لمراد الله تعالى في أي كتابه الكريم من حيث ما اشتمل عليه من هداية وعقيدة وتشريع. (أنظر: أبو بكر جلال الدين السيوطي ت911هـ، الدرر المنثور في التفسير المأثور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م، ج3، ص.11؛

إبراهيم حسن، التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، د.ط، دار العربية للكتاب، د.م.ط، 1994م، ص.13)

⁴ تذكر العديد من المصادر أن الصحابي عكرمة بن عبد الله مولى الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهم هو أول من عنى بتفسير القرآن الكريم ببلاد المغرب بعد أن تلقاه عن شيخه بالحجاز إلى جانب الإفتاء وتدريس العلوم الشرعية وذلك بجامعة عقبة بن نافع بالقيروان (أنظر: بن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص.265).

⁵ بن الفرزي، المصدر السابق، ص.439.

⁶ نفسه، ص.272.

⁷ المراكشي، المصدر السابق، ص.50.

⁸ المقرئ، نفح الطيب، مج2، ص.518، 519.

⁹ بن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص.269.

ت382/هـ992م¹، والتفسير الكبير لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي
ت437/هـ1045م²، والتفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد
الأنصاري الشهير بالقرطبي ت671/هـ1272م³.

لقي التفسير بغرناطة أهمية كبيرة لدى علمائها نظرا لما له من علاقة متينة بعلوم
الشرع الأخرى يعودون إليه كلما استشكلت عليهم المسائل التي أوجدتها ظروف البلد طيلة
سنوات طوال، خصوصا لما يكون الأمر متعلقا بشؤون الجهاد ولم الشمل تجنباً للفرقة
والشحناء التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى، فكانوا يستدلون بالآيات القرآنية التي تحظ
على الوفاق والعمل على تحقيق المصلحة العامة، ويفسرون ما أبهم منها لدى العامة
خصوصا، التي كانت تتساق وراء كل صاحب رأي وتوجه قد يسيء توظيف الآيات في
موضعها الصحيح.

ولعل ما يبين هذه العناية هو ذلك العدد من المفسرين الذين تألقوا في هذا الباب
منتجين ومتفوقين في الآن ذاته على كثير من الذين سبقوهم في هذا الباب كعبد الحق بن
غالب بن عطية المحاربي ت546/هـ1151م صاحب كتاب "الوجيز في التفسير" والذي
عد من مشاهير غرناطة في علم التفسير⁴.

وكتابا "ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل" و"البرهان في ترتيب سور
القرآن" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708هـ/1308م⁵، وكذلك كتاب

¹ بن الفرضي، المصدر السابق، ص.148.

² بن قنفذ، المصدر السابق، ص.243.

³ أحمد بن محمد الأندروسي، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزري، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1417/هـ1997م، ص.246.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.539.

⁵ نفسه، مج1، ص.190.

"البرهان والدليل في خواص سور التنزيل" لأبي بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي¹.

إضافة إلى "كتاب التفسير" و"كتاب المستدرک" لأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الشهير بالبلنسي² وكتاب الحلية في ذكر البسمة والتصلية لأبي جعفر أحمد بن عبد النور بن راشد ت702/1302م³، وكتاب البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان ت745/1344م⁴.

3/ الفقه:

كان النبي عليه الصلاة والسلام القائد الأعلى للمسلمين روحيا وسياسيا⁵ والمصدر الثاني للتشريع الإسلامي الذي دعا فيه قبل الهجرة إلى التوحيد ونبذ الشرك وبعدها إلى تطبيق الأحكام العملية من عبادات ومعاملات التي جاء بها الوحي⁶، ولعناية الخلفاء المسلمين من بعده بهذه الأحكام، أدوا دورا هاما تجلى في اتساع حركة الفقه⁷ والتأليف فيه⁸ بعد أن كان مجرد مجموعة من الفتاوى تناقلها الصحابة فيما بينهم⁹.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.171.

² نفسه، مج3، ص.139.

³ نفسه، مج1، ص.198.

⁴ نفسه، مج3، ص.45.

⁵ أحمد الحصري، تاريخ الفقه الإسلامي: نشأته، مصادره، أدواره، مدارسه، ط1، دار الجليل، بيروت، 1411هـ/1991م، ص.34.

⁶ عبد الودود محمد السريتي، تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص.25 وما بعدها.

⁷ الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له والفتنة وجمعه فقهاء، وغلبت هذه التسمية علم الدين لشرفه (أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط6، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1419هـ/1998م، ص.1250).

⁸ أحمد فراج حسين، المرجع السابق، ص.149.

⁹ عبد المجيد عبد الحميد الربباني، المدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1994م، ص.79.

وبعد ترسيخ الأئمة الأربعة أبو حنيفة النعمان ت767/150م¹ ومالك بن أنس ت795/179م² ومحمد بن إدريس الشافعي ت819/204م³ وأحمد بن حنبل ت855/241م⁴ رحمة الله عليهم لقواعد الخلاف⁵ اقتصر من جاءوا بعدهم على الملخصات والشروح والتعليق⁶.

واشتهر في هذا العلم العزيز الذي يهتم بتنظيم شؤون المسلم من عبادات ومعاملات العديد من المؤلفات ككتاب **الفقه الأكبر** لمحمد بن إدريس الشافعي ت204/819م⁷، وكتاب **جامع الفقه** لأبي محمد عبد الله بن قتيبة ت276/889م⁸ وكذلك كتاب **اختلاف الفقهاء** لمحمد بن جرير الطبري⁹، إضافة إلى كتابي **النوادر والزيادات ومختصر المدونة** لابن أبي زيد القيرواني ت386/996م¹⁰، لتبرز فيما بعد باسم كتب الفتاوى كما

¹ هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي فقيه العراق، وإمام أصحاب الرأي ولد عام 697/80م، سمع من علماء كثر أمثال عطاء بن أبي رباح وحماد بن أبي سلمان وعطية العوفي، استدعاه الخليفة أبو جعفر المنصور لتولي القضاء ببغداد فامتنع، ثنى عليه علماء كثر أمثال مكي بن إبراهيم الذي وصفه بأنه أعلم أهل زمانه والشافعي الذي قال عنه أن الناس عيال عليه في الفقه (أنظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج13، ص325 وما بعدها).

² هو أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الفقهي المشهور بإسمه، ولد عام 95هـ، أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري ونافعا مولى بن عمر رضي الله عنهما، توفي سنة 179هـ/795م (أنظر: بن خلكان، **المصدر السابق**، مج3، ص284، 285).

³ بن فرحون، **المصدر السابق**، ص326 وما بعدها.

⁴ هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمام المحدثين وصاحب المسند الشهير باسمه، أبتملي على عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي بمحنة القول بخلق القرآن الكريم، قال فيه الشافعي خرجت من بغداد ولم أترك بها أئمة وأفقه منه، توفي سنة 241/855م (أنظر: بن خلكان، **المصدر السابق**، مج1، ص62، 63).

⁵ أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، **اختلاف الفقهاء**، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد طاهر حكيم، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1420/2000م، ص54.

⁶ نظير مارون عبود، **مؤلفات جرجي زيدان الكاملة**، د.ط، دار الجليل، بيروت، 1401هـ/1981م، ج14، ص201.

⁷ إسماعيل باشا البغدادي، **المرجع السابق**، ج2، ص1287.

⁸ نفسه، ج1، ص356.

⁹ حسن إبراهيم حسن، **التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط14، دار الجليل، بيروت، 1416/1996م، ص356.

¹⁰ بن فرحون، **المصدر السابق**، ص223.

هو حال فتاوى أحمد بن أبي القاسم ت319/931 في فقه الحنفية¹، وفتاوى أبي العباس أحمد بن القاص ت335/946م في فقه الشافعية²، وفتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ت728/1327م في فقه الحنبلية³.

أما الأندلس فشهدت بدورها نشاطا رائجا في التأليف الفقهية لعل أبرزها كتاب **المحلى** لأبي محمد علي بن حزم ت456/1063م⁴ وكتاب **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس** لأبي بكر بن العربي ت543/1148م⁵، وكتاب **شرح المستخرجة** لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ت595/1198م⁶.

وعند تعريف بن الخطيب بموطنه وصفات أهله ذكر أن أحوالهم في الدين والعقائد أحوال سنية، وأنهم على مذهب مالك⁷ بن أنس ت179/795م إمام دار الهجرة⁸.

وتكمن أهمية الفقه بغرناطة في ذلك الكم الكبير من مشاهير الفقهاء الذين عنوا به دراسة واجتهادا أمثال أبو جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك القليعي الذي كان فقيها، طليع دهره في الخير والعلم والتلاوة يشار إليه في كل نازلة، تتلمذ على كل من أبي عمر بن القطان بن عبد الله بن عتاب وأبي زكريا القليعي وأبي مروان بن سراج، اشتهر بعلو

¹ إسماعيل باشا البغدادي، **المرجع السابق**، ج2، ص.1220.

² بن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج1، ج2، ص.339.

³ نفسه، مج3، ج6، ص.82.

⁴ ناصر بن عقيل بن جاسر الطريفي، **تاريخ الفقه الإسلامي**، ط2، مكتبة التوبة، الرياض، 1418هـ/1997م، ص.178، 179.

⁵ الضبي، **المصدر السابق**، ص.80، المقري، **نفح الطيب**، مج2، ص.35.

⁶ بن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص.74.

⁷ يعتبر أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي ت204هـ الملقب بفقيه الأندلس أول من أدخل المذهب المالكي إلى بلده بلده بعد أن كان أهله يفتون بالمذهب الأوزاعي (أنظر: الحميدي، **المصدر السابق**، ص.191، 192).

⁸ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص.134.

المنزلة بين كل من عرفوه خصوصا عند المرابطين على إثر اجتياز يوسف بن تاشفين في ثاني حركاته إلى الأندلس لنصرتها أين قرّبه منه فذاع صيته وعلت مرتبته¹.

وكذلك أحمد بن محمد بن أحمد الهمداني اللخمي الذي كان رغم انشغاله بالوزارة على اضطلاع كبير بالفقه ومسائله أين صار حسيبا جليل القدر على حد تعبير بن الخطيب إضافة إلى اشتهار ذكره بين المؤرخين الذين ذكروه واثنوا عليه كما هو حال بن القاسم الغافقي وابن اليسر في مختصره².

وأحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن جزى الذي يعتبر من أهل الفضل والنزاهة بغرناطة سيرا على نهج أسلافه؛ أخذ الفقه والقراءة عن والده الخطيب أبو القاسم بن أحمد الذي لازمه وتأدب به، إضافة إلى الأدب والشعر الذي أخذه عن بعض معاصري أبيه الذين استجلبهم له، الأمر الذي أهله لأن يكون كاتباً للسلطان أبي الحجاج بن نصر الذي صرفه في الخطط الشرعية منها توليته قضاء برجة ثم أندرش فوادي آش أين ذاع صيته وازدادت نزاهته خصوصا بعد تقلده الخطبة بمسجد السلطان في شوال من عام 760 هـ/1358م.

من مؤلفاته تقييد على كتاب والده المسمى بـ "القوانين الفقهية"، إضافة إلى رجز في الفرائض يتضمن العمل، ومما قال في هذا الباب:

أرى الناس يولون الغني كرامة وإن لم يكن أهلا لرفعة مقدار

ويلوون عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلا أن يلقي بإكبار

بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة فما صححوا إلا حديث بن دينار³

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 147 وما بعدها.

² نفسه، مج 1، ص. 150.

³ نفسه، مج 1، ص. 157 وما بعدها.

ومن الذين نبغوا كذلك في هذا الباب الشرعي نجد أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري ت 699/1299م ،دخلت أسرته الأندلس عام 94هـ /712م واستقرت بقرية طغزر من أقاليم البيرة واشتهر بيتهم بالكتاب والوزراء والحجاب وأكابر الفرسان ،كان مضطلعا بالفقه ذا نظر سديد فيه ،قائما على مسائله ،التي أخذها على شيوخ عدة أمثال قاضي الجماعة بغرناطة أبو الحسن بن أبي عامر بن ربيع وأبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي ،وأبو علي بن أبي الأحوص ،قرأ كتاب التلقين في الفقه ودرس كتاب الأحكام الجيدة التي عرضها في مجلس واحد ،إلى جانب مشاركته في فنون عديدة كالعربية والحساب ،تلك المواصفات جعلته يتقلد منصب قضاء العديد من مقاطعات غرناطة كبرشانة و لوثة مسقط رأس بن الخطيب ثم بسطة فمالقة التي أقام بها بضع سنين¹.

ونجد كذلك أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن لب بن بقي الذي يتصل نسبه بالفقيه الراوية بقي بن مخلد ت 276هـ /889م أحد قضاة قرطبة على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم القرطبي ،برع في علوم مختلفة إلى جانب الفقه من قراءات وأدب إضافة إلى حسن سيرة بين الناس فاشتهر ببلده وصار مرجعا لطلبة العلم الذين حلّقوا حوله بجامع الربض ومن بعده بمسجد البكري لسماع دروس الفقه التي كان يلقيها فيهما ،قال عنه بن الخطيب انه التقى به حيث كانت تدور بينهما الحوارات والنقاشات حول مسائل العلم ،ونقل إلينا بعض ما أنشده إياه على إثر تشييع جنازة:

كم أرى مدمن لهو ودعة لست أخلي ساعة من تبعه

كان لي عذر لدى عهد الصبا وأنا آمل في العمر سعة

أو ما يوقظنا من كلنا أنفا لقبره قد شيعه

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص.162 وما بعدها .

سيما وقد بدا في مفرقي ما أخال الموت قد جاء معه

فدعوني ساعة أبكي على عمر أمسيت ممن ضيعه¹.

بالإضافة إلى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الدوسي ت1337/هـ738م قاضي غرناطة الذي نعته بن الخطيب بشيخ الفقهاء والموتقين، الفقيه الحافظ الإخباري المحدث، صدر أرباب الشورى مألفا للمتعلمين، قرأ على مشاهير علماء غرناطة كأبي جعفر بن الزبير وأبي محمد عبد المنعم بن السماك وعلى أبو محمد عبد المؤمن الخولاني².

ومن المؤلفات الفقهية التي نالت شهرة وعناية بغرناطة كتاب **المنوطة في الفقه المالكي** لأبي محمد عبد الله بن أيوب الأنصاري المعروف بابن خروج ت562/هـ1166م الحافظ لمذهب الإمام مالك، والذي جاء مكونا من ثمانية أسفار³، وكتاب **"تهج السالك للتفقه في مذهب مالك"** لأبي الحسن علي بن أحمد الغساني ت609/هـ1212م⁴، وكذلك **"الرسائل في الفقه والمسائل"** لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد النفري⁵، وكتاب **"الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة"** لأبي إسحاق إبراهيم بن قاسم النميري، وهو عبارة عن رجز في الأحكام الشرعية⁶.

وكذلك كتابا القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية و التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي⁷.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، صص. 39-41.

² نفسه، مج3، صص. 159، 160.

³ نفسه، مج3، ص. 405.

⁴ نفسه، مج4، ص. 182.

⁵ نفسه، مج1، ص. 369.

⁶ نفسه، مج1، ص. 347.

⁷ نفسه، مج3، ص. 21.

بالإضافة إلى الشروح والمختصرات **كشرح الكوامل** لأبي موسى الجزولي الذي
عنى به أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن راشد¹، وكتاب **المغرب في اختصار المدونة**
لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن زمنين ألفه في نحو ثلاثين جزءا².

والجدير بالإشارة أن الفقهاء والعلماء بغرناطة كثيرا ما كانوا يتعرضون للنكبات
والمصاعب بسبب مواقفهم في المسائل العقديّة وما يخص معيشة الفرد في مجتمعه؛ وهو
ما حدث للمقرئ أبو علي منصور بن علي الزواوي الذي أمتحن من طرف الفقهاء
بالمشاركة في التكفير رفقة رجل قدح في جنب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن شك في
تكفيرهم له، وهو ما حمله على مغادرة الأندلس سنة 1363هـ/765م³.

وكذلك ما وقع للفقير أبو جعفر أحمد بن محمد الشهير بابن فركون الذي عزل من
منصب قاضي الجماعة بغرناطة فأنشد بذلك يقول :

أنا من الحكم تائب	وعن دعاويه هارب
بعد التفقه عمري	ونيل أسنى المراتب
وبعد ما كنت أرقى	على المنابر خاطب
أصبحت أرمى بعار	للحال غير مناسب
أشكو إلى الله أمري	فهو المثيب المعاقب ⁴

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 198.

² نفسه، مج 3، ص ص. 172، 173.

³ نفسه، مج 3، ص ص. 324، 325.

⁴ نفسه، مج 1، ص. 156.

ومنهم من تعرض للأسر كما هو حال الأديب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن زمر الحجاري ت520/1126م الذي أسر من طرف البشكنس على إثر هزيمة المستنصر بن عماد الدولة بن هود وعن ذلك يقول:

أصبحت في بسقاية مسلما إلى الأعداء لا أرى مسلما
مكلفا ما ليس في طاقتي مصفدا منتهزا مرغما
أطلب بالخدمة واحسرتي وحالتي تقضي بأن أختما
فهل كريم يرتجى للأيسر يفكه أكرم به منتما¹

كما تجدر الإشارة إلى نقطة هامة ألا وهي طغيان ظاهرة التشاحن والتباغض بين من ينتسبون إلى مصاف أهل العلم، لعل أشهرها تلك التي وقعت لابن الخطيب نفسه مع بن زمرك والقاضي النباهي في قضية اتهامه بالزندقة وأمور أخرى حسبت عليه، وهذه سمة كانت موجودة بغرناطة كغيرها من دول العالم الإسلامي.

ومن الفقهاء من لقي عداءا شديدا سواء من بعض أهل القرار أو من العامة، ومثال ذلك ما وقع بين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فتوح اللخمي المعروف بالطرسوني ت730/1329م وأبو عبد الله محمد بن المحروق ت729/1328م وزير السلطان أبو عبد الله بن إسماعيل الغرناطي؛ وذلك باتهامه بالإساءة إلى حرمة مسجد البيازين في إحدى المرات أدت إلى اعتقاله ونفيه فيما بعد².

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، صص. 433، 434.

² نفسه، مج3، صص. 23 وما بعدها.

والأمر تكرر مع أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري ت1321/هـ عند مقتل صديقه أبو عبد الله الحكيم وزير غرناطة، فصار عرضة لإساءات الناس وتهديداتهم بقتله، هذا ما حمله على الرحيل إلى فاس التي بقي بها إلى أن توفي¹.

كما لم يكن فقهاء غرناطة على غرار إمارات الأندلس الأخرى في منأى عن الأحداث السياسية التي كانت تشهدها البلاد بين الفينة والأخرى؛ لعل أبرزها دعوتهم للمرابطين للقضاء على ملوك الطوائف، نظرا للحالة المتدهورة التي آلت إليها مملكتهم، حيث يورد الأمير عبد الله في ذلك قوله: "...وجعلوا في شكايهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم منهم الفقيه بن القليعي، قد صار خباؤه مغناطيسا لكل صادر ووارد، يجد بهم السبيل إلى الطلب للقدر الذي قدره الله².

ويضاف إليها إصدارهم لفتوى خلع الأمير عبد الله بن بلكين (465-483/هـ 1072-1090م) وأخيه تميم صاحب مالقة ت1095/هـ 488م بعد أن صدرت عنهما المظالم وخروجهما عن أحكام الدين كسن المكوس والمغارم الجائرة³.

ونظرا لمكانة الفقهاء الدينية والدنيوية سارع فرناندو بعد سقوط غرناطة إلى استدعاء الكردينال خمينيس الذي قام بدوره بتكليف أسقفها الدون تالافيرا سنة 1499/هـ 905م باستمالتهم بشتى أنواع الإغراءات مما كان سببا في اعتناق بعضهم للنصرانية وتبعهم خلق كبير⁴.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.142.

² عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص.137.

³ عنان، ملوك الطوائف، ص.329.

⁴ عنان، نهاية الأندلس، ص.314.

4/ أصول الفقه:

تعتبر أصول الفقه¹ من العلوم التي أولاها الأصوليون أهمية بالغة نظرا لصلتها الوثيقة بضوابط الفتوى حفاظا على العقيدة الإسلامية ومعرفة أسباب الخلاف بين العلماء² في الفروع من جهة الأسس التي تبنى عليها الأحكام الشرعية³ وذلك لأهميتها الخاصة في تسيير شؤون المسلم⁴.

ويعد الإمام محمد بن إدريس الشافعي ت204/819م من أوائل الذين برزوا في هذا الباب وذلك بتأليفه لكتاب الرسالة⁵، الذي ضمنه القواعد الأصولية وشواهدا من الكتاب والسنة⁶، وذلك بعد المناظرات الفقهية بين المالكية والأحناف⁷.

تلتها مجموعة من المؤلفات التي عنت بهذا العلم حيث نجد كتاب تقويم الأدلة للدبوسي ت430/1038م⁸، وكتاب التمهيد في الأصول لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد أحمد بن الحسن الكلواذاني ت510/1116م⁹ وكتاب الإحكام في أصول الأحكام لأبي

¹ يقصد بالأصل في اللغة ما يبنى عليه غيره، أما في الاصطلاح فمعناه استخراج الأحكام من أدلتها الشرعية وفق المناهج التي يلتزمها الفقيه (أنظر: محب الدين أبو فيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي سيري، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414/1994م، مج14، ص.18؛ محمد أبو زهرة، أصول الفقه، د.ط، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.ط، ص.5).

² محمد بن حسين الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ط3، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ص.23، 24.

³ سميح عاطف الزين، علم أصول الفقه الميسر، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410/1990م، ص.221.

⁴ محمد محددة، مختصر علم أصول الفقه الإسلامي، ط5، الشهاب، باتنة، 1994م، ص.25.

⁵ محمد كمال الدين إمام، أصول الفقه الإسلامي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/1996م، ص.46.

⁶ عبد الوهاب إبراهيم، منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه وأصوله، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والنشر والتوزيع، بيروت، 1420/1999م، ص.96.

⁷ محمد أبو زهرة، أصول الفقه، ص.11.

⁸ حسن حنفي، بحوث في علوم أصول الدين، أصول الفقه، العقل والنقل، د.ط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت.ط، ص.50.

⁹ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج1، ص.321.

الحسن علي بن محمد الأمدي ت 631/1233 م¹، وكذلك كتاب الغنية في الأصول لعبد الرحمن بن مأمون الشافعي ت 478/1085 م²، وكتاب روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لموفق الدين بن قدامة المقدسي ت 620/1223 م³.

بالإضافة إلى مؤلفات مشاهير الأندلسيين أمثال أبو الوليد سليمان الباجي ت 474هـ/1081 م صاحب كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول⁴، وأبو عمر بن عبد البر ت 463هـ/1070 م مؤلف كتاب جامع بيان العلم وفضله الذي أبان فيه عن مفسدة القول في الشرع بغير علم⁵، وكذلك كتاب المحصول في علم الأصول لأبي بكر بن العربي⁶.

أما عن مدى اهتمام الغرناطيين بهذا العلم فيظهر من خلال تلك التأليف التي صنفت فيه وإن كانت قليلة إذا ما قورنت بكتب الفقه، غير أن ذلك لم يمنع ما وجد منها من أن تحفل بالمسائل التي تصب في هذا العلم، مثل كتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الغرناطي ت 741هـ/1340 م⁷ وكتاب أبحار الأفكار لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي ت 715هـ/1315 م⁸ وكتاب شرح الإشارة في الأصول

¹ بن قنفذ، المصدر السابق، ص ص. 312، 313.

² إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج 2، ص. 1212.

³ ناصر بن عقيل الطريفي، المرجع السابق، ص. 148.

⁴ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس، ط 1، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/1996 م، ص. 129.

⁵ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، د. ط.، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ط.، ج 1، ص. 3.

⁶ المقرئ، نفح الطيب، مج 2، ص. 36.

⁷ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 22.

⁸ نفسه، مج 3، ص. 70.

الأصول لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت 708/1308م¹، بالإضافة إلى كتاب
النفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة أبي جعفر أحمد بن الزيات ت 728/1326م².

كما أن لابن الخطيب بدوره مؤلف شهير سماه **الحلل المرقومة في اللمع المنظومة**
وهو عبارة عن أرجوزة من ألف بيت نظمها في هذا الباب³.

5/ الحديث:

حرص الصحابة⁴ رضوان الله عنهم على ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم
،فأخذوا عنه القرآن الكريم كتابة وحفظا ثم شرحا لمعانيه وأحكامه⁵ ،لذا أحجموا عن
تدوين أحاديثه⁶ الشريفة خشية أن يختلط به شيء منها⁷ ،وحتى لا ينصرف الناس عن
الاهتمام به⁸ ؛وهذا ما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عنه⁹ ،غير أن ذلك لا يعني أنهم

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص.190.

² نفسه ،مج 1 ،ص.290.

³ نفسه ،مج 4 ،ص.462.

⁴ يطلق لفظ صحابي على كل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام وعرفت صحبته بالتواتر
والإستفاضة (أنظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ،شرح
ألفاظه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ،ط 1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417هـ/1996م
،ص.122 وما بعدها).

وذلك مصداقا لقوله تعالى "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تأمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا"(النساء ، الآية:59).

⁶ يقصد بالحديث ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من فعل أو قول أو تقرير (أنظر: محمد جمال الدين القاسمي
القاسمي ،قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.61).

⁷ أحمد أمين ،فجر الإسلام ،ص.339 ،محمد عبد العزيز الخولي ،مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث ،ط 4 ،دار الكتب
العلمية ،بيروت ،1403هـ/1983م ،ص.16.

⁸ أكرم ضياء العمري ،بحوث في تاريخ السنة المشرفة ،ط 5 ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،1415هـ
/1994م ،ص.291.

⁹ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا
عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ،وحدثوا عني ولا حرج" (أنظر: صحيح مسلم ،ص.1297 ،باب التثبت في
الحديث ،حديث رقم: 2493).

لم يولوه عناية تليق به وبمنزلة صاحبه¹، بل انكبوا على حفظه² والعمل به وتبليغه³، الأمر الذي ساعد على انتشاره فيما بعد⁴، وهو ما يبينه ذلك العدد الهائل من العلماء الذين الذين برزوا في هذا الشأن⁵

وصار يطلق عليهم فيما بعد إسم المحدثين⁶ أو أهل السنة⁷ على حد قول الإمام أبو عبد

¹ عبد الفتاح أبو غدة، **لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث**، ط4، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1417هـ، ص.33.

² يقول ابن عبد البر القرطبي ت463هـ/1070م أن أول ما نظر فيه الطالب وعنى به العالم بعد كتاب الله عز وجل سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله (أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1335م، ج1، ص.117).

³ جاء في الحديث النبوي الذي رواه أبو داود في سننه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نضر الله وجه أمراة سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (أنظر: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تع: محمد ناصر الدين الألباني، إعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.ط، ص.554، باب فضل نشر العلم، حديث رقم: 3660).

⁴ أحمد علي الملا، **المرجع السابق**، ص.50.

⁵ أكرم ضياء العمري، **المرجع السابق**، ص.296 وما بعدها.

⁶ يطلق إسم المحدث على من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة من المتون وحفظ البعض من الأسانيد وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية (تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص.82؛ شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1412هـ/1992م، ص.93).

⁷ السنة كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وعمل وتقرير، وهي على ضربان؛ ضرب مأخوذ مشاهدة وسماعا، فهذا يجب على كل أحد قبوله واعتقاده على ما جاء به من وجوب وندب وإباحة وحظر، ومن لم يقبله كفر؛ لأنه كذبه في خبره وضرب يؤخذ خبرا عنه في الأسانيد أو في المتون (أنظر: أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، **العدة في أصول الفقه**، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د.أحمد بن علي سير المباركي، ط3، د.م.ط، الرياض، 1414هـ/1993م، مج1، ص.72).

الله أحمد بن حنبل ت241هـ /855م¹.

ويرجع الفضل في أول الأمر في تدوين الحديث إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز² الذي أرسل إلى عامله بالمدينة النبوية بكتاب³ جاء فيه: أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه، فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله، فكانت بذلك الانطلاقة الفعلية للتدوين الرسمي الذي حذا بالعلماء إلى الطواف في الأمصار بحثاً عن حفظة الحديث ورواته⁴ متبعين شروط اتفقوا على تأصيلها حتى يتجنبوا الوقوع في مطبات الوضاعين وأهل الإفتراء⁵، مصداقاً لقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"⁶.

فجاءت الكتب التي تصب في هذا العلم الشريف غزيرة من حيث المحتوى والعدد مثل صحيح أبو عبد الله البخاري⁷ وصحيح مسلم بن الحجاج⁸، وسنن كل من محمد بن بن

¹ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تح: محمد سعيد خطيب أوغلي، د.ط، نشرته دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، 1971م، ص.27

² حسن أحمد محمود، الدولة الإسلامية الأولى عهد البعثة النبوية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/1998م، ص.7.

³ محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1992م، ج 1، ص.71.

⁴ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، حققه وعلق عليه نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ/1975م، ص ص.16، 17.

⁵ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السليم، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م، ص.112 وما بعدها.

⁶ سورة الحجرات: الآية:06.

⁷ الحاكم النيسابوري، المصدر السابق، ص.135.

⁸ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص.264.

إسماعيل الترمذي¹ وسليمان بن الأشعث الشهير بأبي داود²، ومحمد بن يزيد بن ماجه³.
ماجه³.

وعلم الحديث بالأندلس شهد نشاطا متنوعا يبينه ذلك العدد الهام من المحدثين
الأندلسيين الذين اشتهروا بدورهم أين صار لهم مكانة تكاد تكون في مجملها مشابهة لما
كان عليه الحال لدى محدثي المشرق، ولعل من أبرزهم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم
الأصيلي ت392/1001م صاحب كتاب **النصيح في اختصار الصحيح** أحد مشاهير
محدثي قرطبة على عهد المنصور بن أبي عامر⁴، وأبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم
إبراهيم الأنصاري ت656/1258م صاحب كتاب **المفهم في شرح مسلم**⁵، وعبد الحق
بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بابن الخراط ت581/1185م مؤلف كتابي **الجامع
الكبير في الحديث والمرشد** الذي ضمنه أحاديث مسلم وما زاد عليه البخاري⁶.

ومن المحدثين بغرناطة نجد أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن قاسم
النميري الذي ألف كتابين في هذا الباب؛ الأول سماه **الأربعون حديثا البلدانية** والثاني
الأربعون حديثا التي رويتها عن الأمراء والشيوخ⁷، وأبو الحسن محمد بن أحمد

¹ السيوطي، **المصدر السابق**، ص.267.

² بن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج1، ج2، ص.167.

³ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي، **طبقات علماء الحديث**، تح: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق
، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج2، ص.341.

⁴ عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت، 1430هـ/2010م، ج1، ص.185.

⁵ المقرئ، **نفح الطيب**، مج2، ص.615.

⁶ بن فرحون، **المصدر السابق**، ص.277.

⁷ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص.346، 347.

الجبائي ت 540/1145م الذي صنف في شرح غريب البخاري مصنفًا مفيدًا¹، وكذلك أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال ت 540/1145م الذي كان من الجهابذة في الحديث معرفة برجاله، متقنًا لطبطه، مقيدًا لغريبه².

وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن يوسف الأنصاري ت 645/1344م الذي برع في مصطلح الحديث من ضبط وإتقان ومعرفة بالأسانيد وطبقات الرجال إلى جانب مشاركته في فنون القرآن من قراءات وتجويد اكتسبها من كثرة شيوخه الذين قرأ عليهم سواء بغرناطة أو بإشبيلية أو بمرسية وبفاس، ترك أمهات حديثية على حد قول بن الخطيب اعتمدها الناس من بعده، اشتهر بعنايته بكتاب مشارق الأنوار للفقهاء القاضي عياض المالكي ت 544/1149م³، وكذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن يحيى الأنصاري ت 621/1224م رئيس المحدثين وإمامهم ذا معرفة واسعة بأسماء رجال الحديث وطبقاتهم على اصطلاح بالجرح والتعديل، أهله لعقد مجلس عام بجامع مالقة الأعظم أقرأ فيه متون الحديث بأسانيدها⁴.

كما اشتهر أيضا كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي ت 741/1340م⁵، وكتاب الأربعون حديثًا لمحمد بن عبد الواحد الغافقي الغافقي

ت 619/1238م الذي وصفه بن الخطيب بأنه كان مكثرا للرواية، ثقة عدلا⁶.

¹ نفسه، مج 2، ص. 315.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 388.

³ نفسه، مج 3، ص. 42.

⁴ نفسه، مج 3، ص. 405، 406.

⁵ نفسه، مج 3، ص. 21.

⁶ نفسه، مج 3، ص. 177.

بالإضافة إلى كتاب **شرح صحيح البخاري** لأبي القاسم المهلب بن أحمد الأسدي
ت436هـ /1044م¹، وكتاب **أنس الجليس** لأبي الحسن علي بن عمر الهمداني
ت540هـ /1145م².

ولعل من أبرز كتب الحديث العديدة التي لقيت شهرة كبيرة واهتماما فائقا لدى
الغرناطين عامة ونبهائها خاصة؛ كتاب **الشفاء بالتعريف بحقوق المصطفى** للفقهاء المالكي
القاضي عياض ت544هـ /1149م الذي مدحه أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي
بقوله :

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها

بمرآة حسن قد جللتها يد النهي فأوصافه يلتاح فيه بديعها

لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها

ولله ممن قد تصدى لشرحه قلباه من غر المعاني مطيعها³

كما كانت تعقد بغرناطة مجالس يدرس فيها الحديث للعامة بالمساجد لعل من
أشهرها مجلس أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الحميري ت639هـ /1241م الذي
عنى بشرح **صحيح البخاري**⁴.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.303.

² نفسه، مج4، ص.86.

³ نفسه، مج2، ص.310.

⁴ نفسه، مج2، ص.316.

6/ علم الكلام:

يعتبر علم الكلام¹ من العلوم التي ظهرت إلى الوجود بعد مضي زمن الرعيل الأول ممن عاصروا ظهور الإسلام، خصوصا لما كثرت الآراء والخلافات العقدية التي عرفت أوجها في عصر الخلافة العباسية²، ويعزو المؤرخون الإرهاصات الأولى لهذا العلم المحدث في الدين إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقات الحسن البصري التي كان يلقيها على طلبته بعد أن أثار مسألة منزلة مرتكب الكبيرة بين الإيمان والكفر³.

ومن الذين أولو عناية بهذا العلم⁴ الطارئ على الملة أبو حامد الغزالي ت505هـ/1111م الذي يرى فيه أنه نافع في وقت الانتفاع وفق ما تقتضيه الضرورة ويحرم تعاطيه عند الإستضرار⁵، ومن بعده عبد الكريم الشهرستاني 548هـ/1153م الذي أورد العديد من القواعد العقدية التي خاض فيها المتكلمون⁶ مع الفلاسفة والفرق المختلفة أمثال

¹ يعرف بن خلدون علم الكلام بأنه علم يتضمن الحاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة (أنظر: بن خلدون، المقدمة، ص.440).

² محمد عبد الهادي أبوريدة، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ط3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1374هـ/1954م، ص.86.

³ أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط5، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ، مج1، ج1، ص.42.

⁴ أورد أبو بكر بن فورك أن سبب ميله إلى علم الكلام كان منطلقه من مسألة دارت بينه وبين أحد فقهاء أصبهان حول الحجر الأسود فلم يجبه عنها فدل على أحد المتكلمين فأجابه عن ما كان يريد ومنها عزم على الخوض في غماره أين ظهر به (أنظر: أبو بكر بن فورك، مشكل الحديث وبيانه، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م، ص.21).

⁵ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، اعتنى به ووظبطه وراجع ووضعه فهارسه: محمد الدالي بلطة، ط3، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1419هـ/1998م، ج1، ص.97.

⁶ تعددت طوائف المتكلمين الذين خاضوا في عديد المسائل والأقوال مثل أن الفقه محدود من باب الظنون لا من العلوم، وأن الله ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا بغير حال، وهي أقاويل كان يرى بها شيوخهم كما هو حال أبو علي محمد بن

الدهرية والبيانية والهاشمية كالتشبيه والتعطيل والإرادة¹.

لكن نظرا لما آل إليه حال مدعوا هذا العلم من المساس بأمور العقيدة صار العلماء يحذرون منه ومن الدعاة إليه²، فالإمام الشافعي كان يرى بأن لقاء العبد ربه بالذنوب كلها ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام³، وأوصى بأن يضربوا بجريد النخل ويطاف بهم بين القبائل جزاء عقابا لأخذهم به وتركهم للسنة⁴، أما ابن عبد البر فينعتهم بكونهم أهل بدع وزيف الأمر الذي جعلهم لا يعدون في طبقات الفقهاء⁵.

والشأن ذاته نجده عند ابن حزم الأندلسي الذي أورد وصفهم لحال الكثيرين من مرتكبي الكبائر من أهل الإسلام تصل بهم إلى حد الكفر كما هو شأن المعتزلة⁶ والمرجئة⁷.

عبد الوهاب الجبائي ت303/915م وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت403/1012م (أنظر: أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، الإستقامة، تح: محمد رشاد سالم، ط2، توزيع مكتبة السنة، القاهرة، 1409هـ، مج1، ص.47، ص.72).

¹ عبد الكريم الشهرستاني، كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره وصححه: ألفرد جيوم، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.ط، ص.103، ص.123، ص.238.

² الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص.74 وما بعدها؛ الشريف حاتم بن عارف العوني، المنهج المقترح لفهم المصطلح، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ/1996م، ص.73، تاريخ بغداد، ج13، ص.332.

³

⁴ أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة، موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تح: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1998م، ص.211.

⁵ أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبي الأشبال الزهيري، ط5، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ج2، ص.42.

⁶ ويعرفون كذلك بأصحاب العدل والتوحيد، وهي من الفرق التي ظهرت في الإسلام متخذة أصولا عقدية حاولت بثها بين صفوف المسلمين كالقول بخلق القرآن ونفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة وخلق الأفعال، والوعد والوعيد (أنظر: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، ط6، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1417هـ/1997م، ص.56 وما بعدها).

⁷ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجليل، بيروت، 1416هـ/1996م، ص.79، 80.

غير أن ذلك لم يمنع من وجود العديد من المؤلفات التي عنيت به ،حيث نجد كتاب فضائح المعتزلة لأبي منصور عبد القادر البغدادي ت 429/1037م¹ ، وكتاب القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية لعبد الوهاب الشعراني² ، وكتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين لفخر الدين الرازي³ ، وكذلك كتاب الطوالع للبيضاوي⁴.

ولا يكاد الدارس لتاريخ العلوم بالأندلس أن يعثر على مؤلفات أندلسية في علم الكلام مقارنة بما كان عليه الحال بالمشرق الإسلامي ولعل ذلك مرده إلى كون البلد لم تتجاذبه فيه الخصومات ولا اختلفت فيه النحل فقل لذلك إنتاجهم في هذا الباب⁵ ، زيادة على ذلك مواقف الفقهاء المالكيين التي كانت تضيق على المشتغلين بهذا العلم ، ويفهم ذلك من قول الفقيه القرطبي الكبير عمر ابن يوسف بن عبد البر أن أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أجمعوا أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ، وهي النظرة التي وافقه فيها الفقيه أبو محمد ابن حزم عن طريق توضيح ملابسات أهله وردود العلماء عليها⁶.

غير أن ذلك لم يمنع من بروز العديد من العلماء الذين اهتموا بهذا العلم أمثال أبو بكر يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه القرطبي ت 315/927م الذي يعد من أوائل الذين خاضوا فيه وذلك بعد عودته من رحلته إلى المشرق واضطلاعه على كتب الحجج

¹ إسماعيل باشا البغدادي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص. 1274.

² نفسه ، ج 2 ، ص. 1360.

³ نفسه ، ج 2 ، ص. 1614.

⁴ بن خلدون ، المقدمة ، ص. 448.

⁵ المقرئ ، نفح الطيب ، مج 3 ، ص. 176.

⁶ بن حزم ، الفصل في الملل ، ج 2 ، ص. 265 وما بعدها.

ومذهب المتكلمين¹، والشأن ذاته مع أبو العباس أحمد بن محمد الجذامي صاحب كتاب **المسائل في علم الكلام**²، وابن رشد الحفيد الذي تعمق في دراسة أقوال المتكلمين ونقده لمذاهبهم³.

ومن مشاهير المتكلمين الغرناطيين نجد أبو عبد الله محمد بن خلف الأوسي الذي كان على اضطلاع بمذاهب المتكلمين التي أخذها عن شيوخ عدة أمثال أبو جعفر بن محمد بن باق وأبي الحجاج بن موسى الكلبي، ألف في هذا الباب كتاب **النكت والأمال في الرد على الغزالي** وكتاب **الإيضاح والبيان في الكلام على القرآن** بالإضافة إلى رسالة سماها **البيان في حقيقة الإيمان**⁴، وقاسم بن عبد الكريم المعروف بابن جابر ت741هـ/1340م الذي شغل بالجدل والمنطق إلى جانب الفقه والإقراء رحل إلى المشرق فالتقى بشيوخ عدة وبه اضطلع على كتب المنطق التي أقرأها بغرناطة بعد عودته إليها⁵، ومحمد بن عبد الله بن داود الغافقي ت686هـ/1287م الأصولي المتكلم الذي شغل منصب كاتب لدى سلاطين غرناطة فذاعت شهرته ورفع شأنه لدى عامة غرناطة وخاصتها⁶.

والشأن ذاته مع أبو عبد الله محمد بن أحمد الإستجي ت639هـ/1241م صاحب كتاب **اقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين**⁷، وأبو جعفر أحمد بن الزيات مؤلف كتاب **أسس مبنى العلم وأس مبنى الحلم**⁸، وكذلك أبو القاسم بن جزى الكلبي شيخ بن

¹ بن الفرزي، المصدر السابق، صص. 438، 439.

² بن الأبار، المصدر السابق، ص. 48.

³ بن فرحون، المصدر السابق، ص. 284..

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، صص. 165، 166.

⁵ نفسه، مج4، ص. 262.

⁶ نفسه، مج4، ص. 426.

⁷ نفسه، مج2، ص. 326.

⁸ نفسه، مج1، ص. 290.

الخطيب الذي كان يثني عليه في عديد المناسبات مثل عكوفه على العلم تقييدا وتدريسا،
جماعا للكتب ممتع المحاضرة، له كتاب **النور المبين في قواعد عقائد الدين**¹.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.20 وما بعدها.

الفصل الرابع

العلوم الأدبية

- اللغة

- النحو

- الأدب

- الشعر

- الموشحات

شهدت غرناطة نشاطا واسعا في مجال العلوم الأدبية والاجتماعية رغم الانحطاط السياسي الرهيب الذي شهدته الأندلس على عهد ملوك الطوائف؛ أذكى ناره الصراع حول السلطة بين أمراءه، إضافة إلى تكالب القوى النصرانية عليها، فكانوا كلما ضعف سلطانهم إلا وتسابقوا إلى تقريب الشعراء منهم لكسب الرعية بمدائحهم الرنانة مقابل إغراقهم بالجوائز السنوية، بل تجاوز الأمر ذلك إذ صاروا يطمحون إلى سدة الحكم سواء بتقلد المناصب السياسية أو التواطىء مع الأمراء المتغلبين على السلطة في العديد من الأحيان.

1/ اللغة :

يرى أبو بكر بن العربي ت 1148/543م¹ أنه في عصور الإسلام الأولى لم يكن العرب بحاجة إلى تعلم اللغة² العربية كونهم آنذاك كانوا يتكلمونها بطريقة سليمة خالية من الأخطاء ،وبعد اختلاطهم بشعوب أخرى ذات لغات وثقافات مختلفة نزع الفساد إلى الألسن وداخلها اللحن ومن ثمة صار تعليمها أساسيا وذلك عن طريق تعلم ألفاظها ومعانيها وأساليب تكوين الجمل³.

ولكون أحكام الشرع مأخذا من الكتاب والسنة كان لزاما معرفة العلوم المتعلقة بها⁴، لذا اشتغل أهل الملة بهذا الفن وأولوه أهمية كبيرة خشية فساد موضوعات ألفاظه ؛ويدل على ذلك العدد الكثير من الكتاب الذين برزوا فيه ،وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهدي ت170/786م⁵ ،الذي كان السباق في ذلك بتأليفه لكتاب العين وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي⁶ ،ودخل هذا الكتاب إلى الأندلس على يد ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم ت302هـ / 914 م⁷ .

¹ هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي ،الحافظ المستبصر ختام علماء الأندلس ،ولد عام 468هـ ،طاف خلال حياته بالحجاز والشام ومصر والإسكندرية ،ترك مؤلفات كثيرة ؛منها القواصم من العواصم وعارضة الأحوزي في شرح الترمذي ،توفي بفاس سنة 1148/543م وبها دفن (أنظر: بن خلكان ،المصدر السابق ،ج3 ،صص.423،424).

² يهتم علم اللغة ببيان الموضوعات اللغوية والتي يعمد إلى حفظها بالكتابة والتدوين مجانية للدروس وما ينجم عنه من جهل بالقرآن و السنة الشريفة ،وهو ما عكف عليه أئمة اللسان من خلال بذل الجهود المضنية في تأليف وإملاء الدواوين (أنظر: بن خلدون ،المقدمة ،ص.567).

³ المقرئ ،نفح الطيب ،مج2 ،ص.153.

⁴ بن خلدون ،المقدمة ،ص.565.

⁵ هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهدي الأزدي (96هـ -714م/170هـ-786م) من مشاهير نحاة البصرة وصاحب علم العروض ،قال عنه عبد الله بن المقفع رأيت رجلا عقله أكثر من علمه (الزبيدي ،المصدر السابق ،ص.47 وما بعدها).

⁶ بن خلدون ،المقدمة ،ص.567.

⁷ بن فرحون ،المصدر السابق ،ص.168.

ومما ساعد على انتشار اللغة بالأندلس دخول عدد من التابعين إليها أمثال حنش بن عبد الله الصنعاني وأبو عبد الرحمن علي بن رباح اللخمي، ناهيك عن قادة المسلمين الذين جنحوا إلى الجهاد في سبيل نشر الإسلام في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا أمثال السمع بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي ت114هـ/732م¹، فما لبثت أن صارت فيما بعد لغة الأندلسيين الرسمية في معاملاتهم وشؤونهم كافة باعتبارها لغة القرآن الكريم².

ويعتبر أبو بكر الزبيدي ت330هـ/941م³ صاحب كتاب **لحن العامة**⁴ وأبو الحسن علي بن سيده ت458هـ/1065م⁵ صاحب **كتاب المحكم** الذي ليس في كتب اللغة أحسن ولا أنفع منه⁶ قمة تطور هذا الفن لدى الأندلسيين الذين يرى فيهم بن خلدون أنهم أهل صناعة بالعربية ومعلموها وأقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها عن سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم⁷، كون الفاتحين من عهد موسى بن نصير إلى غاية عصر عبد الرحمن الناصر

¹ المقرئ، **نفح الطيب**، مج1، ص.287.

² حامد دياب الشافعي، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، ط1، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص.31.

³ هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ت330هـ/941م اللغوي النحوي الشهير، صاحب كتاب "الواضح" في النحو ومختصر كتاب العين (أنظر: الضبي، **المصدر السابق**، ج1، ص.93، 94).

⁴ الحميدي، **المصدر السابق**، ص.42، المراكشي، **المصدر السابق**، ص.62.

⁵ الضبي، **المصدر السابق**، ص.366.

⁶ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.دار، ط.دار الكتب المصرية، القاهرة، 1369هـ/1950م، ج2، ص.468.

⁷ بن خلدون، **المقدمة**، ص.584.

ت350/هـ961م¹ كانوا ينقلون من المشرق ما عرفوه من لغة وأشعار العرب ويتداولونها في ليالي سمرهم دون أن تكون علما منظما².

وغرناطة بدورها اشتهر بها عدد كبير من اللغويين الذين برزوا في هذا الباب الرفيع الشأن نظرا لما خلفوه من إنتاج غزير دل في مجمله على مدى العناية الفائقة التي كانت تتميز بها اللغة عند عامة الغرناطيين وخاصتهم، غير أن المقام قد لا يتسع بذكرهم جميعا لذا يمكن الاقتصار على المشاهير منهم؛ كما هو شأن أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي الذي اشتهر بصناعة الرسم على الذهب، قرأ على شيوخ كثير أمثال الشيخ أبي الحسن بن أبي العيش والأستاذ أبي جعفر بن الزبير والخطيب أبي جعفر بن الزيات والراوية أبي الحسن بن مستقور، حظي برفعة سامية في غرناطة إذ ولاه وزيرها أبو عبد الله بن المحروق النظر في خزانة الكتب السلطانية، وأغدق عليه العطايا، لكن الأمر ما فتىء أن فسد ما كان بينهما بعد اتهامه بأمور صدرت عنه لها علاقة بمسجد البيازين، فقبض عليه ثم نفي إلى إفريقية التي عزم العودة منها إلى الأندلس بعد موت خصمه، إلا أن المنية وافته وهو في طريقه إليها سنة 730/هـ1329م³.

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن بيش العبدري ت750/هـ1349م الذي برع في العربية محققا فيها وشغفا بها، الأمر الذي أدى به إلى الاشتغال بتجارة كتبها الثرية، قرأ على شيوخ عدة منهم ببلده شيخ الجماعة أبي جعفر بن الزبير وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي وقرأ بسبته بعد انتقاله إليها على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، يقول عنه ابن الخطيب أنه التقاه بها عندما أرسل سفيراً إلى سلطان

¹ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ثامن خلفاء بني أمية بالأندلس وأول من تلقب منهم بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، عرفت قرطبة على عهده مكانة عالية هابتها بسبها ملوك الروم التي كانت تبعث بالهدايا وترسل الرسل لربط العلاقات معها، توفي سنة 350هـ (أنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص. 54 وما بعدها).

² أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962م، ج3، ص. 82.

³ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص. 23 وما بعدها.

المغرب عام 752هـ/1351م وأنشده مجيباً عن الأبيات التي كثر اشتهاؤها لدى الناس وهي:

يا ساكناً قلبي المعنى وليس فيه سواك ثان

لأي معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

فقال : نحلنتي طائعا فؤادا فصار إذ حزته مكان

لا غرو إذ كان لي مضافا إني على الكسر فيه بان.

بقي بسبته إلى أن استدعاه بن الخطيب إلى غرناطة فجرت عليه جراية من أحباسها، وقعد يقرئ بها إلى أن وفاه الأجل فدفن بالبيرة¹.

وأبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الخولاني الشهير بابن الفخار الذي أطلق عليه سيبويه العصر نظراً لنبوغه في علوم اللغة التي صار مبرزاً لها مجارياً أعلام البصريين من النحاة، إضافة إلى مشاركته في علوم الشرع من فقه وتفسير الأمر الذي أهله لأن يكون خطيباً بجامع غرناطة الأعظم، ومدرساً بمدرستها النصرية، كما ساهم في السفارة إلى عدوة المغرب رفقة الفقهاء للاستزادة في طلب العلم فالتقى في سبته بشلة من العلماء أشهرهم الشيخ الإمام أبي إسحاق الغافقي الذي لازمه كثيراً ونهل من علمه الغزير، وببلده قرأ على الشيخ النظار أبي القاسم بن الشاط والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد والقاضي أبي عبد الله القرطبي، وهو أحد الشيوخ الذين قرأ عنهم بن الخطيب حيث يقول عنه: "وقرأت عليه القرآن وكتابي الجمل والإيضاح وحضرت عليه دولا من الكتاب وتوجه صحبتي في الرسالة إلى المغرب".

قال فيه محمد بن عبد الله اللوشي يوم وفاته سنة 754هـ/1353م:

ويوم نعي الناعي شهاب المحامد تغيرت الدنيا لمصرع واحد

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.27 وما بعدها.

بدمع يحاكي الويل يشفى لواحد

فلا عذر للعينين إن لم تسايحا

جميل المساعي للعلا جد شاهد¹.

مضى من بني الفخار أفضل ماجد

وكذلك أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الذي عد من مشاهير الطلبة المكبين على طلب العلم، شديد الحرص على تحصيله من ذكر مسائل وإتقان حفظ، ذا نزعة للعربية وبيانها، لازم شيخ الجماعة أبو عبد الله بن الفخار وانتفع به كثيرا، تعرض في حياته لمحن مختلفة أبرزها شلل أصاب يده لكنه لم يثنيه عن التألق في بين أقرانه، إضافة إلى تعرضه للأسر والتشهير بين الناس من قبل سلاطين غرناطة بتهمة التآمر مع أمراء بني مرين كادت تؤدي بحياته، غير أنها لم تدم إذ عفي عنه في الأخير وأعيد إلى موطنه أين عين مقرئا بإحدى جوامعه².

ولعل من مشاهير غرناطة في ميدان اللغة دون منازع أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الشهير بأثير الدين بن حيان النفزي ت745/1344م، كان على اضطلاع بعلم العربية من نحو وشعر زيادة على حفظ تفسير وطرق رواية، قرأ بغرناطة على الشيخ أبو جعفر بن الزبير الذي لازمه كثيرا وبلغ من شدة تعلقه به أن صلى عليه بالقاهرة صلاة الغائب أيام إقامته بها فارا من دسائس خصومه، ودرس على الخطيب أبي جعفر الطباع والخطيب أبي الحسن بن فضيلة المعافري، كما روى عن العديد من المحدثين كالقاضي المحدث أبو علي الحسين بن أبي الأحوص الفهري، وأبو عبد الله محمد بن عمران الأنصاري، كما جالس بالقاهرة جهابذة كبار أمثال الإمام بهاء الدين محمد بالنحاس الشافعي الذي عرض عليه كتاب سيبويه وأقر له أنه لم يقرأه على أحد غيره وذلك عام 688/1289م³.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.35 وما بعدها.

² نفسه، مج3، ص.38، 39.

³ نفسه، مج3، ص.43 وما بعدها.

ومن كتب اللغة التي تداولها أهل غرناطة نجد كتاب "رصف المباني في حروف المعاني" لأبي جعفر أحمد بن راشد الشهير بابن عبد النور ت 702/1302م¹، وكتاب "قاعدة البيان وظابطة اللسان" لأبي جعفر الحسن الكلاعي ت 728/1327م²، وكتاب روضة الحقائق في تأليف الكلام الرائق لأبي القاسم محمد بن علي الهمداني الشهير بابن البراق ت 596/1199م³، وكذلك كتاب الدرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجا المرسومة لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن فضيلة المعافري ت 749/1348م⁴.

النحو:

تعددت الروايات العربية التي تحدثت عن تاريخ نشأة علم النحو⁵ بين مجتهد مصيب وبين سامع مقل؛ فمنهم من عزاه إلى عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي طلب من أبي الأسود الدؤلي أن يجعل للناس حروفا من رفع ونصب وجر بعد أن سمعهم يلحنون فيها⁶، ومنهم من أسند ظهوره إلى نصر بن عاصم الليثي⁷ وعبد الرحمن بن هرمز الذي كان أعلم الناس بشؤون قريش وأخبارها على عهده⁸.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 198.

² نفسه، مج 1، ص. 290.

³ نفسه، مج 2، ص. 489.

⁴ نفسه، مج 2، ص. 342.

⁵ يقصد بالنحو في اللغة الطريق والقصد، وفي اصطلاح العلماء العلم بالقواعد التي يعرف بها أحكام أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها من الإعراب والبناء وما يتبع ذلك (أنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مج 20، ص. 225 وما بعدها).

⁶ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، د. ط، مطبعة المدني، مصر، د. ت. ط، ص. 12؛ أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، د. ط، دار العروبة، القاهرة، 1378/1959م، ص. 42 وما بعدها.

⁷ أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، اعتنى بنشره وتهذيبه: فريتس كرنكو، د. ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1936م، ص. 13.

⁸ ابن النديم، الفهرست، د. ط، مطبعة الإستقامة، القاهرة، د. ت. ط، ص. 65.

واعتبر علم النحو بمثابة صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي وفهم القرآن الكريم والحديث النبوي فهما صحيحا لكونهما أصل الشريعة وعليهما مدارها¹، لذا جاءت التأليف العديدة التي تصب في هذا الباب مثل **الأجرومية** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن أجروم ت723/1323م² و**الألفية** لابن مالك ت672/1273م³، إضافة إلى ما ألفه أبو محمد عبد الله بن درستويه في كتابه **الإرشاد في النحو**⁴ وكتاب **الأصول في النحو** لأبي بكر بن السراج⁵، وكذلك كتاب **المغني في الإعراب** لجمال الدين بن هشام⁶، وهي في مجملها تسعى إلى تطهير اللغة مما لحق بها من كلمات دخيلة عليها⁷.

شهد النحو في الأندلس تطورا ملحوظا نظرا لاشتغال الكثيرين به وعلى رأسهم العلماء؛ إذ يذكر المقرئ أنه وصل عندهم إلى نهاية علو الطبقة متشبهين بأصحاب أحمد

¹ محمد الصغير العبادلي المقطري، **الحلل الذهبية على التحفة السنية**، ط3، دار الإمام مالك، البليدة، 1428هـ/2007م، ص.25.

² السيوطي، **بغية الوعاة**، مج1، صص 238، 239.

³ هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي إمام النحويين واللغويين في عصره، تتلمذ على علي شيوخ عدة أمثال بن الحاجب وابن يعيش، استقر به المقام بعد رحلته بدمشق أين تقلد مهام مشيخة المدرسة العادلية، ترك مؤلفات في النحو والصرف بلغت نحو ثلاثين مصنفا بين منظوم ومنثور؛ منها الألفية المشهورة، والكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت، والمؤصل في نظم المفصل للزمخشري، وفي العربية له شرح الجزولية وعمدة الحافظ وعدة اللافت، توفي بدمشق سنة 672/1273م (أنظر: بن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، ج5، ص.339).

⁴ بن النديم، **المصدر السابق**، صص.99، 100.

⁵ أبو بكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي، **فهرسة بن خير**، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م، ج2، ص.402.

⁶ بن خلدون، **المقدمة**، ص.567.

⁷ يوهان فيك، العربية، عرض ونقد غازي مختار طلبيمات، أفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة الأولى، العدد3، دبي، رجب 1414هـ/ديسمبر 1993م، ص.10.

خليل الفراهدي وسيبويه ،إذ أن كل عالم لا يكون متمكنا من علم النحو ليس عندهم بمستحق للتميز ولا بسالم من الازدراء¹.

ولعل من أشهر النحويين بالأندلس دون منازع أبو مروان عبد الملك بن سراج ت488/1095م² الذي أكثر مؤرخو الأندلس من وصفه في كتبهم³ كونه أخرج ما كاد يندرس من المؤلفات الأدبية الشهيرة حفظا وتنقيحا ؛كتاب البارع لأبي علي القالي و كتاب أبيات المعاني للقتبي⁴ ،بالإضافة إلى نوابغ آخرين أمثال بن أبي الربيع والشلوبين الذين زادت ملكتهم في هذا الفن بفضل رحلاتهم إلى المشرق وتلقيه من أفواه أربابه⁵ .

شهدت غرناطة بدورها ازدهارا كبيرا في هذا الفن نظرا لأهمية أصحابه الذين حفظوا لغة القرآن من الاندثار والتأثر بكل ما هو مشوه لقدسيته ومواصلة رسالتها الحضارية من تهذيب للطباع وتعبيرا عن سماحة الدين الحنيف ؛سواء من اللهجة العامية التي أصبح مستعملوها يلحنون في القول عند محاولاتهم التكلم بها من فئات المجتمع الغرناطي المختلفة الأجناس أو من الكلمات الأجنبية الدخيلة عليها بحكم علاقاتها مع الممالك النصرانية أوقات السلم والحرب من تبادل للزيارات والوفود الرسمية وعقد الصفقات التجارية أو من خلال عقد المعاهدات وتبادل الأسرى الذي كان الكثير منهم يلبثون لسنوات طوال في بلاد العدو فينقلون ما علق بأذهانهم إلى بلداتهم من تعابير وألفاظ أثرت بمرور الزمن على نسق اللغة العام ،وهذه الحالة مست حتى الطبقة الحاكمة التي لم تكن بمنأى عن ذلك وهو ما يفهم من قول بن الخطيب عند حديثه عن الأمير الغرناطي أبو

¹ المقرئ ،نفح الطيب ،مج1 ،ص.222.

² الضبي ،المصدر السابق ،ص.331.

³ بن فرحون ،المرجع السابق،ص.257.

⁴ الزركلي ،المرجع السابق ،ج4 ،ص.159..

⁵ المقرئ ،أزهار الرياض ،ج3 ،ص.27.

الوليد إسماعيل بن يوسف النصري الذي نعتة بالفاقد لحسن الأدب ،العريقة ألفاظه في العجمة¹.

ولعله إذا جيء إلى حصر إسهامات الغرناطيين في هذا الباب العزيز المطلب لوجد القارئ العديد منها ؛خصوصا إذا علم أن أغلبهم كانوا ذوي نزعات علمية في أبواب العلم المختلفة والتي تنبأ في مجملها عن مدى قيمة هذا اللون الأدبي العزيز ،لذا يمكن الاقتصار على البعض منهم أمثال أبو جعفر أحمد بن الزيات مؤلف كتاب **رصف نفائس اللآلئ** ووصف **عرائس المعالي**² ،وأحمد بن جزى ت741هـ/1340م صاحب كتاب **الفوائد العامة في لحن العامة**³.

الأدب :

لم تكن لفظة الأدب مشهورة عند العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام إلا بما يخص وزن الأخلاق وتقويم الطباع⁴ ،ليتسع مدلولها فيما بعد إلى عدة معان منها تهذيب النفس وتعليمها ومنها الكلام الحكيم الناجم عن حكمة أو قول سديد ،وهي في أغلبها تؤدي إلى مجمل الكلام الجيد المروي نثرا وشعرا⁵.

وفي بداية عهد المسلمين بالأندلس اتخذ الأدب طابع الحماسة والتغني بالبطولات وذلك بغية إذكاء عزيمة المقاتلين ،فجاء إنتاجهم الأدبي بمختلف أنواعه امتدادا للمشرق لكنه سرعان ما فتى يتميز عنه نظرا لامتزاج بيئته الاجتماعية بأجناس مختلفة من عرب

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.398.

² نفسه ،مج2 ،ص.290.

³ نفسه ،مج3 ،ص.22.

⁴ مصطفى صادق الرافعي ،تاريخ آداب العرب ،د.ط ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1425هـ/2005م ،ج1

ص.21.

⁵ عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي ،ط3 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1978م ،ج1 ،ص.42.

المشرق وسكان أصليون احتضنوا كل ما هو جديد ،إضافة إلى عنصر المولدين الذين أخذوا ينافسون العرب في لغتهم¹.

ووجد هذا التنوع وسطا جغرافيا ساهم بقسط كبير في تطور فنونه وذلك ما تجلى في قول الشاعر بن سفر المريني :

ولا يفارق فيها القلب سراء	في أرض أندلس تلتذ نعماء
ولا نقوم الماء صهباء	وليس في غيرها بالعيش منتفع
على الشهادة أزواج وأبناء	وأين يعدل عن أرض تخضبها
على المدامة أفياء وأناء ²	وأين يعدل عن أرض تحت بها

والأدب الأندلسي عرف بدوره نقلة علمية منذ عصر الخلافة التي ساعد استقرارها السياسي والاجتماعي على مسيرته بخطى سريعة نحو الرقي الحضاري مقارنة بالعلوم الأخرى ،ناهيك عن تأثير البيئة الأندلسية بجمالها الذي يسلب الأفكار ويسبي النفوس من الجنسين رجال ونساء³ ،لذا حرصوا على تحصيله والاعتراف من مناهله كونه علم نبيل يتقرب به إلى مجالس الملوك والأعيان ومن لم تكن له مشاركة فيه أو متصفا بشيء منه كان مستثقل الروح غير مرغوب فيه عندهم⁴.

كما أن منهاج التعليم الذي اتبعوه في تكوين أبنائهم كان له دور إيجابي في رقي هذا الفن عندهم وذلك بتلقيهم الأدب قبل غيره من العلوم⁵ ؛ويشير أحمد أمين إلى أن إنتاج الأندلسيين في هذا المجال كان أكثر من بقية العلوم الأخرى ،حيث أكثروا من وصف

¹ بن حيان ،المصدر السابق ،ج3 ،ص.76.

² المقرئ ،نفح الطيب ،مج1 ،ص.227.

³ عبد الرحمن الحجي ،الحضارة الإسلامية في الأندلس : أسسها ،مياذنها ،تأثيرها على الحضارة الأوربية ،ط1 ،دار الإرشاد ،بيروت ،1969م ،ص.37.

⁴ المقرئ ،نفح الطيب ،مج1 ،ص.222.

⁵ بن خلدون ،المقدمة ،ص.558.

مجالات الحياة الاجتماعية ووصف الطبيعة والمواقع الحربية¹؛ دل عليه ذلك التنوع في الأدباء والمؤلفات التي صار لأصحابها شأن كبير لقرون عديدة كما هو حال أبو الوليد أحمد بن زيدون ت463هـ /1070م صاحب النونية² وابن عبد ربه ت328هـ /939م صاحب كتاب العقد الفريد³، وأبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ت426هـ /1034م صاحب كتاب حاتوت عطار⁴.

لقي هذا الفن اللغوي بغرناطة عناية فائقة بين أفرادها على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية والسياسية؛ فلا تكاد تجد فقيها أو محدثا أو رجل من رجالات الدولة إلا وكان له في الأدب سبق والتألق، يظهر ذلك من خلال العدد الهام من الأدباء الذين كان يذكرهم بن الخطيب في مختلف المناسبات سواء بالتفصيل أو بالإشارات يمكن الاقتصار على أشهرهم كما هو حال إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المكنى بالطويجن؛ كان وحيد أقرانه في الأدب نظما ونثرا، مشاركاً في فنون عديدة، طاف بالأندلس بعد أن اشتهر بغرناطة فضله وذاع صيته، ومنها إلى بلاد السودان⁵ التي أقام بها عند ملكها زمنا زمنا طويلا ازدادت فيها شهرته وسما ذكره، عرج بعدها على مراکش أين مدح أميرها عند اقترابه من تلمسان بقصيدة مطلعها :

ورنت بألحاظ الغزال الأعفر

خطرت كميّاس القنا المتأطر

وله في مدح غرناطة :

¹ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج3، ص35.

² مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس، ص.385.

³ بن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص.110.

⁴ الضبي، المصدر السابق، ص.164.

⁵ يطلق لفظ بلاد السودان على إمارات جنوب الصحراء كمالي وإيولتن وميمة وتمبكتو وكوكو، وضمت كذلك كل من مملكة غانة(300-1076) ومملكة الصنغاي(1326-1594) (أنظر: بن بطوطة، المصدر السابق، ص.684 وما بعدها؛ يحيى بو عزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، 2001م، ص.21 وما بعدها).

بلاد بها نيطت علي تمائي
وأول ارض مس جلدي ترابها¹

ومما زاد من ازدهار الأدب بغرناطة أن الكثير من الأدباء كانوا ينزحون إليها بعد توالي سقوط إمارات الأندلس في أيادي النصارى كما هو شأن الأديب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري ت520/1126م صاحب التأليف العديدة منها كتاب "الحديقة" في البديع، و"المسهب في غرائب المغرب"، احتفى بعبد الملك بن سعيد صاحب القلعة المشهورة باسمه بعد استيلاء العدو على بلدته بوادي الحجارة وفي ذلك يقول :

عليك أحالني الذكر الجميل
فجيت ومن ثناياك لي دليل

أتيت ولم أقدم من رسول
لأن القلب كان هو الرسول²

ومن علامات تألق أدباء غرناطة نبوغهم في فن المراسلات والمكاتبات الإدارية التي يطلق عليها تسمية الرسائل السلطانية نظرا لما لها من أهمية كبيرة في ترتيب شؤون الدولة وتسيير أمورها، سواء الداخلية منها أو الخارجية؛ لذا أولوها عناية تليق بها، فجاءت مؤلفاتهم حافلة ومتنوعة لعل أشهرها مؤلفي لسان الدين بن الخطيب؛ الأول بعنوان "بستان الدول" الذي شبه فيه أجهزة الدولة بعشر شجرات كل منها تعني جهازا معيناً كالقضاء والحسبة والوزارة وجعل الكتابة إحداها³.

والثاني حمل عنوان "ريحانة الكتاب" الذي جمع فيه الرسائل التي كتبها عن سلاطين بني نصر⁴، أبان فيها عن كفاءة عالية في فن المخاطبات نظرا للأساليب الراقية الواردة فيه والتي جعلته قبلة أرباب الإنشاء التي إليها يصلون وسوق دررهم النفيسة التي يزينون بها صدور طروسهم ويحلون⁵.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص- ص. 329-341.

² نفسه، مج3، ص ص. 432، 433.

³ نفسه، مج4، ص. 460.

⁴ نفسه، مج4، ص. 459.

⁵.

ولعل من أبلغ الرسائل التي خطها لسان الدين بأنامله تلك التي حث فيها أهل غرناطة على الجهاد بمناسبة محاولة استرداد ثغر الجزيرة الخضراء¹ التي لقبها بباب الأندلس وبكر الفتح الأول، وأن الإسلام بالأندلس ساكن دار وهي بابه وهو مبعد مغار وهي ركابه... من هذه الفرضة دخل الإسلام تروع أسوده، ومن هذه الجهة طلع الفتح الأول تخفق بنوده².

وكذلك رسالته إلى أبي عنان سلطان فاس يستشفعه في القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ت 759/1357م وذلك عام 757/1356م، استعمل فيها عبارات تليق بالمقام وتكشف عن أحكامه لفنون الخطاب، مما جاء فيها "...من حمراء غرناطة حرسها الله... وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ... نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد، وظمأها عن منهل قبولكم لا تجلى ولا تصد، حسبما سنه الأب الكريم والجد..."³.

ومن المشاهير في هذا الفن أيضا نجد شيخ بن الخطيب أبو الحسن بن الجياب ت 749/1348م الملقب برئيس كتاب الأندلس لحمله راية المنظوم والمنثور، إمام في البلاغة والأدب⁴، وهو ما جعله يحظى بمنزلة رئاسة الكتاب لدى سلاطين غرناطة لأعوام مديدة، بدءا من السلطان أبو الجيوش نصر بن محمد (708-1308م/713-1313م)⁵ إلى عهد السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (733-1332م/755-1354م)⁶، أبان فيها عن مهارات فائقة في تدبيج الرسائل وصياغة الخطابات بأساليب ممتعة أوحى بتفوقه

¹ تطلق تسمية الجزيرة الخضراء على المنطقة الأندلسية المقابلة لسبتة، بينها وبين قرطبة خمسة وعشرون فرسخا، وهي من أجمل مدن الأندلس وأفضلها أرضا (أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 136).

² بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص 88.

³ نفسه، مج 2، ص ص 198، 199.

⁴ نفسه، مج 4، ص 125.

⁵ نفسه، مج 3، ص 336.

⁶ نفسه، مج 4، ص 320.

على نظرائه من بني عصره وسعة اضطلاعهم ، جمع بن الخطيب نتفا منها في مؤلف سماه "تافه من جم ونقطة من يم" ¹.

وكذلك أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن زمرك ت 795/1392م تلميذ بن الخطيب وصديقه من قبل وعدوه من بعد ،بدأت مسيرته في هذا المجال بترقيه لدى سلاطين بني مرين بدءا بأبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن ليلتحق بعدها بخدمة السلطان الغرناطي محمد الغني بالله الذي قلده كتابة سره ،فاشتهر فضله وامتد في ميدان النثر والنظم باعه ².

والشأن نفسه مع محمد بن أحمد بن حيون حامل راية البلاغة والإعلام في ميادين البيان ،رحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان ،أهله لأن يجمع بين الكتابة والقضاء والخطابة بغرناطة على عهد خامس ملوكها أبو الوليد اسماعيل بن نصر(713هـ-1313م/725-1324م) ³.

كما تجدر الإشارة إلى مسألة هامة ألا وهي انحصار هذه الحرفة في بعض العائلات الغرناطية المشهود لها بسعة الباع وعلو الشأن العلمي والاجتماعي ،بحيث توارثوها أبا عن جد كما هو حال عائلة أبو عبد الله محمد بن الحكيم اللخمي الذي تبوأ كتابة الإنشاء لدى المملكة ⁴ وخلفه فيها ابنه أبو بكر بن الحكيم ت 750/1349م أكثر عمره ⁵ ،ومن بعده أبو القاسم محمد بن الحكيم ت 750/1349م الذي كان قاضيا ببعض جهات غرناطة ⁶.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص.64.

² نفسه ،مج 2 ،ص.301،302.

³ نفسه ،مج 2 ،ص.181،182.

⁴ نفسه ،مج 1 ،ص.560.

⁵ نفسه ،مج 2 ،ص.272،273.

⁶ نفسه ،مج ،ص.266.

والشأن نفسه مع أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري الذي خدمت عائلته في ظل الدولة النصرية لسنين طويلة، اشتهر عنه تقلده للكتابة لدى أمراء وسلاطين عدة في كل من بجاية وفاس ثم غرناطة نظرا لرفعة أدبه وجودة نثره¹.

ومن فنون الأدب التي شهدتها غرناطة بشكل ملفت للانتباه فن الخطابة وإحكام استعمال العبارات التي تتماشى مع ما نظمت من أجله والتي كانت تزداد قوة في وقعها وغزارة في معانيها كلما زادت الخطوب والرزايا، منها الخطب الجهادية التي كانت تصدر عن عليّة الدولة، مثل خطبة السلطان الغرناطي محمد بن أبي الحجاج النصرى التي تليت في المساجد يحث فيها أهل غرناطة على وجوب الإستعداد لمواجهة الخطر الصليبي الذي بات يهدد مملكتهم وما أعده من عدة لتحقيق ذلك، ويذكرهم في الآن ذاته بعظم الأجر الذي سيحصلونه في الدفاع عن ديار الإسلام وبما كان عليه سلف الأمة في مثل هكذا مواقف، ويحذّرهم من الغفلة ومن مغبة التقاعس عن ذلك في الدنيا والآخرة، وضرب مثلا بإمارات الأندلس التي سقطت بأيادي عبدة الصلبان نتيجة الغفلة والتناحر حول الملذات والملهيات، فكان أن حلت النواقيس مكان الآذان².

وكذلك الخطبة التي حثت الناس على إنجاد الجزيرة الخضراء باب الأندلس وبكر الفتح الأول وإشعارهم بمدى أهمية هذه المنطقة نظرا لما لها من فضل في القديم والحديث، استعملت فيها عبارات في غاية الدقة تتبأ عن المقام الذي جعلت له والغرض من ذلك³.

ومن المؤلفات في هذا اللون الأدبي نجد عديد الكتب الأول بعنوان **شذور الذهب في صروم الخطب** والثاني حمل إسم **فائدة الملتقط وعائدة المغتبط** والثالث **المقام المخزون من الكلام الموزون** لأبي جعفر الحسن بن علي الكلاعي ت728هـ / 1327م⁴، وكتاب

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.342 وما بعدها.

² نفسه، مج2، ص.53 وما بعدها.

³ نفسه، مج2، ص ص.88،89.

⁴ نفسه، مج1، ص.290.

روضة الحقائق في تأليف الكلام الرائق لأبي القاسم محمد بن علي الشهير بالبراق¹، وكذلك كتاب المساهلة والمسامحة في تبين طرق المداعبة والممازحة لإبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري².

غير أن هناك من استعمل هذا الفن اللغوي كوسيلة للوصول إلى تحقيق الأهداف والمشاريع المرجوة كما هو حال عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي الذي يصفه بن الخطيب بصاحب الدرك الأسفل من النظم، وسط الخط، سوق السجع، وذلك عندما شغل منصب كاتب لدى السلطان الغرناطي أبو الوليد إسماعيل بن يوسف النصري³.

لكن الذي يمكن ملاحظته رغم هذا التنوع هو أن الأدب لم يرتقي في غرناطة إلى مستو راق في بداية الأمر نظرا لوجود طوائف من البربر تقلدوا مناصب ولالة الأمور الذين كان شغلهم الشاغل هو العمل على استتباب الأمن والمحافظة على مصالح المملكة الفتية التي كان لا تزال في أولى مراحل نشأتها، هذا ما فصح المجال لدخول أعلامه من الغرباء عن البلد الذين كان لهم دور بارز في مختلف فروع كآبي الفتوح الجرجاني الشاعر الفيلسوف والفلكي، وصامويل بن النخيلة اليهودي الذي تألق في ميدان الدراسات العبرية، قابله نزوح شعراء وكتاب غرناطيين إلى بلاط ألميرية⁴.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.489.

² نفسه، مج1، ص.346.

³ نفسه، مج2، ص.403.

⁴ أنظر: - Angel Gonzalez Palencia , historia de la literatura ara bigo

Espanola..pp18.19.

الشعر :

يرى بن خلدون أن الشعر من فنون كلام العرب شريف المنزلة ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون إليه في الكثير من حكمهم¹، كما أن بن قتيبة تدبر الشعر على حد قوله فوجده على أربعة أضرب؛ منه ما هو حسن لفظه وجار معناه وضرب حسن لفظه وحلا معناه فإذا فتشته لم تجد له فائدة في معناه، ومنه ما جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه وضرب تأخر معناه ولفظه².

وقد يبدوا لمتتبع مسيرة الشعر الأندلسي منذ الوهلة الأولى أنه لم يختلف كثيرا عن الأدب من حيث انتمائه المشرقي وطريقة نظمه ومميزات أساليبه ومعانيه، وذلك ما نلمسه من قول بن بسام الشنتريني ت 542هـ/1147م أن أهل الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم إليه رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعق بالأفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لبحثوا على هذا منها وتلوا ذلك كتابا محكما³، غير أنه وبمرور السنين أخذ ينفرد بخصائص جعلت منه حقا لضروب متنوعة؛ كون الأندلسيون لم يتركوا بابا من أبوابه المعروفة إلا وعالجوه⁴؛ فتركوا قصائد في المدح والهجاء والثناء والفخر والزهد والغزل فجاءت غزيرة ومعبرة في مجملها عن نواحي الحياة الأندلسية⁵ التي أثرت بدورها فيما بعد ولسنين طويلة في مؤلفات الشعر لدى الإسبان وهذا ما أشار إليه غوستاف لوبون من أن مصادر الشعر الإسباني والبروفنسي ترجع في أصولها إلى

¹ بن خلدون، المقدمة، ص. 588.

² أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، المطبعة الشعبية للجيش، د. ط، الجزائر، 2007م، ص.

³ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: سالم مصطفى البديري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م، مج1، ص. 3، 4.

⁴ يرى المقرئ أن الشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم. (أنظر: نفح الطيب، مج1، ص. 222).

⁵ يوسف فرحات ويوسف عيد، معجم الحضارة الأندلسية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 2000م، ص. 5.

تأثيرات شعراء عرب الأندلس الذين كانوا يجتمعون في خيامهم كل مساء لسماع القصص العجيبة كما هو حال غرناطة¹.

كما أن هناك أمر آخر يعد من الأسباب الرئيسية التي أعطت الشعر مكانة مرموقة بهذا القطر ألا وهو ذلك الاهتمام الكبير الذي حظي به الشعراء لدى الملوك والأمراء خصوصا أوقات الأزمات والفترات العصيبة التي كانت تشهدها الأندلس بين الفينة والأخرى، فكان لكل أمير شاعر يعتبره لسانه الحاد الذي يبدي محاسنه ومهابته لدى العامة وساعده القوي الذي يعينه على مجابهة مناوئيه من الداخل والخارج، يغدقه بالعطايا والمركز السامي في دولته كما هو حال المعتمد بن عباد مع أبي الوليد أحمد ابن زيدون²، ومحمد بن أبي عامر الذي كان يصحبه عدد كبير من الشعراء في غزواته لبلاد النصارى من ذلك ما أشار إليه بن الخطيب حين تعرض لذكر شخصه ومروره بالبيرة، حيث ذكر عددا منهم أمثال حسن بن الوليد الشهير بابن العريف وأبو الوضاح بن شهيد وطاهر بن محمد المعروف بالمهند ووصفهم بالشعراء المرتزقين من ديوانه³، ناهيك عن دور مناظر الأندلس الخلافة التي أكسبت الشعر قوة وزادته جمالا خصوصا إذا علمنا أن أغلب شعراء البلد ازدادوا شهرة بين أقرانهم من شعراء المغرب والمشرق الإسلاميين نظرا لما أكثروه من وصف الطبيعة واستلهموه من تعابير لها وقعها على سامعها، فكانوا مثلا عند ذكرهم المرأة يشبهونها بالزهر والنعمان والآس⁴.

¹ غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط3، القاهرة 1375هـ/1956م، ص.448.

² المراكشي، المصدر السابق، ص.162.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.106.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، مج5، ص.52.

وإذا جيء إلى تقييم مدى اهتمام الأندلسيين على العموم بهذا الفن نجده يمثل عندهم في أغلب الأحيان السمة الأدبية العامة لهم حتى قيل أن مدينة شلب¹ مثلاً قل أن يرى أحد من أهلها لا يقول شعراً ولا يهتم بالأدب حتى أهل الفلاحة لو سأل أحدهم عن الشعر لقرضه من ساعته²، يضاف إلى ذلك ما اتصف به الأندلسيون من خيالات ذهنية وكثرة المعاني جعلت منهم يتفوقون على المشاركة في الكثير من الأحيان؛ فتجدهم يأخذون عن المتنبي مثلاً أسلوبه ويحاكون جزالة تعبيراته وعمق خياله كما فعل بن هاني³.

وقد جاءت أغلب الأشعار التي وردت في موسوعة الإحاطة تصب أغلبها في أغراض المدح والرثاء والاستنجاد ببني جلدة الإسلام، ناهيك عن الفخر والغزل واستهجان العديد من الحوادث التي كانت تطرأ بين الفينة والأخرى، غير أن التي نالت حظاً أوفراً ضرباً المدح والتغني بأعمال المشاهير من السلاطين ورجال الدولة، أبانت على نباهة شعراء غرناطة وقدرتهم في استخدام الألفاظ الجزلة والقوية؛ من ذلك ما قاله أبو عبد الله محمد بن لب النحوي ت 725/1324م في السلطان أبو الوليد إسماعيل بن نصر (713/1313م - 725/1324م) على إثر انتصاره على جيش قشتالة في ربيع الثاني عام 718هـ/ ماي 1318م:

أسمى الملوك أبو الوليد المرتضى	وأعز من شرفت به الأمداح
هو دوحة الملك العلي فروعها	وبراحتيه ترزق الأدواح
ولمئلته قاد الجياد عدوه	فخباله قدح وخاب قداح ⁴

¹ شلب: بكسر أوله وسكون ثانيه من مدن غرب الأندلس بينها وبين باجة مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين قرطبة عشرة أيام، اشتهر عن أهلها برعايتهم للعلوم خوصاً الأدبية منها (أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص. 357).

² القزويني، المصدر السابق، ص. 541.

³ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 3، ص. 106، 105.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 438.

وما قاله بن الخطيب بدوره في السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج
الخرجي ت755هـ/1354م :

أ يوسف إن الدهر أصبح واقفا	على بابك المأمول موقف تائب
دعائك أمضى من مهنة الطبا	وسعدك أقضى من سعود الكواكب
سيوفك في أغمادها مطمئنة	ولكن سيف الله دامى المضارب
فثق بالذي أراك أمر عباده	وسل فضله فأنه أكرم واهب ¹ .

وكذلك ما جاء في قصيدة طويلة لابن الجياب شيخ بن الخطيب يهنئ فيها ذو
الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن اللخمي ت708هـ/1308م:

يا قادما عمت الدنيا بشائره	أهلا بمقدمك الميمون طائره
ومرحبا بك من عيد تحف به	من السعادة أجناد تظاهره
فأنت في عصرنا كابن الحكيم	إذا قيست بفخر أولى العاليا مفاخره
وزارة الدين والعلم الذي رفعت	أعلامه والندى الفيض زاخره
لا يصدر الملك إلا عن إشارته	فالرشد لا تتعداه مصائره ² .

ومنه أيضا ما قاله الشاعر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي في مدح الأمير
المرابطي علي بن يوسف اللمتوني أيام مكوته بغرناطة :

أيا مالكا يسمو بسعد مساعد	وقدر على علو الكواكب صاعد
نظمت قصيدا في علاك	مضمنا ثلاث قواف في ثلاث قصائد

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص.331.

² نفسه، مج2، ص ص 453،454.

إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإن وصلت كانت ككعب وساعد¹

ونجد أيضا العديد من القصائد التي كانت تنظم تبعا لمناسبات معينة منها القصيدة التي هنا فيها أحمد بن محمد بن فركون ت 729/1328م السلطان الغرناطي أبو عبد الله بن نصر بمناسبة تماثله للشفاء بعد مرض ألم به منها قوله :

شفأوك للملك اعتزاز وتأيب
وبرأك مولانا به عيدنا عيد

مرضت فلم تأو النفوس لراحة
ولا كان للدنيا قرار وتمهيد

ولم تصبر عيني تود مؤلما
ولازمها طول اعتلاك تسهيد²

وكذلك ما نظمه أبو الحسن بن الجياب في تهنئة محمد بن عبد الرحمن بن فتوح اللخمي ت 708/1308م بمناسبة عيد الفطر المبارك وهي قصيدة طويلة ابتدئها بقوله :

يا قادما عمت الدنيا بشائره
أهلا بمقدمك الميمون طائره

ومرحبا بك من عيد تحف به
من السعادة أجناد تظاهره

قدمت فالخلق في نعمة وفي جذل
أبدى بك البشر باديه وحاضره

الأرض قد لبست أثواب سندسها
والروض قد بسمت منه أزهاره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا
لما سقاها دراكا منك باكره³

ومن الرثاء نجد عددا من القصائد التي استعملت فيها أبلغ العبارات التي لها وقع على النفوس نظرا لما يقتضيه حال صاحبها ومنزلته من المقول فيه ؛من ذلك ما نظمه بن الخطيب في أبيه أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني ت 741/1340م:

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطي
وللدهر كف تسترد الذي تعطي

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص. 477.

² نفسه، مج 1، ص. 156.

³ نفسه، مج 2، ص. 453.

فلا بد يوما أن نحل على الشط

وإننا وإن كنا على ثبج الدنا

ومن أسرع السير الحثيث ومن يبط

وسيان ذل الفقر أو عزة الغنى

فلم يغن رب السيف عن ربة القرط¹.

تساوى على ورد الردى كل وارد

وزاد عليه في رثائه قول شيخ بن الخطيب أبو زكريا بن هذيل :

إذا قلت أبياتا حسانا من الشعر

إذا أنا لم أرث الصديق فما عذري

وأجريت دمعي لليراع عن الحبر

ولو كان شعري غير ندبة لم يكن

التي توخيتها عونا على نوب الدهر².

لما كنت أقضي حق صحبتته التي

ومنها كذلك رثاء السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل الأنصاري

ت725هـ/1324م الذي ورد في مرثية طويلة لأبي الحسن بن الجياب :

ويا زفرة الحزن احكمي وتحكمي

أيا عبرة العين امزجي الدمع بالدم

فإن الأسى فرض على كل مسلم

ويا قلب ذب وجدا وغما ولوعة

وفتاح أبواب الندى والتكرم

ولم لا وشمس الملك والمجد والهدى

وحيدا وأصمته الليالي بأسهم

ثوى بين أطباق الثرى رهن

تبوأ منها في الخلود التتعم

شهير سعيد صبحته شهادة

ألا فاعتبرها فهي نبتة أرقم

فيا من يرى الدنيا مجاجة نحلة

ففي الغد تلقاه بوجه جهنم³

فمن شام منها اليوم برق تبسم

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.391.

² نفسه، مج3، ص.391، 392.

³ نفسه، مج1، ص.395، 396.

ولعل من أشهر المراثي في غرناطة قاطبة تلك التي نظمت عند وفاة السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك بني نصر :

محمد الرضي سليل محمد إمام الندى نجل الإمام محمد

فيا نخبة الأملاك غير منازع ويا عالم الأعلام غير مفند

بكتاك بلاد كنت تحمي دمارها بعزم أصيل أو برأي مسدد

وكم من معلم للدين أوضحت رسمه بنى لك في الفردوس أرفع مصعد

كأنك ما سست البلاد وأهلها بسيرة ميمون النقيبة مهتد

كأنك ما قدت الجيوش إلى العدا فصيرتهم نهب القنا المتقصد

كأنك ما أنفقت عمرك في الرضى بتجديد غزوات وتشبيد مسج

وإنصاف مظلوم وتأمين خائف وإصرار مذعور وإسعاف مجتد¹

وتعددت قصائد الفخر بدورها بغرناطة حيث كان الناس يتداولونها فيما بينهم خصوصا فيما يتعلق بباب النسب أو المكانة الاجتماعية والعلمية في الآن ذاته منها قول أبو عبد الله محمد بن الشديدي :

لنا الأيدي الطوال بكل ضرب يهز به لدى الروع الحسام

ونحن اللابسون لكل درع يصيب الشمس منهن انثلام

بأندلس لنا أيام حرب موافقهن في الدنيا عظام

ثوى منها قلوب الروم خوفا يخوف منها في المهد الغلام

حمينا جانب الدين احتسابا فها هو لا يهان ولا يضام².

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص. 555، 556.

² نفسه، مج2، ص. 386، 387.

وكان شعراء غرناطة في أحيان كثيرة يخرجون عن باب الفخر وذكر الأنساب إلى وصف معالم الطبيعة وأثارها المختلفة؛ من ذلك ما سألت به قريحة الشاعر أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المعروف بابن المربع ت1349/750م واصفا لجبل شلير بطلب من أمراء غرناطة إذ يقول :

وشيوخ جليل القدر قد طال عمره	وما عنده علم بطول ولا بقصر
عليه لباس أبيض باهر السنا	وليس بثوب أحكمته يد البشر
طورا تراه كله كاسيا به	وكسوته فيها لأهل النهى عبر
وطورا تراه عاريا ليس يشتكى	لحر ولا لبرد من الشمس والقمر
فذاك شلير شيخ غرناطة التي	لبهجتها في الأرض ذكر قد انتشر ¹ .

هذا واشتهر بغرناطة ضرب آخر من ضروب الشعر ألا وهو الغزل الذي يعد امتداد لمؤلفات شعراء الأندلس الذين برزوا في هذا الشأن من قبل كما هو حال كتاب الحقائق لأبي عمر أحمد بن فرج الجياني الذي ألفه للحكم المستنصر القرطبي² وكتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لأبي محمد بن حزم القرطبي ت1072/465م³.

ومن قصائد الغزل العديدة نذكر ما نظمه أبو عبد الله محمد بن محمد النمري ت736هـ /1335م في رسالة بعث بها إلى زوجه حينما كان بعيدا عنها يقول فيها :

سلام كرشف الظل في مبسم الورد	وسيل نسيم الريح بالقضب الملد
سلام كما ارتاح المشوق مبشرا	بروي من يهواه من دون ما وعد

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.425.

² أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح: روجية عبد الرحمن السويفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ص.92.

³ المقرئ، نفح الطيب، مج2، ص.83.

سلام كما يرضي المحب حبيبه من
الوعد سلام وتكريم وبر ورحمة
على ظبية في الأنس مرتعها الحشا
الجد في الإخلاص والصدق في
بقدر مزيد الشوق أو منتهى الود
فتأوي إليه لا لشيخ ولا رند¹.

وكذلك ما أنشده أبو بكر محمد بن مقاتل ت 739 هـ / 1338م:

أيا لبنى الرفاء تنظي ظباؤهم
لقد قطع الأحشاء منهم مهفهم
يسدد إذ يرمي قسى حواجب
وتسقمني عيناه وهي سقيمة
جفون ظباهم والفؤاد كليم
له التبر خد واللجين أديم
وأسهمها من مقلتيه تسوم
ومن عجب سقم جناه سقيم²

ومنها أيضا ما أنشده أبو عبد الله بن محمد البلوي :

عللوني ولو بوعد محال
واعلموا أنني اسير هواكم
فدموعي من بينكم في انسكاب
من مجيري من لحظ ريم ظلوم
وحلوني ولو بطيف خيال
لست أنفك إلا عن عقال
وفؤادي من سحر كم في انشغال
حلل الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسمر الجفن منى
طال منه الجوى بطول الليالي³

كما وردت قصائد عديدة صبت في باب الزهد والتوجع من أحوال الدنيا الآلية نحو
الزوال ؛كانت في مجملها عبارة عن تنبيهات صادرة عن من خاضوا التجارب وازدادوا
منها بصيرة ،من ذلك قول أحمد بن محمد بن سعيد بن جزى :

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص ص. 31، 33.

² نفسه ،مج2 ،ص. 380.

³ نفسه ،مج2 ،ص. 385.

أما واعظي شيب سما فوق لمتي
 أنار به ليل الشباب كأنه
 نهاني عن غي وقال منبها
 تشغفك الدنيا وما ان شغفتها
 ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها
 فأين الذين استاثروا قبلنا بها
 ذهلت بها غيا فكيف الخلاص
 من لعوب تتسني إذا قمت سربالي¹

ومنه كذلك قول أبو بكر محمد بن مفضل اللخمي :

لا تخذعك ترهات أحدثت
 واعكف على القرآن دهرك واجتمع
 وخزعبلات للجهول تروق
 إن الحديث وفقهه وعلومه
 فالشغل عنك لغيره تفريق
 والحق بقوم قد عنوا بتجارة
 هذا الذي للمؤمنين يليق
 واقنع بعلم الوحي علما ثم لا
 نفقت لهم يوم القيامة سوق
 لا ترضى فيه بالدنية ولتمت
 يذهب بك التشفيق والتوفيق
 إذا لم تسق منه رحيق²

وكذلك قول محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي ت 686 هـ / 1287م:

اقنع بما أوتيته تتل الغنى
 واعلم بأن الرزق مقسوم فلو
 وإذا دهتك ملة فالتصبر
 والله أرحم بالعباد فلا تسل
 رمنا زيادة ذرة لم نقدر
 أحدا تعش عيش الكرام وتؤجر

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 160.

² نفسه، مج 2، ص. 423.

وإذا سخطت لبؤس حالك مرة ورأيت نفسك قد غوت فالتصبر¹

ولم يقف الشعر عند هذا الحد بل اعتبر في كثير من الأحيان بمثابة مرجع حضاري وقالب قصصي حفظ الكثير من الحوادث التي شهدتها غرناطة عبر فترات تاريخها المجيد تراوحت بين المسرات والأحزان، أثرت في مجملها في نفسية الشعراء الغرناطيين كل على طريقته أو منزلته الاجتماعية.

وإن جيء إلى ترتيب الشعراء بغرناطة عبر سنواتها الطوال نجد منهم من كان يشابه شعراء المشرق الإسلامي الأوائل في نظمهم للشعر ومدى قوة العبارات والألفاظ والأساليب المستخدمة فيه؛ أمثال بن زمرك الصديق العدو الذي يصفه بن الخطيب بأنه شعلة من شعل الذكاء، كلفا بالقراءة مشارك في العديد من الفنون، قصائده في مدى الإجادة، قرأ ببلده على شيوخ كثر أمثال أبو عبد الله بن الفخار وأبو سعيد بن لب وبفاس على جماعة من العلماء على رأسهم أبي عبد الله العلوي التلمساني².

كما كان للمرأة الغرناطية دورها كذلك في نظم الشعر والعناية به ولعل من أشهرهن حفصة بنت الحاج الركوني ت 580هـ/1184م فريدة زمانها في الحسن والأدب، زينتها بديهة جيدة وشعر سريع، جعلت منها مطلبا لذوي الشأن يستعذبون أشعارها ويستأنسون بما تجود به قرائحها من أطيب الأقوال وأعذب التعابير، من ذلك طلب أخت الوزير أبو بكر يحيى بن محمد بن عمر الهمذاني أن تنظم لها شيئا بأناملها فكتبت لها :

غضي جفونك عما خطه القلم

ياربة الحسن بل يا ربة الكرم

لا تحفل بقبيح الخط والكلم

تصفحيه بلحظ الود منعمة

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.428.

² نفسه، مج2، ص.301 وما بعدها.

جاوزت شهرتها بلدها غرناطة أين دعيت لتدريس نساء الأمراء والسلاطين ،حيث دعاها منصور الموحدين للإشراف على تعليم نسائه ،وسألها يوما أن تتشده ارتجالا فقالت :

أمن علي بصك يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه الحمد لله وحده ¹ .

ونجد أيضا حمدة بنت زياد المكتب وأختها زينب الشاعرتان اللتان كانتا تجتمعان بأهل الأدب وتنظمان الشعر ،غير أن زينب كانت أقل حظا من أختها التي أورد لنا بن الخطيب بعضا من أشعارها منها قولها :

أباح الدمع أسراري بوادي له في الحسن آثار من وادي
فمن نهر يطوف بكل روض ومن روض يطوف بكل وادي
ومن عين الطبا مهات إنس سبت لي وقد سلبت فؤادي
لها لحظ ترقده لأمر وذاك الأمر يمنعني رقادي
وكذلك قولها :

ولما أبى الواشون إلا قتالنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على آذاننا من غارة وقلت حماتي عند ذاك وأنصار
رمىهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار ²

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص 491 وما بعدها .

² نفسه ،مج1 ،ص.490.

وتضاف إليهما فاضلة أخرى وصفها بن الخطيب بأنها ثالثة حمدة وولادة ، وفاضلة الأدب والمجادة ، ألا وهي أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي نشأت في بيت علم فاغترفت من أبيها الأدب والطب وأجادت قراءة القرآن وفنون الخط ناهيك عن نظمها الشعر الذي منه قولها :

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤلي لا أبغي به بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس¹

ومن المؤلفات الشعرية التي اشتهرت بغرناطة ديوان نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان لمحمد بن أحمد بن جبير الرحالة الشهير ت1217/هـ 614م ، وكذلك ديوانه الآخر نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح الذي نظمه على شكل رثاء في زوجته أم المجد التي فقدتها عند إقامته بفاس².

وكتاب "بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار" لأبي القاسم محمد بن علي الهمداني ت596/هـ 1199م³ ، وكتابا "المشرف الأصفى في المأرب الأوفى" ، و"الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية" لأبي جعفر أحمد بن الحسن بن الزيات ت728/هـ 1327م⁴.

¹ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج1 ، ص ص. 431، 430.

² نفسه ، مج2 ، ص. 232.

³ نفسه ، مج2 ، ص. 489.

⁴ نفسه ، مج1 ، ص. 289، 290.

الموشحات :

ظهر في الأندلس نوع من الشعر الشعبي صار يعرف بالموشحات والأزجال¹، اشترك فيه المثقفون وعامة الشعب² وكانت تستعمل فيه اللهجات العامية التي لا تلتزم بقواعد اللغة³ وبمرور السنين اشتهر في بين الأندلسيين وتناقلوه فيما بينهم خصوصا في مواسم العصور وأيام القطاف⁴، وقد لفت هذا الفن انتباه العديد من المؤرخين نظرا لأهميته في إضافة معلومات عن الرصيد الأدبي لتلك البقاع الإسلامية وتفردا بهذا الفن، ولعل أشهرهم بن خلدون الذي أفرد له فصلا خاصا في مقدمته عند حديثه عن الشعر عرف به وبخاصياته، من ذلك قوله "...ينظمونها أسماطا وأغصانا أغصانا، ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد..."⁵.

ويعتبر أبو بكر بن قزمان ت555/1160م⁶ من أشهر الذين برزوا في هذا المجال نظرا لما خلفه من موشحات بلغ صداها إلى بقاع مختلفة في العصر الوسيط ولقرون عديدة فيما بعد⁷ حتى لقب بإمام الزجالين⁸، يليه في المرتبة كل من بن عبد ربه⁹ وأبو

¹ عرفت الموشحات أنها زبدة الشعر ونخبته، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق (أنظر: المقري، نفح الطيب، مج3، ص.19).

² أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج3، ص.191.

³ محمد رضوان الداية، المختار من الشعر الأندلسي وفصول في شعر المغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1413هـ/1992م، ص.296.

⁴ إحسان عباس، تاريخ الأندلس: عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1962م، ص.22.

⁵ بن خلدون، المقدمة، ص.612.

⁶ الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص.322.

Mahmoud guettat: la musique classique du Maghreb , la bibliothèque arabe sindbad

⁷ أنظر. 135.p, 1980, paris,

⁸ بن خلدون، المقدمة، ص.619.

⁹ نفسه، ص.612.

العباس أحمد بن عبد الله الشهير بالأعمى التيطلي ت 520 هـ / 1123 م¹، وابن بشري صاحب كتاب **عدة الجليس ومؤانسة الوزير والأنيس** الذي ضمنه أزيد من ثلاث مئة موشحة².

كان بن قزمان يتردد على غرناطة بين الفينة والأخرى على حسب ما تقتضيه الضرورة أين كانت له جلسات يجتمع بمحببيه في إحدى القرى نعتها بن الخطيب بالزاوية، وذكر وصف نزهون القليعية الأدبية له ببقرة بني إسرائيل بعد مناظرة جرت بينهما. ومن مقطوعاته في هذا الفن ما نظمته على إثر سقوطه بأحد برك غرناطة نظرا لتمكن السكر منه :

إيه أبا بكر ولا حول لي بدفع أعيان وأنذال

وذات جرح واسع دافق بالماء يحكي حال أذيال

غرقتني في الماء يا سيدي كفره بالتغريق في المال³

ولابن الخطيب بدوره تأليف هام في هذا اللون الأدبي سماه **جيش التوشيح**⁴ عرض عرض فيه العديد من المقطوعات الزجلية، ومن بعض نظمته في هذا اللون قوله:

رب ليل ظفرت بالبدر ونجوم السما لم تدر

حفظ الله ليلنا ورعا أي الشمل في الهوى جمعا غفل الدهر والرقيب معا

ليت نهر السر لم يجر حكم الله لي على الفجر

¹ المقرئ، **نفح الطيب**، مج3، ص.241.

² أحمد بسام ساعي، الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب عدة الجليس، مجلة أفاق الثقافة والتراث، تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، السنة 01، العدد3، رجب 1414هـ/ديسمبر 1993م، ص.18، 19.

³ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج2، ص.505.

⁴ بن الخطيب، **ريحانة الكتاب**، ج1، ص.23؛ إسماعيل باشا البغدادي، **المرجع السابق**، مج1، ص.388.

علل النفس يا أخا الطرب بحديث أحلى من الضرب في هوى من وصاله أرب¹

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 525.

الفصل الخامس

العلوم الإجتماعية

- التاريخ
- الجغرافيا
- الفلسفة
- التصوف

تشكل العلوم الإجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة إضافة إلى التصوف دورا هاما في حقل الدراسات الإنسانية نظرا لما تساهم به من تدعيم معلوماتي للرصيد المعرفي الإنساني الذي له قيمته الخاصة في إطار الأنشطة الحضارية ،وذلك لا يتم إلا من خلال التعرض إلى الكثيرين من المهتمين بهذه العلوم على اختلاف مشاربهم المعرفية وتوجهاتهم الفكرية والكشف عن إنتاجهم الغزير فيه والذي يعتبر في مجمله بمثابة حوصلة لتجارب طويلة ورؤى مختلفة ،سواء بالمشاهدة أو بالسماع ،وهذا ما سنحاول التطرق إليه بغرناطة ومقارنته بما كان قائما بالإمارات الأندلسية والإسلامية عامة.

العلوم الإجتماعية :

1/ التاريخ :

اتسم تدوين الحوادث التاريخية عند المسلمين منذ أول وهلة بارتباطه المتين بالعلوم الشرعية من فقه وحديث¹ في قالب السيرة النبوية الشريفة التي عرفت فيما بعد باسم المغازي² لعل أشهرها كتاب السيرة لمحمد بن إسحاق بن يسار ت 151هـ/768م الذي ضمنه تاريخ الخليفة إلى غاية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم³، وكذلك كتاب المغازي لمحمد بن مسلم الزهري ت 124هـ/741م⁴.

ولعل اهتمام الخلفاء المسلمين بهذا الفن العزيز يعود الفضل فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اتخذ من الهجرة النبوية منطلقا لتاريخ المسلمين⁵، وسار على نهجه الخلفاء من بعده كما هو شأن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الذي كان يسجل أخبار الملوك وسيرهم في دفاتر رتب غلمانا لقراءتها⁶. ونظرا لما لحق العديد من الوقائع التاريخية من زيغ وتحريف لجأ أهله إلى اعتماد طرق المحدثين من إسناد وجرح وتعديل⁷، فظهرت مؤلفات عديدة تتحوا هذا النهج في تحقيق الأخبار ومحاولة تحري الحقائق كما هو شأن بن جرير الطبري في تاريخ الأمم

¹ عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص. 26.

² علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ط2، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص. 274.

³ جب هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1979م، ص. 148.

⁴ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص. 1460.

⁵ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حققه وعلق عليه: فرانس روزنثال، د. ط. مطبعة العاني، بغداد، 1382هـ/1963م، ص. 143.

⁶ محمد عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص. 197.

⁷ يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر هجري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ص. 12.

والملوك¹، وبن كثير في البداية والنهاية، تلاها بعد ذلك كتب التاريخ الجامعة لأخبار الخلفاء والحكام مثل كتاب الوزراء لإسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب ت 385/995 م²، وكتاب وفيات الأعيان لشمس الدين أحمد ابن خلكان ت 681/1282 م³، وكذلك كتاب فرائد السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك لأبي الفضل محمد بن أحمد الباعوني ت 871/1466 م⁴.

ويضاف إليها الكتب التي اهتمت بتاريخ الدول وأحوالها مثل كتاب التاريخ لليعقوبي ت 282/895 م⁵، وأخبار مكة للواقدي⁶، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت 463/1073 م⁷ بالإضافة إلى كتاب فضائل الشام لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي⁸ الربيعي⁸، والقند في تاريخ سمرقند لأبي حفص نجم الدين السمرقندي ت 537/1142 م⁹. 1142/ م⁹.

وقد يلحظ المنتبغ لحركة التأريخ ببلاد الأندلس أنه غلب عليها طابع ديني وأدبي ظهر في تراجم الشخصيات من علماء وقضاة¹⁰ وقادة جيوش بدرجة أولى وبحظ وافر كأخبار الفقهاء والمحدثين للخشني ت 361/971 م¹¹، وتاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد

¹ أحمد أمين، فجر الإسلام، ص. 252 وما بعدها، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 3، ص. 349.

² إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ج 2، ص. 1469.

³ أحمد مدحت إسلام، علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص. 164.

⁴ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج 2، ص. 1243.

⁵ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 3، ص. 405.

⁶ محمد أحمد ترحيني، المرجع السابق، ص. 54.

⁷ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 3، ص. 409.

⁸ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج 2، ص. 1275.

⁹ نفسه، مج 2، ص. 1356.

¹⁰ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص. 114.

¹¹ محمد بن الحارث الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا، د. ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م، ص. 9 وما بعدها.

الله بن محمد الفرضي ت403/1012م¹ وطبقات النحويين للزبيدي² وكتاب أخبار فقهاء
فقهاء قرطبة لابن عبد البر القرطبي ت338/949م³، وكتاب تاريخ المحدثين لأبي عمر
عمر أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي ت350/961م⁴، وكتاب أخبار دولة لمتونة لابن
الصيرفي⁵ حتى أن منهم من ترجم لعلماء جهة من الجهات ككتاب "تاريخ علماء البيرة"
لمحمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن حقل الغافقي ت619/1022م⁶ ومنهم من اهتم
بشخصية معينة كمحمد بن أبي عامر الحاجب المنصور الذي ألف فيه حسين بن عاصم
كتاب سماه المآثر العامرية⁷.

كما كان في بداية الأمر مقتصرًا على المتصلين بالبلاط لكنه لم يلبث أن تجاوز ذلك
أين نجد المؤرخون الأندلسيون أولو أهمية كبيرة لوقائع الفتح الإسلامي لبلادهم⁸، تجلّى
ذلك في تاريخ بن القوطية الشهير الذي صنفه في فتح الأندلس⁹، وكتاب الرايات لمؤلفه
محمد بن موسى الرازي ت272/885م والذي وصف فيه حملة موسى بن نصير التي
كللت بنصر عظيم¹⁰، ومن بعده ابنه أحمد بن محمد بن موسى الرازي صاحب كتاب
حجاب خلفاء الأندلس¹¹، وكذلك كتاب العبر في التاريخ لأبي بكر أحمد بن سعيد بن أبي
الفياض ت459/1066م¹².

¹ مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس، ص.346.

² السيوطي، بغية الوعاة، مج1، ص.84.

³ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج1، ص.45.

⁴ نفسه، مج1، ص.217.

⁵ بن حزم وآخرون، فضائل أهل الأندلس، ص.23.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.177.

⁷ الحميدي، المصدر السابق، ص.170.

⁸ كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص.301.

⁹ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.113.

¹⁰ نفسه، ص.116.

¹¹ أنخيل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص.198.

¹² إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج1، ص.78.

دون نسيان أحد كبار المؤرخين ببلاد الأندلس قاطبة ألا وهو أبو مروان حيان بن خلف ت 469هـ/1076م صاحب **الكتاب المبين في تاريخ الأندلس** الذي جمعه في نحو ستين مجلدا¹.

والحديث عن التاريخ في عصر الأندلس الأخير على العموم ومملكة غرناطة على وجه الخصوص كان له مكانة خاصة لدى الناس الذين شغفوا به بدرجة كبيرة نظرا لما يمثله من إرث الأجداد والآباء المليء بالأحداث والذكريات السارة والحزينة على حد سواء، زيادة على الوعي الكبير بأهمية هذا الفن العزيز والذي تبلور بمرور السنين لدى مؤرخي المملكة وهذا ما يمكن استخلاصه من قول أبو بكر بن علي بن خميس صاحب **كتاب تاريخ مالقة** : "إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنة، معرفة الأخبار، وتقييد المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه..."².

ومما يوحى بمدى اهتمام الغرناطيين بهذا العلم تأليفا وقراءة ما قام به أبو بكر يحيى بن محمد بن الصيرفي ت 570هـ/1174م أحد أكابر علماء غرناطة الذي كان يشغل منصب كاتب لدى الأمير محمد بن تاشفين المرابطي ت 531هـ/1136م بمؤلفيه الأول بعنوان **"الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"**؛ رجع إليه بن الخطيب في العديد من المناسبات التي تخص تاريخ الأندلس عامة وغرناطة خاصة، والثاني بعنوان **"تقصي الأنبياء وسياسة الرؤساء"**³، وكذلك ما قام به أبو بكر محمد بن الحكيم اللخمي ت 750هـ/1351م الذي كمل تاريخ بن رشيق المسمى بـ **"ميزان العمل"**، كما ألف كتاب **"الأخبار المذهبة"** ⁴، إضافة إلى أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي صاحب كتاب

¹ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج 2، ص. 1456.

² أبو بكر بن محمد بن علي بن خميس، كتاب تاريخ مالقة، نقلا عن السخاوي، المصدر السابق، ص. 49.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 407.

⁴ نفسه، مج 2، ص. 274، 275.

تاريخ غرناطة الذي نال حظه من الاهتمام¹ وهو شبيه بكتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن جزي الكلبي الذي شرع في تأليفه عام 1354/755م ولم يكمله²، وكذلك أبو جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي ت1327/728م صاحب كتاب نظم السلوك في شيم الملوك³، وأبو بكر بن الحكيم له كتاب الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة الذي كان بن الخطيب يعود إليه عند التعرض لمختلف الشخصيات الهامة التي دخلت غرناطة⁴، وكتاب التاريخ الكبير لأبي القاسم أصبغ بن محمد المهدي⁵، وكتاب تاريخ ألمرية لأبي عيشون محمد بن محمد بن إبراهيم بن عياش⁶، ومصنف أخبار معاوية لأبي القاسم محمد بن علي الهمداني ت1199/596م⁷.

واشتهر بغرناطة أيضا كتاب المسهب في غرائب المغرب لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري الذي ألفه لعبد الملك بن سعيد صاحب القلعة الشهيرة باسمه والذي ضمنه العديد من الأخبار والحوادث الطريفة⁸.

وكذلك كتابا الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والمغرب في حلى المغرب لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد الأندلسي ت1286/685م⁹.

ونزعة التأليف في هذا الميدان نجدها حتى عند أمراء غرناطة، فهذا أبو القاسم أصبغ بن محمد الغرناطي ت426/1034م الذي كان ملازما لأمير غرناطة حبوس بن

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.385.

² نفسه، مج2، ص.257.

³ نفسه، مج1، ص.290.

⁴ نفسه، مج1، ص.375.

⁵ نفسه، مج1، ص.428.

⁶ نفسه، مج2، ص.148.

⁷ نفسه، مج2، ص.489.

⁸ نفسه، مج3، ص.433.

⁹ نفسه، مج4، ص.153.

ماكسن الصنهاجي ت429هـ /1037م ألف له كتابا كبيرا في التاريخ¹، والأمير عبد الله بن بلكين الصنهاجي آخر ملوك بن زيري بغرناطة نجده يؤلف كتابا وهو بمنفاه بأغمات؛ تعرض فيه إلى سيرة أسرته منذ اعتلائه للحكم حتى سقوطها على يد دولة المرابطين عام 483هـ /1090م وقد سماه بكتاب التبيان².

كما ظهر بغرناطة من اهتم بتتبع الأنساب وأخبار أهلها خصوصا إذا كانت الشخصية المتكلم عنها من أولي الشأن والجاه سواء من أمراء أو وزراء أو طبقة علماء، لذا نجد العديد من النسابة الذين اشتهروا بهذا العلم كأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الغساني ت619هـ /1222م صاحب الشروح والمختصرات منها الشهاب وكتاب اختصار إقتباس الأنوار، إضافة إلى قرضه للشعر الذي نظم منه في باب الأنساب :

الشعب ثم قبيلة وعمارة بطن وفخذ والفصيلة تابعة
فالشعب يجمع للقبائل كلها ثم القبيلة للعمارة جامعة
والبطن يجمعه العمار فاعلمن والفخذ يجمعه البطون الواسعة
والفخذ يجمع للفصائل كلها جاءت على نسق لها متتابعة³

والشأن نفس اهتم به أبو القاسم الملاحى الذي ألف فيه كتاب الشجرة في الأنساب⁴.

ذلك الاهتمام الجاد بالتاريخ لدى الغرناطيين حفظ لنا الكثير من الأحداث التي شهدت بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى غاية عهد بن الخطيب التي أولاها بدوره عناية خاصة نظرا لأهميتها الكبيرة، سواء منها ما كان يدور بين أمراء الأندلس والنصارى أو بين الأمراء الأندلسيين بينهم خصوصا في عهد ملوك الطوائف، لذا كانوا

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.428.

² نفسه، مج3، ص.379، 380.

³ نفسه، مج3، ص.175.

⁴ نفسه، مج3، ص.177.

يسجلونها ويعطونها نوعا من الأهمية لاسيما إذا تعلق الأمر بمصالح الدولة الغرناطية؛ منها وصفه لوقعة النيل التي حدثت سنة 478هـ/1085م بين أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي أحد قادة عبد الله بن بلقين أمير غرناطة وبين نصارى الروم¹.

كما لا يمكن أن ننسى ماله من طول باع في هذا الباب نظرا لتلك المؤلفات العديدة التي سبق ذكرها عند سرد إنتاجه الفكري ككتاب **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**² وكتاب **قطع السلوك والمعروف** كذلك برقم **الحل في نظم الدول**³ الذي كان يعود إليه بين الفينة والأخرى عند الحديث عن الأمراء والملوك كما هو حال السلطان الغرناطي أبو الوليد إسماعيل بن نصر الذي يحدثنا فيه عن مقتله بواد آش بعد أن سرد خصاله الحميدة وانجازاته الكبيرة في سبيل نصرته الإسلام والمسلمين⁴، ونجده في إحدى المناسبات يذكر بأن الفن التاريخي لما كان فيه مأرب للبشر وداع إلى ترك الأثر، يعرفون به أنسابهم ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والترفيه، ظهر أن القول بفضله يقضي به العقل والدين⁵.

كما أن التاريخ على حد تعبيره يكفيه شرفا أنه حفل بذكر سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم طيلة حياته، ناهيك عن كونه أداة لتدوين الحديث الشريف ومسائل الجرح والتعديل وأحوال الناس والمنسوخ⁶.

غير أن فهم بن الخطيب للحادثة التاريخية كغيره من المؤرخين أمثال بن القوطية ت367هـ/977م صاحب كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** وبن عذارى صاحب **البيان المغرب** يلزمها نوع من الطابع العلمي الذي كان بن خلدون يدعو إليه دوما، كون التاريخ

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص.300.

² نفسه، مج4، ص.459.

³ نفسه، مج4، ص.462.

⁴ نفسه، مج1، ص.397.

⁵ بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب، ج1، ص.32، 33.

⁶ بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص.13.

لا يقف عند حدود الرواية وتدوين الحوادث من غث وسمين بل لابد من دراسته كعلم قائم على أسس منهجية من خلالها يتيسر للمؤرخ فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيرها¹.

كما كان للعديد من الحوادث التي واجهته في حياته دور بارز ومؤثر في الآن ذاته على إنتاجه التاريخي ومن ثمة على طبيعة منهجيته ونظريته للوقائع؛ من ذلك وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني سنة 774هـ/1372م تاركا عرشه في خطر بحكم صغر سن ولي عهده، الأمر الذي حدا به إلى تأليف كتاب **أعمال الأعلام** تأييدا للأمير الصبي وحماية لنفسه من مطاردة السلطان محمد الغني بالله الغرناطي.

وكذلك مؤلفه **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** الذي دونه أثناء وجوده بالمغرب منفيا بين سنتي 761هـ/1359م و763هـ/1361م²، دون تجاهل كتاب **الكتيبة الكامنة** التي راجع فيه رأيه في بعض الشخصيات التي أساءت إلى حسن صنيعة معها أمثال القاضي النباهي وابن زمرك³.

فكانت السمة العامة لهذه المؤلفات استخدامه للعبارات المناسبة لكل موقف واستحضار الشواهد المؤيدة لما يكتب بأسلوب راقى مفيد، غلبت عليه الحقائق التاريخية وان شابها نوع من الذاتية التي كانت تظهر في مناسبات مختلفة بين الفينة والأخرى على رأسها امتداحه المتواصل لسلطين بلده من بني الأحمر الذين تقلب في خدمتهم لسنوات طوال منها قوله في السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري: "أمير المسلمين الذي تقع العين منه على بدر تمام وجمال الهيئة، عظيم الهيئة ثاقب الذهن، بعيد الغور متفطنا للمعاريض"⁴، ومن بعده ابنه أبو عبد الله محمد: "المجاهد الفاتح

¹ بن خلدون، **المقدمة**، ص.21.

² من بين الأحداث التي أشار إليها سرده لوثوب السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج الغرناطي على ملك غرناطة سنة 760هـ/1359م والذي وصفه بالشيطان، الذميمة الخلق، حروشا على عرف المشاركة (أنظر: **نفاضة الجراب**، ص.41).

³ بن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص.38.

⁴ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج4، ص.318.

الماهر...شمس أفق الملة وفخر الخلفاء الجلة ... لو نطق الدين الحنيف لحياء وبداه أو
تمثل الكمال صورة ما تعداه¹.

وكذلك ما يستخلص من قوله في إحدى المناسبات أنه داخلته لقومه عصبية لا تقدر
في دين ولا منصب، وحمية لا يذم في مثلها متعصب ... فلست ببذع ممن فتن بحب وطن
ولا بأول من شاقه منزل فألقى بالعطن².

ولعله إن جيء إلى تتبع منهجية بن الخطيب التاريخية نجد أنه لم يكتفي بتدوين
الأحداث السياسية والعسكرية وأخبار السلاطين والأمراء بل تجاوز ذلك بذكر البقاع
الجغرافية وخصائصها؛ كأحوال شعبها وطبيعة الحكم القائم بها إلى جانب أوضاعها
الاقتصادية، ويظهر ذلك جليا في أغلب مؤلفاته وعلى رأسها كتابا **الإحاطة** و**ريحانة**
الكتاب ونجعة المنتاب اللذين ضمنها عددا من الوثائق التاريخية الهامة كوصفه للغزوات
التي قام بها سلطانه محمد الغني بالله ضمنها في رسالته إلى أمير تونس أبو إسحاق بن
أبي بكر بن أبي زكريا³، كما نجده في أغلب الأحيان يظهر للقارئ نوع من النقد
وعدم الرضى عن ما كان يحدث ببلده غرناطة والأندلس عامة سواء في عصره أو قبله
،كظاهرة تميم الأخلاق لدى أبناء وطنه وتسابق أمراء الطوائف ودخولهم في نزاعات فيما
بينهم⁴.

¹ بن الخطيب، **ريحانة الكتاب**، ج1، ص.40.

² بن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص.83 وما بعدها؛ **ريحانة الكتاب**، ج1، ص.34.

³ بن الخطيب، **الإحاطة**، مج4، ص.561 وما بعدها.

⁴ نفسه، مج1، ص.139.

2/ الجغرافيا :

تعد الجغرافيا¹ من العلوم الهامة التي لها دور كبير في حياة البشر نظرا لظواهرها المختلفة² لذا أولاها المسلمون عناية خاصة تجلت في الحفاظ على إرث الحضارات السابقة في هذا المجال على رأسها الإغريقية³ زيادة على تدوين كل ما له علاقة بكل من الفتح الإسلامي للقارات الثلاث وطرق التجارة البرية والبحرية⁴ ،لذا جاءت المؤلفات العديدة التي تصب في هذا المطلب كما هو حال كتاب **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** لأبي عبد الله محمد المقدسي ت387هـ/ 999م الذي ضمنه ملاحظاته التي استقاها من رحلاته المختلفة⁵ وكتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للإدريسي ت564هـ/1168م وكذلك كتاب **رحلة التاجر سليمان للسيرافي**⁶.

وبعد استقرار المسلمين بالأندلس وتحرك عجلة التأليف لديهم في مختلف العلوم جاء اهتمامهم بعلم الجغرافيا ملحوظا نظرا لما لها من دور كبير في معرفة حدود بلادهم وطبيعة أراضيها⁷ ، خصوصا في عصر الخلافة الذي يعتبر منطلقا رئيسا للدراسات الجغرافية بحكم العلاقات التجارية الهامة التي كانت تربط قرطبة مع إمارات الشمال والجنوب⁸ ،وكان ازدهار هذا العلم مرتبطا أيضا ارتباطا بالمؤلفات التاريخية بحكم أن

¹ يهتم علم الجغرافيا بالظواهر الطبيعية على سطح الأرض من موقع وتضاريس ومناخ وتوزيع الكائنات الحية وعلاقتها بها وذلك عن طريق رسم الخرائط والأجهزة العلمية وإجراء المقابلات ،هي على أقسام :طبيعية وإقليمية وبشرية وحيوية (أنظر : أحمد مهدي محمد الشويخات ،**المرجع السابق** ،ج8 ،ص.401 وما بعدها).

² قاسم يزبك ،**التاريخ ومنهجية البحث التاريخي** ،ط1 ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،1990م ،ص.55.

³ محمد محمود محمدين ،**المرجع السابق** ،ص.42.

⁴ عبد الرحمن حميدة ،**أعلام الجغرافيين العرب** ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1984م ،ص.43 وما بعدها.

⁵ حسن إبراهيم حسن ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.413.

⁶ أحمد مدحت إسلام ،**المرجع السابق** ،ص.56.

⁷ عبد العزيز سالم ،**التاريخ والمؤرخون العرب** ،ص.200.

⁸ مورييس لومبارد ،**الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ،ترجمة: عبد الرحمن حميدة ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1982م ،ص.118.

أغلب من نبغ في هذا الباب كانوا من المؤرخين¹ كما هو شأن أحمد بن محمد الرازي ت344هـ/955م الذي يعد من أشهر جغرافيي الأندلس وذلك بتأليفه لكتاب كبير وصف فيه طرق الأندلس وموانئها² وأحمد بن عمر العذري ت478هـ/1085م مؤلف كتاب **نظام المرجان في المسالك والممالك**³ ، وكذلك أبو عبيد الله عمرو بن محمد البكري ت487هـ/1094م صاحب كتاب **معجم ما استعجم**⁴.

وبمقارنة المؤلفات الجغرافية الغرناطية مع نظيرتها التاريخية نجدها أقل منها ، لكن ذلك لم يمنع ما وجد منها من أن يساهم مؤلفوها ولو بالنزر البسيط في التعريف ببلدهم وما جاوره من أقاليم الأندلس وحتى خارجه نتيجة الرحلات التي كانوا يقومون بها كلما سمحت لهم الفرصة بذلك ؛كما هو حال شيخ بن الخطيب أبو محمد عبد المهيم بن محمد بن عبد الله الحضرمي صاحب كتاب **تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق** الذي ألفه بعد رحلته العلمية إلى المشرق فأطلع منه على حد قول لسان الدين نور أضاء الآفاق وأثرى منه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق⁵.

وعلي بن موسى بن سعيد ت685هـ/1286م صاحب كتاب **النفحة المسكية في الرحلة المكية** التي ذكر فيها عديد البلدان التي زارها كمصر وبيت المقدس وحمص وحماه وبغداد والبصرة⁶ ، وكذلك أبو البقاء خالد بن عيسى بن أبي خالد البلوي في كتابه

¹ حسين مؤنس ، **الجغرافية والجغرافيون في الأندلس** ، ص.221.

² المقري ، **نفح الطيب** ، مج3 ، ص.160.

³ القزويني ، **المصدر السابق** ، ص.503 ، ص.545..

⁴ أحمد مهدي محمد الشويخات ، **المرجع السابق** ، ج8 ، ص.407.

⁵ بن الخطيب ، **الإحاطة** ، مج4 ، ص.11، 12.

⁶ نفسه ، مج4 ، ص.157، 158.

تاج المفرق في تحلية تاج المشرق¹، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري مؤلف رحلة فيض العباب وإجالة قدام الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب².

ويعتبر كتاب رحلة بن جبير ت1217/614م من أشهر المؤلفات التي جاوزت شهرتها غرناطة، فرغم حمله لاسم الرحلة إلا أنه حفل بالأخبار والمعلومات الجغرافية الهامة عن عجائب بلدان كانت مجهولة من قبل لدى الغرناطيين وأهل الأندلس معا، خصوصا وأنه قام بثلاث رحلات، الأولتان منها كانتا بين 1182/578م و1191/587م كونه مات بعد الثالثة التي لم يعد منها إلى بلده، من ذلك ذكره لمعالم القدس الشريف الذي زاره على إثر انتصارات صلاح الدين الأيوبي إلى غير ذلك من الأخبار³.

دون أن ننسى ذكر رحلة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بابن بطوطة الذي عرج على غرناطة عند عودته إلى بلده من سفريته التي قادته إلى كل من مصر وبلاد الشام والعراق والهند والصين وختمها بأداء مناسك الحج عام 1325/726م، وتكمن الأهمية الجغرافية لهذه الأخيرة أن صاحبها كان يروي ما رآه أثناء تجوله بالبلدان السالفة الذكر وعلى رأسها مدينة القسطنطينية التي وصف كنيسة بأنها غريبة من حيث البناء وعدد الأساقفة الذين يخدمونها⁴.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.500.

² نفسه، مج1، ص.347.

³ نفسه، مج2، ص.231، 232.

⁴ نفسه، مج3، ص.273.

3/ الفلسفة :

استقى العرب أولى عناصر فلسفة¹ الطبيعة من مؤلفات أفقليدس وبطليموس وأبقراط وجالينوس² حيث لقيت بمرور السنين قبولا عند الشيعة بادئ الأمر وغيرهم من الفرق الأخرى والتي عملت على نشرها بينهم صائبة حران³.

ومما زاد من انتشارها في مختلف بقاع العالم الإسلامي حركة التعريب الكبيرة التي شهدتها الدولة العباسية⁴ على عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ودور بيت الحكمة في ذلك⁵؛ فصارت محل اهتمام الكثير من الدارسين والمنتشوقين لمعرفة ماهية هذا العلم الجديد على ثقافتهم المختلفة فكان أن ظهرت التآليف المتعددة التي اهتمت بهذا الشأن كرسائل إخوان الصفا وخلان الوفا⁶ التي أعطت مفهوما آخر للتوحيد على يد مجموعة من الدعاة كمحمد إسماعيل التميمي وأبو العلاء المعري⁷، وكتاب مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليفة لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي ت721هـ/1321م⁸، وفصوص الحكمة لأبي نصر محمد بن محمد الفرابي

¹ أورد بن خلدون فصلا في مقدمته عن إبطال صنعة الفلسفة وفساد منتحلها وذلك نظرا لما لها من الضرر الكثير على الدين، لذا نصح بعدم الإنكباب على تعلمها ما لم يكن الفرد ذا معرفة واسعة بعلوم الشرع (أنظر: المقدمة، ص.532).

² محمد عطية الأبراشي، المرجع السابق، ص.63.

³ دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1374هـ/ 1954م، ص.120.

⁴ سليمان الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، تقديم وتعليق: د.محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية القاهرة، 1423هـ/2003م، ص.151.

⁵ محمد عبد الهادي أبو ريدة، المرجع السابق، ص.20، 21.

⁶ بن القفطي، المصدر السابق، ص.82.

⁷ نايف زهر، مناهل الحكماء والأولياء ومآثر الأعلام والموحدين، ط1، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، 1997م، ص.84.

⁸ عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص.380.

ت339هـ/950م¹ وكتاب المنطق لحسن بن عبد الله العسكري ت382هـ/992م² وكذلك كتابي تهافت الفلاسفة ومقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي³.

والحديث عن الفلسفة بالأندلس ومدى تعاطي أهله معها يعطينا صورة واضحة عن رد فعلهم اتجاه هذا النمط الفكري المنتشعب الاتجاهات ؛كون الذين أرخوا لأعلام الأندلس لم يفرّدوا لها فصولا بغرض التبيان لكنهم يشيرون إليها عند ذكرهم لعلماء كان لهم نصيب فيها أو الذين نفروا منها عند التعرض لبعض رجالها⁴.

كما أن المدارس الأندلسية بدورها لم توليها شأنا كبيرا نظرا لاكتفائها بعلوم الشرع ومحاربتها لتسرب أفكارها⁵ ناهيك عن عدم تسامح أولي الأمر مع المشتغلين بها ،هذا ما جعلها لا تظهر عموما في قالب مدرسة أو جماعة تهتم بتدريسها بل بقيت حكرا على أفراد في الخفاء يحتالون لتعلمها⁶ ،وهو ما صرح به كل من بن سعيد المغربي من أن هذا هذا العلم ممقوت ببلدهم لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه التي يؤدي إظهارها إلى حد القتل⁷.

وكذلك ما أورده المقرئ عند سرده لحال الأندلس وصفات أهله وحظهم من العلوم ؛إذ يرى أن كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ،فإن لهما حظا عظيما

¹ إسماعيل باشا البغدادي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص.1256.

² إسماعيل باشا البغدادي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص.1464.

³ محمد لطفي جمعة ،تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ،د.ط ،المكتبة العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.78.

⁴ محمد إبراهيم الفيومي ،المرجع السابق ،ص.436.

سالم يفوت ،ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،1986م
⁵ ،ص.251.

⁶ محمد الفيومي ،المرجع السابق ،ص.212 وما بعدها .

⁷ بن حزم وآخرا ،المصدر السابق ،ص.27.

عند خواصهم ولا يتظاهروا بها خوف العامة ،فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتحجيم أطلقوا عليه اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه¹.

ومما يوحي بمدى صعوبة ممارسة هذا النشاط الفكري هو تلك المضايقات التي كان الفلاسفة عرضة لها كما هو حال بن رشد الحفيد ت595/1198م الذي عوقب بالنفي من بلده² بسبب أقاويل طعننت في عقيدته³ بعد ما عناه من نكبات كتلك التي حدثت له عندما كان رفقة ابنه عبد الله بأحد مساجد قرطبة أين ثار عليه بعض العامة فأخرج منه⁴ ،والشأن ذاته حدث مع بن حبيب الاشبيلي الذي قتل على عهد المأمون المنصور الموحد⁵.

وهذه الظاهرة كانت منتشرة في أغلب إمارات البلد منذ الوهلة الأولى لبروز هذا النمط التفكير الجديد على يد بن مسرة القرطبي ت319/931م الذي أنشأ حلقة من الطلاب والمريدين حوالي سنة281/894م كان يجتمع بهم في إحدى صوامع منحدرات جبل قرطبة⁶ ،والتي عدت فيما بعد بمثابة أول مدرسة فلسفية أثرت في الثقافة العقلية للكثير من المفكرين⁷ ،الذين لقوا بدورهم معارضة شديدة من أصحاب القرار وذوي النفوذ على أساس أن علمهم هذا يبعد الناس عن تعاليم الشرع خصوصا فيما يتعلق بتحريف تأويل أي القرآن الكريم⁸ ناهيك عن القول بالاعتزال في عديد المسائل الغيبية

¹ المقرئ ،نفح الطيب ،مج1 ،ص.211.

² عنان ،نهاية الأندلس ،ص.437،438.

³ عاطف العراقي ،النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ،ط5 ،دار المعارف ،القاهرة ،1993م ،ص.47.

⁴ أحمد أمين ،المرجع السابق ،ج3 ،ص.248.

⁵ المقرئ ،نفح الطيب ،مج2 ،ص.138.

⁶ كارل بروكلمان ،المرجع السابق ،ص.300،301.

⁷ محمد لبيب البتوني ،رحلة الأندلس ،ط2 ،مطبعة مصر ،القاهرة ،د.ت ،ص.42.

⁸ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة والرواة للعلم بالأندلس) ،تح: روية عبد الرحمن السويدي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417/1997م ،ص.324.

كالوعد والوعيد¹ والعقدية كـ_____القول بخلق القـ_____رآن²
 القـ_____رآن²، وموقفهم من القضاء والقدر³، وقولهم أن علم
 علم الله تعالى هو غيره وهو محدث مخلوق⁴، لذا ظهرت التأليف في الرد على هذه
 الأقاويل مثل كتاب هتاك ستور الملحددين لأبي بكر الزبيدي ت989/379م في الرد على
 على ابن مسرة وأتباعه⁵.

ولعل أبرز تلك المضايقات هي التي قام بها الأمير عبد الرحمن الناصر القرطبي
 الذي أوكل للفقهاء محمد بن يبقى بن زرب مهمة تتبع تحركات أتباع بن مسرة فما كان
 منه إلا أن أوقف العديد منهم وأحرق مؤلفاتهم خارج مسجد قرطبة الجامع⁶، والأمر ذاته
 تكرر مع المنصور محمد بن أبي عامر الذي أمر بمراقبة نشاط الفلاسفة وإتلاف كتبهم
 التي كانت موجودة بخزانة الحكم المستنصر ت976/366م⁷، مستندا إلى فتاوى العلماء
 واجتهاداتهم الفقهية أمثال الفقيه أبو العباس بن ذكوان⁸.

لكن نشاطهم لم ينطمس بالكلية بل لقي حماسا كبيرا بين أوساط أتباع ساهموا بمرور
 الوقت في انتشاره على نطاق أوسع، خصوصا عندما كانوا يجدون نوعا من الليونة من
 طرف بعض الحكام الذين كانوا شغوفين بمعرفة الفلسفة وأحوالها أمثال عبد الرحمن بن

¹ الخشني، المصدر السابق، ص.178.

² قاسم حبيب جابر، الفلسفة والإعتزال في نهج البلاغة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت
 1407/1987م، ص.82.

³ سميح دغيم، فلسفة القدر في فكر المعتزلة، ط1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1992م، ص.56 وما
 وما بعدها.

⁴ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر
 وعبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجليل، بيروت، 1416/1996م، ج2، ص.293.

⁵ السيوطي، بغية الوعاة، مج1، ص.85.

⁶ بروفنسال، حضارة العرب، ص.174، 175.

⁷ أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره لويس شيخو اليسوعي، د.ط، المطبعة الكاثوليكية
 الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م، ص.66.

⁸ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني، ص.527.

الحكم القرطبي ت 238/852م¹، وهو ما يوضحه ذلك العدد من الفلاسفة الذين برزوا فيما بعد في هذا الباب من خلال ما تركوه من مؤلفات أمثال بن باجة صاحب كتاب تدبير المتوحد²، وابن رشد مؤلف كتاب تهافت التهافت³، وابن حزم مؤلف كتاب التقريب التقريب لحدود المنطق⁴، وكذلك أبو عثمان سعيد بن فتحون صاحب رسالة شجرة الحكمة الحكمة في الفلسفة⁵.

وغرناطة بدورها لم يختلف حالها كثيرا عن إمارات الأندلس الأخرى من حيث التعامل مع الفلسفة وأهلها، فقد وجدت معارضين وقفوا لمنتحليها بالمرصاد سواء بالتشهير بهم أو بالتحذير من مسلكهم ومجالستهم، من ذلك ما نظمه الأصولي أبو يزيد عبد الرحمن بن يخلفتن الفازاري ت 627/1229م :

دع الفلاسفة الذميم جميعهم	ومقالهم تأتي الأحق الواجب
يا طالب البرهان في أوضاعهم	أعزز علي بأن تعمر جانباً
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا	فيمن ترى إلا دعيا كاذبا
أعيتة أعباء الشريعة شدة	فارتد مسلوبا ويحسب ساليا ⁶

غير أن ذلك لم يمنع من ظهور البعض من الفلاسفة أو خاضوا في هذا الباب أمثال أبو محمد عبد الله بن سهل الغرناطي الذي اشتهر بعلم المنطق ومسايرة العلوم القديمة

¹ المراكشي، المصدر السابق، ص. 48.

² محمد أبو ريذة، المرجع السابق، ص. 306.

³ يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط 1، تراد كسيم، جنيف، 1986م، ص. 178.

⁴ صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص. 76.

⁵ نفسه، ص. 68.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 521.

،فعظم صيته وعلا ذكره بين أهل الملل حيث كان النصارى يأتونه من طليطلة للأخذ عنه وكثيرا ما كان يناظر قساوستهم ويتفوق عليهم¹.

وكذلك أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن صفوان ت763/1361م الذي كانت له مشاركة في الفلسفة كلفا بها ،استدعاه ثان سلاطين غرناطة أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت701/1301م ليكون من جلة الكتاب².

وأبو علي منصور بن علي عبد الله الزواوي الذي كانت على اضطلاع بالفلسفة والمنطق مقيدا فيه كغيرهما من العلوم الأخرى³.

ولعل من أشهرهم على الإطلاق أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي ت581/1185م الفيلسوف الشهير العارف بالمقالات والآراء الفلسفية على اختلافها مؤلف رسالة **حي بن يقظان** ،كان يشغل منصب كاتب لأحد ولادة غرناطة ،رحل عنها بعد ذلك إلى مراكش أين اختص بتطبيب سلطانها يعقوب المنصور الموحي وبقي بها إلى آخر حياته⁴.

كما كان بعض الفلاسفة يقبلون على غرناطة لأغراض مختلفة كما هو حال أبو العباس أحمد بن شعيب الكرياني ت749/1348م من أهل فاس الذي دخلها على عهد السلطان محمد بن نصر الغرناطي⁵.

وإذا جيء إلى مؤلفات الغرناطيين في الفلسفة وجدنا البعض منها كرسالة **الفتق والرتق في أسرار حكمة الشرق** لأبي القاسم محمد بن يوسف بن خلصون العارف بالعلوم

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 3 ،ص.404.

² نفسه ،مج 1 ،ص.222.

³ نفسه ،مج 3 ،ص.325.

⁴ نفسه ،مج 2 ،ص.479.

⁵ نفسه ،مج 1 ،ص.272.

العقلية¹ ، وكذلك كتاب في الجدل لأبي محمد عبد المنعم بن محمد بن فرج الخزرجي ت597هـ /1200م².

4/ التصوف :

لم يكن لفظ التصوف³ مشهورا في القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية⁴ ، وإنما ذاع صيته بعد ذلك واشتهر بالبصرة التي شهدت أول دويرة صوفية أقامها أصحاب عبد الواحد بن زيد⁵ ويرجع انتشاره في العالم الإسلامي نتيجة لانغماس البعض في ملذات الحياة⁶ وضروب اللهو⁷.

وقد أثارت مسألة التصوف أراء الكثير من العلماء والمتخصصين في هذا الشأن كابن الجوزي ت597هـ/1200م الذي يرى أنه في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت كلمة مسلم ومؤمن ثم نشأت كلمة زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد

¹ بن الخطيب ، الإحاطة ، مج3 ، ص258.

² نفسه ، مج3 ، ص543.

³ يقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف أي كثير الصوف ، وصوفة قوم كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية . (أنظر : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت ، 1411هـ/1991م ، مج3 ، ص322) .

⁴ يقصد بالقرون المشهود لها بالخيرية القرون الثلاثة التي تلت البعثة النبوية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الصحابي عمران بن حصين رضي الله عنه : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم ويمينه وشهادته (أنظر : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، تح: مصطفى ديب البغا ، ط3 ، دار بن كثير ، بيروت ، 1407هـ/1987م ، ج2 ، ص938 ، رقم : 2509) .

⁵ عبد الواحد محمد بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، د.ط ، مكتبة المعارف ، الرباط ، د.ت.ط ، مج11 ، ص5 ، 6 ؛ أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس ، مظاهر الإحرفات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية ، ط1 ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1419هـ/1998م ، مج1 ، ص36.

⁶ صابر طعيمة ، بحوث في الفرق : الشيعة ، النصيرية ، الباطنية ، الصوفية ، الخوارج ، د.ط ، مكتبة المعارف ، الرياض ، 1400هـ ، ص104.

⁷ حسين علي حمد ، قاموس المذاهب والأديان ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت ، 1419هـ/1998م ، ص139.

واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ،هكذا كان أوائل القوم وليس عليهم إبليس أشياء ثم على من بعدهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن¹.

وقال عنهم بن خلدون ت808/1406م أن هذا العلم هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ،وأصل طريقته العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى بمحاسبة النفس والكلام في زخرف الدنيا من مال وجاه ،ثم ترقوا إلى التأليف في هذا الفن فألفوا في الورع والمحاسبة كما فعله القشيري في الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف ،وذلك بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط².

ويصف بن حزم حالهم بأن منهم طائفة أدعت أن في أولياء الله من هو أفضل من جميع الأنبياء ،وأن من عرف الله فقد سقطت عنه الأعمال³.

وزاد حنق العلماء والعامة على العديد من المتصوفة نظرا لما باتوا يحدثونه من أقوال ومظاهر تعبدية لم يكن عليها سلف الأمة ؛تجلت فيما يعرف بالشطحات⁴ والأوراد والإدعاء بالتطلع لعلم الغيب وفق نظريات الكشف الصوفي بأنواعه الذي يرون بأنه ضروري لإدراك الحقائق الروحانية⁵ ،والصحو والسكر اللتين ضمنهما القشيري في قوله قوله من أن العبد في حال سكره يشاهد الحال وفي حال صحوه يشاهد العلم إلا أنه في

¹ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي ،تلييس إبليس ،تح: ماهر عبد الغني ،د.ط ،دار الكتاب الحديث ،لبنان ،1432هـ/2011م ،ص.152 وما بعدها .

² بن خلدون ،المقدمة ،ص.462 ،463.

³ بن حزم ،الفصل في الملل والنحل ،ج2، ص.271.

⁴ أبي حامد الغزالي ،المصدر السابق ،مج1 ،ص.52.

⁵ عبد العزيز سيد الأهل ،المرجع السابق ،ص.511..

حال سكره محفوظ لا يتكلفه ،وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه ¹ ،إلى غير ذلك من العبارات الصوفية ².

ولقد تعددت المؤلفات التي عنت بمفاهيم التصوف وأحوال أصحابه مثل كتاب آداب المريدين لأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ت 371/981م ³ ،وكتاب القواعد الوفية في أصل حكمة خرقة الصوفية لأحمد بن أبي بكر الزبيدي ت 821/1418م ⁴ ،إضافة إلى كتاب كتاب وجد العاشقين لمحمد بن يوسف الهندي ⁵ ،وكذلك كتاب وصية العارفين لمحمد بن ركن الدين الخوافي ت 838/1434م ⁶.

وكان ظهور التصوف بالأندلس كعلم قائم له قواعد لأول مرة على يد محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي ⁷ ومن بعده أبو بكر محمد بن علي المعروف بابن عربي ت 656/1258م ⁸ صاحب كتاب المعارف الإلهية ⁹ وما أحدثاه من انقلاب في مجال التصوف من القول بالإعتزال ووحدة الوجود ¹⁰ ،لتظهر فيه بعد ذلك عديد المؤلفات كما هو حال كتاب العباد لمحمد بن وضاح ت 287/900م ¹¹ ،وكتاب بد العارف لأبي محمد

¹ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن طلحة القشيري ،الرسالة القشيرية في علم التصوف ،ط1 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1419/1998م ،ص.135.

² رفيق العجم ،موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1999م ،ص.119 وما بعدها.

³ إسماعيل باشا البغدادي ،المرجع السابق ،مج1 ،ص.4.

⁴ نفسه ،مج2 ،ص.1360.

⁵ إسماعيل باشا البغدادي ،المرجع السابق ،مج2 ،ص.701.

⁶ نفسه ،مج2 ،ص.711.

⁷ اختلف الناس في شخصية بن مسرة على وجهين ؛رأى فيه أولهم صفة العالم الزاهد أما الآخرون فوصفوه بالمبتدع بعدما لمسوا فيه خروجه عن العلوم المعتادة بالأندلس (أنظر: بن الفرضي ،المصدر السابق ،ص.41،42).

⁸ يوسف فرحات ،المرجع السابق ،ص.142.

⁹ المقرئ ،نفح الطيب ،مج2 ،ص.175.

¹⁰ أحمد أمين ،ظهر الإسلام ،ج3 ،ص.69 وما بعدها .

¹¹ عياض ،المصدر السابق ،ج4 ،ص.440.

عبد الحق بن ابراهيم بن سبعين ت 669/1270م¹، وكتاب محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العريف ت 537/1142م².

ومما زاد من اندفاع الناس نحوه الظروف التي آلت إليها بلاد الأندلس في مطلع القرن الثاني عشر ميلادي /السابع هجري إلى غاية سقوط غرناطة³.

وجد التصوف بغرناطة متنفسا له ساعد على تطوره جمع من المتصوفة ساهموا في نشره بين الناس وكسبوا من خلاله مكانة مميزة بينهم؛ أمثال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالصناع ت 749/1348م الذي كان كثير الاتباع، اتخذ من طريقة شيخه أبو عبد الله الساحلي مذهبا ومن حصون المخشوشين مقرا له⁴.

وأبو محمد عبد الله بن الحسن الأنصاري ت 611/1214م الذي كان يتخذ مكان له في جبل فاره بجنوب شرق مالقة يقرأ فيه القرآن ويطالع فيه للطلبة مختلف العلوم⁵.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الملقب بالمواق، خطيب مسجد ربض الفخارين، قصده الناس في حياته التماسا للدعاء لما عرف عنه من صلاح ولين عريكة، غير أنهم غلو فيه بعد موته بتعظيم حجارة قبره وجلب أواني المياه للتداوي⁶.

والحال نفسها تكررت مع محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ت 715/1315م الذي اعتقد الناس فيه القدرة على تلبية حاجاتهم وشفاء مرضاهم بعد موته⁷.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 35.

² بن خلكان، المصدر السابق، مج 1، ص. 168.

ليفى بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص. 62؛ ليفى بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية³

ص. 35.

⁴ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 229، 230.

⁵ نفسه، مج 3، ص. 407.

⁶ نفسه، مج 3، ص. 230، 231.

⁷ نفسه، مج 3، ص. 273.

وكذلك أبو أحمد جعفر بن أحمد بن علي الغرناطي ت 765/1363م الذي سكن قومه بربض البيازين بعد قدومهم من شرق الأندلس ، اتخذوا من طريقة الحلاج¹ منهاجاً لهم في التصوف من ارتداء اللباس الخشن والمرقع وابتداء المجالس بتلاوة القرآن والقيام بركعات ثم يتناوبون في ذكر أبيات معروفة لدى شيوخهم يهيجون عند سماعها فيتطايرون رقصاً ويكر بعضهم على بعض إلى أواخر الليل.

تقلد مناصب عديدة كالإمامة والقضاء الشرعي بالربض المذكور لدى قاضي الجماعة نظراً لشهرته بين العام والخاص².

وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمود النفري الغرناطي الحافظ الفقيه ، الماهر في اللغة والنحو اللتين أخذهما عن بن يربوع ، والقراءة عن أبي عبد الله الحضرمي والحديث عن أبي الحسن عمر الوادي آشي ، رحل إلى الحج فالتقى هناك بصدور العلماء وأكابر الصوفية الذين أخذ عنهم صحيح البخاري سماعاً أمثال الشريف أبو محمد بن يونس ونصر بن أبي الفرج الحضرمي ، وجامع الترمذي وسنن أبي داود على أبي الحسين بن أبي المكارم البغدادى وأبي عبد الله محمد بن مستري .

ومن شعره في باب الزهد قوله :

يا من أنامله كالمزن هامية	وجود كفيه أجرى من يجاريها
بحق من خلق الإنسان من علق	أنظر إلى رقعتي وافهم معانيها
أني فقير ومسكين بلا سبب	سوى حروف من القرآن أتلوها
سفينة الفقر في بحر الرجا غرقت	فامنن عليها بريح منك يجريها

¹ هو أبو مغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج من أصل فارسي ، ترعرع بالعراق وصحب أبا القاسم الجنيد ، اشتهر بالزهد ونظراً لعدد آرائه في الدين اتهم بالإلحاد فقتل بأمر من الخليفة المقتدر بالله العباسي عام 309/921م (أنظر: بن خلكان ، المصدر السابق ، مج 2 ، ص 140 وما بعدها).

² بن الخطيب ، الإحاطة ، مج 1 ، ص ص 459 ، 461.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها¹.

وبلغ من مكانة أهل التصوف بغرناطة أن حملت بعض الأماكن الهامة أسمائهم مثل أبو عبد الله محمد بن حسون الحميري ت1305/705م الذي ينسب إليه مسجد القصبة القديمة نظرا لاشتهاره بالصلاح وجملة من الكرامات؛ منها سماعه لصبيبة يتكلمون عن الدخول للسجن فحمل نفسه إليه ولما بلغ ذلك السلطان أخرجه رفقة جميع المساجين².

كما لقي البعض منهم مكانة خاصة لدى ملوك بني الأحمر كأبي الطاهر محمد بن أحمد بن حسن بن صفوان القيسي ت1348/749م خطيب المسجد الجامع من الربض الشرقي مؤلف كتاب جر الحر في التوحيد، والذي ألف بدوره كتابا في التصوف والكلام على اصطلاح القوم بأمر من السلطان أبو الحجاج يوسف النصري وعلى ظهر هذا المؤلف كتب أبو الحسن بن الجياب :

أيا مولاي الخليفة يوسف جاءت بهذا العالم المتصوف

فكفي بما أسدى من الحكم التي أبدين من سر الطريقة ما خف

إن بن صفوان إمام هداية صافي فصوفي فهو صوفي صف

وإن اختبرت فإنه صفو بن صفو ظاهر في طيه صفو خف³

غير أن هناك من المتصوفة من كانوا يتعرضون للمضايقات والوشايات إلى ذوي الشأن من السلاطين والأمراء من ذلك ما حدث لمحمد بن إبراهيم البليقي ت1294/694م الذي اشتهر بحث العامة على جهاد النصارى ووجوب الإتحاد بين

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.367 وما بعدها.

² نفسه، مج3، ص.231، 232.

³ نفسه، مج3، ص.236 وما بعدها.

المسلمين ،امتحن بتهمة إغراء أحد سلاطين المغرب على وجوب ضم ما بقي من بلاد الأندلس إلى ملكه ،فصودرت أملاكه¹.

والحال ذاتها تكررت مع أبو عمرو محمد بن يحيى بن إبراهيم بن عباد الذي كان يتجول في نواحي الأندلس ،كثير الإقبال على الربط ،متكلما على طريقة الحكماء والمتصوفة ،ابتلي بالسجن بحجة الإساءة لدولة بني مرين ،فصدر عنه من سجنه شعر يخاطب فيه سلطانها :

تركت لكم عز الغنى فأبيتم أن تتركوني للمذلة والفقر
ونازعتموني في الخمول وإنه لذي مهجتي أحلى من البنى والأمر²

كما حرص بعض المتصوفة الغرناطيين الذين تسنىت لهم الرحلة عن بلدهم على ملاقاته من لهم شهرة في هذا المجال من ذلك حرص أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون ت1340/741م على اللقاء بالمشرق بالشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن خليل السكوني ،وبفاس بسارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية والتي أجازته بدورها وأبسته خرقة التصوف³.

ومن كتب التصوف التي ألقت في غرناطة نجد كتاب أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري ت1163/559م والذي أتمه ابنه عبد الله بعد وفاته⁴ ،وكتاب ردع الجاهل عن اغتيال المجاهل لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708/1308م ،ألفه ردا على فرقة الشودية إحدى الفرق الصوفية بالمغرب⁵.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص.251.

² نفسه ،مج3 ،ص.252.

³ نفسه ،مج3 ،ص.402.

⁴ نفسه ،مج1 ،ص.185.

⁵ نفسه ،مج1 ،ص.190.

وكذلك كتاب **اللبس والصحبة** لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري والذي جمع فيه طرق المتصوفة وأشعارهم ¹، وكتاب **مواهب العقول وحقائق المعقول** لأبي إسحاق إبراهيم النفري المذكور آنفا ².

وكتاب **مطلع الأنوار الإلهية** لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان ت 1361/763م صاحب القصائد الطويلة في باب التصوف التي كلف بها الناس وأنشدوها فيما بينهم، وهو الذي كان يشغل منصب كاتب لدى سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ت 1301/701م ³.

إضافة إلى عديد الكتب مثل **اللطائف الروحانية والعوارف الربانية** لأبي جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي المعروف بابن الزيات ⁴، وكتابا أبو الحاج يوسف بن موسى الجذامي؛ الأول بعنوان **لمح البهيج ونفح الأريج**، والثاني **توجع الراثي في تنوع المراثي** ⁵، وكتابا **بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب والإشارة الصوفية والنكت الأدبية** لأبي بكر محمد بن محمد اللخمي ت 1349/750م ⁶.

وكذلك كتاب **بغية السالك في أشرف المسالك** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري ت 1353/754م ⁷، وكتاب **الأنوار في المخاطبات والأسرار** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الشهير بالمواق ت 1305/705م ضمنه مجموع رسائل تحض

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 347.

² نفسه، مج 1، ص. 369.

³ نفسه، مج 1، ص. 223.

⁴ نفسه، مج 1، ص. 290.

⁵ نفسه، مج 4، ص. 389.

⁶ نفسه، مج 2، ص. 275.

⁷ نفسه، مج 3، ص. 193.

على مكارم الأخلاق وأقاويل شيوخ الطريقة كالشيخ أبي الحسن الشاذلي وأبو بكر بن محمد الرندي¹.

ولابن الخطيب بدوره كتاب سماه بكتاب المحبة² ويعرف كذلك بروضة التعريف بالحب الشريف³ وصفه بأنه يحتوي على أرض زكية وشجرات فلكية وثمرات ملكية وعيون غير بكية⁴، وهذا التأليف نال بدوره إعجاب العديد ممن عاصروا لسان الدين كما هو حال أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الذي وصفه بكونه عجيب التأليف جمعا وترتيبا، تضمن زبدة العلوم وثمره الفهوم، وموضوعه لب اللباب وخلاصة الألباب⁵.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 235.

² نفسه، مج 4، ص. 459.

³ المقرئ، أزهار الرياض، ج 1، ص. 189.

⁴ بن الخطيب، روضة التعريف، ص. 91.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص. 455.

الفصل السادس

العلوم التطبيقية

- الطب

- الصيدلة

- الفلك

- الحساب

- الهندسة

يعتبر الطب من العلوم التطبيقية التي أولاه المسلمون عناية فائقة واستطاعوا من خلاله أن يحدثوا العديد من النظريات ويألفوا العديد من المؤلفات التي صار لها وقعها بين المختصين في هذا الباب؛ والكلام عن دورهم في هذا المجال وما يتبعه كالجراحة بفروعها المختلفة يكشف لنا على أن الإسهامات الإسلامية قضت نوعا ما على صور الجهل والسحر اللذين اختلط بهما طب القدماء وذلك عن طريق البحث الجاد ونقد الآراء لتوضيح مواقع الصواب والإخفاق، وهي صورة تكرر ظهورها في إمارات الأندلس كما هو حال غرناطة، ناهيك عن الصيدلة التي تعد بمثابة تكملة لهذا العلم وذلك من خلال ما تستحدثه من أدوية تساعد على إنجاح مهمته النبيلة المقصد، هذا دون إهمال علوم أخرى كالفلك والحساب والهندسة وما قدمته من خدمات للإنسانية جمعاء .

1/ الطب :

يعرف بن خلدون صناعة الطب أنها من فروع الطبيعيات التي تنتظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة فيحاول صاحبها حفظها وبرء بالأدوية والأغذية، وهي من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترف¹، وقد عرف العرب هذه المهنة منذ القدم أين كانت تستخدم فيها العقاقير والأشربة على رأسها العسل الذي عالجوا به أمراض البطن²، ناهيك عن استعمالهم لأذواق وطرق مختلفة في التعامل مع الحالات الطارئة كبتر الأعضاء بالنار بواسطة حديدة تعرف بالحاسمة مثل ما حدث لصخر أخ الخنساء بنت عمرو لطعنة أصابته في جنبه³، واقروا أن حول البصر يستقيم بإدامة النظر إلى دوران حجر الرحي⁴.

ويعتبر الحارث بن كلدة الثقفي من أطباء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام⁵ وعرف بطبيب العرب⁶، ومن قبله زينب طيبية بني أود التي نبغت في جراحة العيون⁷.

ونظرا لعناية الإسلام لأحوال العباد وشؤونهم الدينية والدينية فقد حثهم على الاهتمام بهذا العلم الرفيع الشأن، وهو ما يفهم من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ منها الحديث الذي رواه الصحابي أسامة بن شريك رضي الله عنه: "تداؤوا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم"⁸، وقوله في الحديث الذي رواه

¹ بن خلدون ، المقدمة ، ص ص. 490، 491.

² جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، د.ط ، مطبعة الهلال ، مصر ، 1904م ، ج 3 ، ص 20.

³ أحمد شوكة الشطي ، الطب عند العرب ، ص 53.

⁴ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج 3 ، ص 20 .

⁵ علي حسين الشطشاط ، تاريخ الجراحة في الطب العربي (من القرن 3 - 7 هـ / 9 - 13 م) ، ط 1 ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1991م ، مج 1 ، ص ص. 97 ، 98.

⁶ أنظر : ibn al-qifti's , tarih al-hukama , Von : Julius lippert , Leipzig , 1903 , p.161.

⁷ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ، عيون الأئباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق : نزار رضا ، د.ط ، منشورات مكتبة دار الحياة ، بيروت ، د.ط ، ص 181.

⁸ ابن ماجه ، المصدر السابق ، ص 575. كتاب الطب: حديث رقم 3436.

الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : " الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم ،وكية نار ،وأنهى أمتي عن الكي"¹ ،فكانت المحاربة رفيدة بنت سعد الأسلمية من أولى الأطباء الذين اشتهروا على عهده².

وزاد اهتمام المسلمين به فيما بعد أيما اهتمام لدوره الفعال في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء ،وذلك ما يوضحه العدد الكبير من المختصين الذين نبغوا فيه كابن أبي أصيبعة صاحب كتاب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء"³ ،وبن ججل مؤلف كتاب " طبقات الأطباء والحكماء"⁴ ،وكذلك محمد بن إبراهيم الشهير بابن الألفاني صاحب كتاب غنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب⁵ ،و أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ت311هـ/923 م مؤلف كتاب الحاوي في الطب⁶.

وجد الوعي بهذه المهنة النبيلة في الأندلس منذ أول وهلة ميدانا خصبا لازدهاره في ما بعد بحكم أن الأندلسيين كانوا في بادئ الأمر أقل دراية ومعرفة به ،لذا أكثروا من الإعتماد على ما كان عند النصارى من كتب ترجموها للعربية ككتاب " الإبريشم" أي الجامع⁷ ،وكتاب الفصول لأبقراط الذي لخصه أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بابن أبي أبي

1 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ،صحيح البخاري ،ط 2 ،دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض 1419هـ/1999م ،ص.1006 ،كتاب الطب: حديث رقم:5860.

2 أحمد شوكت الشطي ،المرجع السابق ،ص. 29 ؛ على بن عبد الله الدفاع ،رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية ،ط 1 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت ،1419 هـ/1989م ،ص.142.

3 محمد عبد الرحمن مرحبا ،الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ،ط 2 ،منشورات عويدات ،بيروت ،1988م ،ص.249.

4 على بن عبد الله الدفاع ،المرجع السابق ،ص.242.

5 إسماعيل باشا البغدادي ،المرجع السابق ،مج 2 ،ص ص.1211 ،1212.

6 ibn al-qifti's .op.cit.p.247.

7 صاعد الأندلسي ،المصدر السابق ،ص.78.

الصادق¹، ومؤلفات ديسقوريدس².

وما إن تم لهم ذلك حتى برعوا في فروعهم المختلفة كما هو الحال الطبيب أبو القاسم الزهراوي ت 403هـ / 1012م الذي ذاع صيته في الجراحة³ بابتكاره للعديد من أدواتها أوردها في كتابه الشهير "التصريف لمن عجز عن التأليف"⁴ الذي حظي باهتمام كبير في الدراسات الطبية بعد أن ترجم إلى عدة لغات أوربية⁵، والطبيب أبو مروان عبد الملك الملك بن زهر الاشبيلي ت 560هـ / 1164م⁶ صاحب كتاب "التسيير في مداواة والتدبير" الذي يعد موسوعة الطبية كشفت عن تضلع صاحبها في هذا العلم⁷ كما استطاع معالجة داء الجرب⁸.

وازدھر الطب في غرناطة أين أصبح مادة تدرس الأمر الذي ساعد على نبوغ العديد من الأطباء الذين صار لهم شأن كبير بها، فاقوا بعلمهم أطباء كثيرين اشتهروا بالأندلس من قبل، والذين يمكن تصنيفهم في أقسام ثلاثة: أطباء عامون مارسوا نشاطهم في المجتمع الغرناطي، وأطباء خاصون تميزوا بخدمتهم لدى سلاطين المملكة وآخرون تجاوزت شهرتهم حدود البلد، الأمر الذي حملهم على القيام برحلات نظرا لكثرة الطلب عليهم.

1 إسماعيل باشا، المرجع السابق، مج 2، 1267، 1268.

2 عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص. 223.

3 فيليب حتي، تاريخ العرب، ص. 661 هونكة، المرجع السابق، ص. 277؛ على حسين الشطشاط، المرجع السابق، مج 1، ص. 175.

4 سمير عرابي، علوم الطب والجراحة والأدوية عند العلماء العرب والمسلمين، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1999م، ص. 44.

محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م، ص. 142.

6 فيليب حتي، المرجع السابق، ص. 662.

7 هونكة، المرجع السابق، ص. 289.

8 عامر النجار، المرجع السابق، ص. 228.

فمن الصنف الأول وهم الأطباء العامون فقد أورد بن الخطيب عددا منهم يمكن الاختصار على أشهرهم وأسبقية ظهورهم؛ كأبي الحسين علي بن عبد الرحمن السعدي تـ 530هـ/1135م الذي تفنن في الطب واشتهر في علومه النظرية، تعلم مبادئه على يد أبي العلاء بن زهر بالبيرة ومنها تابع تحصيله بغرناطة فاحكم قوانينه¹، وإبراهيم بن يحيى محمد بن زكريا الأنصاري 687-751هـ / 1288 - 1352 م الذي تتلمذ على شيوخ عدة كان لهم نصيب هام في صقل معارفه حتى صار خبيرا بشؤون وخبائا هذا العلم².

وكذلك الطبيب أحمد بن محمد الكرني الغرناطي الذي يعتبره بن الخطيب شيخ أطباء غرناطة في عصره نظرا لمهارته في هذا العلم تعليما وعلاجاً إلى جانب وقاره ونزاهته بين العامة؛ أخذ هذه الصنعة عن الأستاذ أبو عبد الله الرقوتي الذي نازعه فيها لدى سلاطين غرناطة فيما بعد؛ وعن الطبيب بن عروس وغيرهما كثير وبدوره أخذ عنه كل من الطبيب أبو عبد الله بن سالم والطبيب أبو عبد الله بن السراج ت 730هـ/1329م، قال عنه لسان الدين أنه كان حيا عام 690هـ/1291م³.

ومن الذين برزوا في هذا الميدان أيضا نجد أبو عبد الله محمد بن علي اللخمي المشهور بالشاقوري الذي يذكر بن الخطيب أنه كان معما ومخولا في الصناعة؛ أي له أعمام وأخوال احترفوا الطب الأمر الذي حفزه على تقليدهم واتباع سيرتهم، تتلمذ على شيوخ عدة أولهم جده أبو تمام غالب بن علي الشاقوري ت 741 هـ/1340م، وعلى الطبيب خالد بن خالة الوزير والطبيب الشهير أبو زكريا يحيى بن هذيل ت 753هـ/1352م، تصدر لهذه المهنة وهو ليزال شابا، أبدى فيها نباهة كبيرة مع حيطة

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص.419 وما بعدها.

² نفسه، مج3، ص.192.

³ نفسه، مج1، ص ص. 206، 207 .

ولطيف علاج ناهيك عن إصلاح ونصح لمن صحبه وهي صفات أوصلته إلى أرقى المنازل إذ استدعى إلى السلطنة وجعل من أطبائها المقربين¹.

ومن مؤلفاته " تحفة المتوسل " والتي أعدها لقاضي غرناطة أبو القاسم محمد بن أحمد الحسن السبتي المشهور بالشريف الغرناطي ت 760هـ/1358م²، دار موضوعها حول أمراض المعدة و أنواع الإسهال وكيفية علاجها بعد أن بدأ بتشريح للجهاز الهضمي وتبيين وظائفه ، وله مؤلف عنوانه " مقالة في الطب " أورد فيها مجموعة من الأدوية التي تم تجربتها في مختلف أمراض البدن كما له أيضا كتاب سماه "تحقيق النبأ عن أمر الوبأ" الذي يعتبر إضافة إلى مؤلفات من سبقوه حول وباء الطاعون الذي اجتاح العالم سنة 749هـ/1348م ؛وسار على نهجه الطبيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن جعفر الأسلمي المعروف بالبلياني ت 764هـ /1362م صاحب كتاب " إصلاح النية في المسألة الطاعونية "³.

كما أن هناك طبيب آخر يعد من مهرة الأطباء في عصره وهو أبو عبد الله محمد بن فرج القربلياني الشهير بالشفرة ت 761هـ /1359م ،إشتغل بالطب على تعدد تخصصاته ومنه مال إلى العلاج الذي أصبح له باع فيه ،حفظ الكثير من أقوال أهله سجلها في كنانيشه ،قرأ على الطبيب أبو عبد الله بن سراج الغرناطي ت 730هـ/1329م ،وأخذ الجراحة عن جمع من المتخصصين فيها عالج السلطان نصر بوادي آش عندما داهمها الوباء عام 750هـ /1349م⁴.

وفي ثلاثيات القرن العشرين نشر الطبيب الفرنسي "رونو " h.pj.ronald بحثا عنوانه بـ " جراح مسلم من مملكة غرناطة " تحدث فيه عن بن فرج القربلياني وعن

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص.177،178.

² نفسه ،مج3 ،ص.179.

³ نفسه ،مج2 ،ص.364 وما بعدها .

⁴ نفسه ،مج3 ،ص.179،180.

أحد كتبه الشهيرة المعروفة باسم " الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام " ،أبدى حوله ملاحظات عديدة ومن بينها أن المؤلف استعمل لفظ الأورام استعمالا عاما ،فهو لا يعني بها ما يقابلها بالفرنسية "tumeurs" بل تتعدها إلى مختلف أنواع الالتهابات الجلدية inflammations كالحمرة والحروق فضلا عن القروح وتوابعها¹.

وفي نفس السياق كشف عن تأثر بن الفرّج بالطبيب القرطبي أبو القاسم الزهراوي ت 403هـ / 1012م ،حيث ينقل عنه بعض أقواله ويشيد بها في غير ما موضع كتلك المتعلقة بالجروح والكسور وخلع العظام إلى جانب الأورام مع ذكر الوصفات التي أعدها لها².

ويعتبر بن الخطيب بدوره من مفاخر أطباء غرناطة الذين أولوا هذا التخصص عناية فائقة دلت على مدى سعة إطلاعه وتمكنه في شتى ميادين العلوم على اختلاف منهاجها إلا أن نشاطه في هذا الحقل لم يعنى به حق عناية مقارنة بأعماله الأخرى ؛هذا العلم على حد تعبيره أخذه عن الإمام بن زكريا بن هذيل الذي لازمه إلى آخر حياته ،وعنه يقول " وأخذت عنه الطب والتعاليم وصناعة التعديل"³.

ورغم انشغاله الكبير بأمور الدولة وأحوال أهلها نجده يدلي بدلوه في هذا الفن ،الذي يظهر في مؤلفيه الضخمين الأول عنوانه " عمل من طب لمن حب " وضعه للسلطان المغربي أبو سالم بن أبي الحسن المريني 760 - 762 هـ / 1358-1360م⁴ ،أثناء

¹ محمد العربي الخطاب ،الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية: دراسة وتراجم ونصوص ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988م ،ج2 ،صص.30،31.

² محمد العربي الخطابي ،المرجع السابق ،ص.31.

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص.459.

⁴ بن الخطيب ،ريحانة الكتاب ،ج1 ،ص37.

إقامته الأولى بفاس عام 761هـ / 1359م ،إعرابا منه عن شكر الصنيعة والجميل اللذين أغدقه بهما ¹.

والثاني عنوانه "الوصول لحفظ الصحة من الفصول" الذي أهداه لسلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد الغني بالله النصري 755- 793هـ / 1354- 1390م، تراوحت مواضيعه بين أحوال النوم واليقظة ووجوب الاعتدال في الأكل وتجنب الشهوات وذلك بعد أن قسمه إلى جزأين؛ الأول جزء التعريف تعرض فيه للجانب النظري العام ،والثاني جزء التصريف بين فيه الجانب العملي لوقاية الصحة وسلامتها وكتب في نهايته أنه فرغ من تأليفه عام 770هـ ².

ولم يكن هذا إنتاجه فحسب بل تعدد بتعدد أصناف الطب وأحواله فنجده يتعرض للأمراض جميعها بنوعيتها الكلي والجزئي في "أرجوزة في الطب" أوردها في نحو ألف وست مائة بيت ،و" أرجوزة الأغذية " التي تقع في نحو ألف ومائتي بيت ؛تضمنت ذكر طبائع الأطعمة و منافعها ومضارها على حد سواء وكيفية معالجتها ،رتبها صاحبها على حروف المعجم ،هذا إلى جانب الرسالة الطبية التي تعد من نوع خاص ألفها عن طاعون سنة 749هـ / 1348م سماها "مقتعة السائل عن المرض الهائل" ³.

كما ترك رسائل أخرى ك "المسائل الطبية" و"اليوسفي في صناعة الطب" ،إضافة إلى كتاب في البيطرة عالج فيه خصائص الخيل وذكر محاسنها ⁴.

أما الصنف الثاني المتعلق بالأطباء الخاصون فقد كانوا بدورهم يمثلون عدد لا بأس به لدى سلاطين غرناطة ومن هؤلاء محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي ت 715هـ /

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص.66.

² نفسه ،مج 1 ،ص.67.

³ نفسه ،مج 4 ،ص.462.

⁴ نفسه ،مج 4 ،ص.462.

1315م الذي أقرأ الطب بها بعد استدعاء السلطان محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت701هـ /1301م له من بجاية فانتفع الناس به¹.

والأمر نفسه نجده يتكرر مع الطبيب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالسراج ت730هـ /1329م الذي ينعت به الخطيب بطبيب الدار السلطانية ؛تتلمذ على الشيخ أبي جعفر الكزني إمام الصناعة في وقته ،تعرض إلى محنة شديدة على إثر موت السلطان محمد الفقيه مسموما من طعام أرسله إليه ولي عهده فشكك في أمره².

ومن الذين اشتهروا أيضا في هذا الباب طبيب المملكة أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن خلف القيسي ت717هـ /1317م الذي أخذ هذه الصناعة عن أبي جعفر الكزني داهية عصره فيها ومن شعره في هذا الفن يقول مخاطبا للدار السلطانية :

قد جمعنا ببابكم سطر علم لبلوغ المن ونيل الإرادة

ومن أسمائنا لكم حسن فال غالب ثم سالم وسعادة³

وبرع أيضا الطبيب زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل ت753هـ /1352م صاحب كتابي " الإختبار والإعتبار في الطب " و " التذكرة في الطب " ،الذي قرأ على يد الطبيبين أبو عبد الله الأركشي وأبي زكريا القصري فعلا نجمه في هذا المجال مما أهله للقعود بمدرسة غرناطة مدرسا له، ودعي للخدمة بباب السلطان⁴.

وكذلك الطبيب أبو علي عيسى بن محمد بن سعادة ت728هـ /1327م الذي كان قاضيا بمدينة لوشة أستقدم إلى غرناطة فتصدر بها لإقراء الطب والمعالجة اللتين تعلمهما

¹ بن الخطيب ،الإحاطة مج3 ،صص.69،70.

² نفسه ،،مج3 ،ص.160 وما بعدها .

³ نفسه ،مج3 ،صص.171،172.

⁴ نفسه ،مج4 ،صص.390،391.

على أبي عبد الله محمد الرقوتي المرسي وعلى بن خلعون ،ألف كتابا بعنوان "القفل والمفتاح في علاج السموم والأرواح" اشتمل على كثير من العلوم الطبية¹.

فيما يخص الصنف الثالث وهم الأطباء الذين جاوز علمهم بلدهم غرناطة نجد الطبيب أبو جعفر أحمد بن حسان الغرناطي الذي أجاد علما وأدبا ،رافق الرحالة الشهير أبو الحسن بن جبير الغرناطي ت614هـ / 1217م إلى البقاع المقدسة ،وفي طريق عودته إلى بلده استقر به المقام طبيبا لدى الخليفة المنصور الموحيدي بفاس إلى أن مات بها حيث ألف له كتابا في فن الطب بعنوان " تدبير الصحة "2.

وكذلك الطبيب محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالسواس الذي عرف بتمكنه بين أبناء بلده ،هذه المعرفة ازدادت أثناء رحلته إلى المشرق من أجل الحج ،الأمر الذي جعله محل اهتمام الذين لقوه فكثر عليه الطلب بعد عودته إلى وطنه هو ما حمله على الرحلة من جديد ،ليستقر طبيبا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كما عين بها أمينا على أحباس المسجد النبوي³.

والأمر نفسه مع الطبيب محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ت 757هـ / 1356م الذي عين رئيسا لمارستان⁴ فاس عام 754 هـ / 1353م⁵.

كما يجب أن لا ننسى اشتهار ابن الخطيب في هذا الباب ؛فقد ألف بدوره في الطب للسلطان أبو سالم بن أبي الحسن المريني كتاب بعنوان " عمل طب لمن حب " وذلك أثناء

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص ص.235،236.

² بن أبي أصيبعة ،المصدر السابق ،ص.535.

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص ص.233،234.

⁴ المارستان كلمة فارسية مكونة من كلمتين وهما بيمار التي تعني مريض أو مصاب ،وستان بمعنى مكان أو دار

،وبجمعها تصير موضع المرض أو داره (أنظر: بن أبي أصيبعة ،المصدر السابق ،ص.27) ..

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج2 ،ص ص.515،516.

إقامته الأولى بفاس عام 761هـ/1359م إعرابا منه عن شكر الصنعة والجميل اللذين أغدقه بهما¹.

وحالة بن الخطيب في هذا العلم كانت فريدة من نوعها كون أغلب الأطباء اتخذوا هذه المهنة كحرفة مالية موازاة مع أعمال أخرى يتعاطونها كالفلسفة والشعر مثل بن رشد الحفيد ت595هـ /1198م صاحب كتاب " الكليات" وبن ميمون القرطبي ت605هـ/1208م غير أن الذين تخصصوا في الجراحة كانوا أقل بكثير من الذين اشتغلوا بالتطبيب².

كما لقي الطب عند سلاطين بني نصر الغرناطيين مكانة هامة فأولوه عناية خاصة تليق بهذه المهنة النبيلة وأهلها ؛من ذلك بناء أول مارستان كبير بمدينة غرناطة من طرف السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ،حيث أجرى عليه الأموال وأقام به العديد من المساكن وخزائن المياه ،فصار على حد تعبير بن الخطيب حسنة التخوم القصوى ومزية المدينة الفضلى³.

وكانت هذه المؤسسة في تاريخ الإسلام تقام بأمر من الخليفة أو الولاية كما هو حال البيمارستان الذي أسس على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في مرج عذراء إلى الشمال الشرقي من دمشق عام 88هـ/706م⁴ ،وفي الكثير من الأحيان بنيت بطلب من

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.66.

² زينب نجيب ،الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ،ط1 ،دار الأمير للثقافة والعلوم ،بيروت ،1415هـ/1995م ،ج2 ،ص.381 ،يوسف عيد ويوسف فرحات ،معجم الحضارة الأندلسية ،ط1 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،2000م ،ص.200.

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج2 ،ص.50.

⁴ أحمد علي الملا ،المرجع السابق ،ص.140.

الأطباء الذين أقدموا بدورهم على تجهيزها لاستقبال المرضى¹، كما رستان بغداد الذي أشار أبو بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بنائه².

ونظرا لحالة الطب الجيدة بغرناطة جعل منها قبلة لمن استعصى مداواته من المرض، وذلك ما أورده الخشني عن حديثه مع أبو علي الغساني الجباني الأصل ت498/هـ1104م عند لقائه إياه بها قادما إليها من جهة ألميرية للتطبيب بها من علة أصابته وذلك سنة 495/هـ1101م³.

2/ الصيدلة:

يقصد بالصيدلة علم الأدوية وهي كلمة ذات أصول هندية من إسم جند ناني أي صيدلاني وجندن بمعنى صندل الذي يعد من العطور المعروفة عند العرب⁴.

ويعتبر كتاب **الحشائش** لـدسقوريدس ت60 م⁵ الذي فسر أسماء أدويته المفردة فيما بعد أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الرومية ت637 هـ/1239 م⁶ من أوائل المؤلفات التي عنيت بهذا العلم⁷، تلاه جالينوس ت201م بكتابه "تدبير الأصحاء"⁸ الذي ترجمه إلى العربية الطبيب أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي ت260 هـ/873 م⁹، ليجد هذا الفن اهتماما كبيرا عند المسلمين فيما بعد، برز فيه العديد من المشاهير كالرازي

¹ هونكة، المرجع السابق، ص.230.

² Ibn al-qifti's op.cit.p.271.

³ عبد العزيز الأهواني، كتاب برامج العلماء في الأندلس، د.ط، مطبعة مصر، القاهرة، 1955م، ص.ص.13، 14.

⁴ محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1988م، ص.281.

⁵ بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.59، جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص.155.

⁶ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج1، ص.303.

⁷ فاضل أحمد الطائي، علم الصيدلة عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995م، ج1، ص.316.

⁸ Ibn al-qifti's, op.cit.p.129.

⁹ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص.325.

ت 925/313م¹، وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ت 1049/441م صاحب كتاب الصيدلة²، وأبو الحسن علي بن سهل الطبري صاحب كتاب " فردوس الحكمة"³، وعلى بن العباس مؤلف كتاب " كامل الصناعة الطبية"⁴ الذي كشف فيه عن طرق معالجة الكثير الكثير من الأمراض بأدوية مختلفة من أشربة وأقراص ومراهم وحقن⁵، وكذلك كتاب تفاسير العقاقير لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت 1169/565م⁶.

غير أن كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف " لأبي القاسم الزهراوي ت 403 هـ 1012/م الذي سبقت الإشارة إليه يعد من أشهر المؤلفات في تاريخ الإسلام في هذا الباب، فرغم اهتمامه بالطب والجراحة إلا أنه تضمن الكثير من المعلومات عن أسماء النباتات وأماكن وجودها وكيفية تخزينها وطرق تحضير الأدوية بنوعيتها المفردة والمركبة⁷.

وعلى هذا النسق سار صيادلة الأندلس مثل أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الشهير بابن الجزار ت 1008/399م صاحب كتاب " البغية في الأدوية المركبة "⁸، وأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وafd اللخمي ت 1073/466م مؤلف كتاب "الأدوية المفردة"⁹، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموي المعروف بالعشاب الاشبيلي صاحب كتاب "شرح حشائش دياسقوريدس وأدوية جالينوس"¹⁰.

¹ رحاب عكاوي، بن النفيس علي بن أبي الحزم القرشي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1996م، ص. 34.

² فاضل أحمد الطائي، المرجع السابق، ص. 388.

³ Ibn al-qifti's, ibid. p.231، فيليب حتي، المرجع السابق، ص. 435.

⁴ ibid. p.232.

⁵ فيليب حتي، المرجع السابق، ص. 437.

⁶ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ج 1، ص. 300.

⁷ بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص. 52..

⁸ نفسه، ص. 482.

⁹ حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم، ص. 242.

¹⁰ بن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص. 212.

ولأهمية الصيدلة في حياة الأفراد اهتم أهل الحسبة¹ بهذا المجال الواسع ومختلف الأحوال وذلك بمنح الصيادلة تصاريح مزاولة مهنتهم² بحكم أن إمكانية الغش فيها من الصعب الكشف عنه³ ،لذا كان من الواجب على ممتنها أن يكون ثقة ذا دين ومعرفة وبصيرة بالعقاقير المستخدمة في إعداد الأدوية ناهيك عن حرصه على ملاقاتة العارفين بها⁴.

ونظرا لارتباط هذه المهنة بإعداد الأدوية وتحضيرها فقد كان لزاما على أصحابها أن يوسعوا من دراساتهم وأبحاثهم في هذا المجال ،وهو ما تحقق بالفعل في غرناطة التي ظهر بها عدد من الصيادلة كما هو حال أبو عبد الله محمد بن علي القربلياني الذي كان عارفا بنباتات مع كونه طبيب من خلال ترده على المنابت وصروح الجبال⁵ ،وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالسراج الذي يصفه بن الخطيب أنه كان ذا علم وافر ومعرفة واسعة بأنواع الأعشاب وأعيان النبات⁶ ،وكذلك أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن بن أحمد المالقي 646هـ/1248م⁷ مؤلف كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"⁸

¹ الحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله والإحتساب طلب الأجر ،ويقال فلان لحسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير والنظر فيه ،وفي الإصطلاح هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله (أنظر: بن منظور ،المصدر السابق ،ج1 ،ص.314 ؛أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،تح: سمير مصطفى رباب ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1422هـ/2001م ،ص.260).

² هونكة ،المرجع السابق ،ص.329.

³ سمير عرابي ،علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1999م ،ص.15.

⁴ السقطي ،المصدر السابق ،ص.43.

⁵ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص.179،180.

⁶ نفسه ،مج3 ،ص.160.

⁷ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج2 ،ص.196.

⁸ المقرئ ،نفح الطيب ،ج2 ،ص.691.

، وكتاب "الأدوية المفردة" الذي تعرض فيه لوصف الأعضاء وطرق معالجتها بالعقاقير¹.

ومما ساعد على تطور الصيدلة بهذه الصرح الإسلامي العتيد ما حوته جبالها من أعشاب ونباتات عدت بمثابة مادة أولية لصناعة الأدوية بأنواعها المختلفة، خصوصا بجبل شلير الواقع في جنوبها الشرقي والذي وصفه بن الخطيب بأنه مستودع الأدوية².

3/ علم الفلك :

يعد الفلك³ من أقدم العلوم التي شهدتها أولى الحضارات الإنسانية كواد الرافدين⁴ وبلاد الإغريق⁵؛ إذ استخدمت ظواهره في حساب الزمن وتوالي المواسم⁶.

وأطلق عليها العرب إسم علم النجوم التعليمي وكذا علم صناعة النجوم⁷؛ إذ نجد العباسيون السباقين للاهتمام بهذا العلم على عهد أبو جعفر المنصور⁸ الذي أمر بترجمة المقالات التي أحضرها الفلكي الهندي كنكة إلى بغداد⁹.

¹ محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.ط، مج2، ص.ص. 159، 160.

² بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.ص. 96.

³ عرف بن خلدون الفلك بأنه علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك، لزمّت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية (أنظر: المقدمة، ص. 484).

⁴ الدومبيلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، د.ط، القاهرة، 1962، ص. 37.

⁵ هونكة، المرجع السابق، ص. 128.

⁶ محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص. 163.

⁷ كرلو نلينو، علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، د.ط، المكتبة الثقافية الدينية، مصر، د.ت.ط، ص. 24، 25.

⁸ محمد عطية الأبراشي، المرجع السابق، ص. 62.

⁹ Ibn al-qafṭi's, op.cit, p.409.

واعتنى المسلمون بهذا العلم حرصا منهم على فهم الآيات القرآنية الكريمة منها قوله سبحانه وتعالى: "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون"¹، وزاد من ذلك تشجيع أولي الأمر المستغلين به في حدود ما يتماشى و تعاليم الشرع الحنيف²، زيادة على الحاجة الماسة لمعرفة أوقات الصلاة والصيام³.

وكان من الطبيعي أن تظهر بصمات المسلمين في هذا العلم وذلك من خلال عديد المؤلفات التي كتبت عنه، عدت في مجملها بمثابة محاولات وإسهامات حضارية للدولة الإسلامية منها كتاب **قانون التعليم في صناعة التنجيم** لأبي المحامد محمد بن مسعود الغزنوي⁴، وكتاب **القانون المسعودي** لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ت430هـ/1038م⁵، وكذلك كتاب **الزيج الكبير** لمحمد بن الحسين المعروف بابن الآدمي⁶ الآدمي⁶، بالإضافة إلى كتاب **البراهين وتهيئة الآلات** لأبي العباس الفضل بن حاتم النيريرزي⁷، وكتاب **علم الجداول** لأبي العباس أحمد بن عثمان الشهير بابن البناء المراكشي⁸.

ولم تقل إنتاجات الأندلسيين الفلكية عن ما كانت عليه عند المشاركة غير أن إتلاف أغلب مخطوطاتها حال في الكثير من المرات دون معرفة تلك الآثار غير أسماء أصحابها

¹ سورة الأنعام، الآية: 97.

² سمير عرابي، علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص.7.

³ محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص.46.

⁴ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، مج2، ص.1310.

⁵ نفسه، مج2، ص.1314.

⁶ ibn al-qifti's, ibid,p.282.

⁷ محمد فارس، المرجع السابق، ص.210.

⁸ نفسه، ص.23.

وإشارات موجزة عنها¹ مثل صاعد الأندلسي الذي ألف كتاب إصلاح حركات الكواكب² ،ومسلمة المجريطي صاحب كتاب تعديل الكواكب³ الذي يعتبر من أبرز الأندلسيين دراية بالفلك وحركات النجوم⁴ ،ومحمد بن أبي جمعة القرطبي الذي أمر المنصور محمد بن أبي أبي عامر بقطع لسانه ثم قتله نظرا لعلاقته بالمنجمين⁵ ؛كون هذا العلم اعتبر من العلوم المهجورة التي عد كل من اهتم به من الخارجين عن الملة الأمر الذي جعله مكتوما لسنوات طويلة إلى أن ظهرت كتبه بعد المأساة التي حلت بقرطبة سنة 399هـ/1008م⁶.

وعلى غرار مدارس إشبيلية وقرطبة وطليلطة الفلكية شهدت غرناطة بدورها ظهورا ملحوظا لهذا العلم تألق فيه عدد من الفلكيين الذين ساهموا بقسط وافر فيه من خلال عديد المؤلفات التي تركوها في هذا الباب⁷.

وقد استخدم الغرناطيون الفلك في قياس المسافات وتدوين الحوادث الهامة في تاريخ بلدهم ؛من ذلك ما ذكره بن الخطيب عند تعرضه لمجال غرناطة الفلكي بين طول وعرض⁸ ،وعند حديثه عن ميلاد السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري⁹.

ومن الفلكيين الغرناطيين الذين اشتهروا في هذا العلم نجد أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الذي كان ذا بصيرة بالفلك وصناعة لجداول الأبراج ،تعلم على كل من أبي

¹ غوستاف لوبون ،حضارة العرب ،ص ص.461،462.

² صاعد الأندلسي ،المصدر السابق ،ص.69.

³ بالنثيا ،المرجع السابق ،ص.448.

⁴ الزركلي ،المرجع السابق ،ج7 ،ص.224.

⁵ عنان ،دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الأول ،القسم الثاني ،ص.527.

⁶ صاعد الأندلسي ،المصدر السابق ،ص ص.66،67.

⁷ علي حسن موسى ،علم الفلك في التراث العربي ،ط1 ،المطبعة العلمية ،دمشق ،2001م ،ص.245.

⁸ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.94 .

⁹ نفسه ،مج2 ،ص.91.

عبد الله الفخار وأبي زيد بن مثنى وأبي زكريا بن هذيل، نفي إلى تونس رفقة عدد من المغريين نظرا لتدريبه على أحكام النجوم واتهامهم بالضلوع في تأليب الأوضاع بغرناطة واختيار وقت ثورتها وذلك في أواخر سنة 763هـ/1361م¹.

وأبو علي حسن بن محمد بن باصة ت719هـ/1319م الذي قرأ على يديه صفوة الطلبة من أبناء ذوي الوجاهة والنباهة الذين اغترفوا من مؤلفاته واستنباطاته الكثير، نظرا لشهرته ومهارته في هذا العلم إلى جانب التزامه لحدود الشرع فيه وفق ما أقره العلماء².

وكذلك ابنه أبو جعفر أحمد بن حسن ت709هـ/1309م الذي انفرد بدوره بمعرفة الفلك وإحكامه لآلاته التي كان يصنعها حتى بلغت درجة عالية نالت إعجاب معاصريه وفاق بها من سبقوه من الأعلام الفلكيين³.

وأبو يحيى محمد بن رضوان بن أرقم النميري ت757هـ/1356م الذي برع في علم النجوم ففقد فيه بين منثور ومنظوم، زيادة على رسالة في الإسطرلاب الخطي وكيفية العمل به، وصفه بن الخطيب بأنه أبرع من لقيه من ذوي النباهة بحضرة غرناطة لكثرة ترده على مجالس الكبار⁴.

وكذلك محمد بن إبراهيم الأوسي ت715هـ/1315م الذي كان أستاذا متقنا في علوم مختلفة كالطب والحساب والهندسة غير أنه في الفلك أبرع، حيث ألف فيه كتابا بعنوان الزيج القويم الغريب المرصد فصار مرجعا لمن جاء بعده من الفلكيين⁵.

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، صص. 205، 206.

² نفسه، مج1، ص. 468.

³ نفسه، مج1، ص. 204.

⁴ نفسه، مج2، صص. 141، 142.

⁵ نفسه، مج3، صص. 69، 70.

بالإضافة إلى أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الذي قدم على غرناطة من بغداد عام 406هـ/1015م على عهد باديس بن حبوس الصنهاجي أين صار يلقي تعاليم الفلك موازاة مع فنون أخرى كالشعر والفلسفة¹.

وتجدر الإشارة إلى أن الإهتمام بهذا العلم لم يكن مسموحا به في غرناطة من قبل وذلك ما أشار إليه بن الخطيب عند تعرضه لشخصية السلطان يوسف بن محمد بن يوسف بن نصر ت1261هـ/660م ثاني سلاطين غرناطة أن أباه السلطان الغالب بالله محمد بن الأحمر وبخه في أحد الأيام على كثير من كتب التنجيم وجدها ببيته كان ابنه كلفا بتعلمها²

4/ الحساب:

عرف المسلمون الحساب³ كغيرهم من الأمم الأخرى وعمدوا إلى ترجمة أعمال الشعوب القديمة التي برعت في هذا المجال كما هو حال كتاب " سند هند " sand « hanata »⁴ الذي استعمل فيه الأرقام التسعة والصفرة كرقم عاشر⁵، فأمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور محمد بن إبراهيم الفزاري بترجمته إلى العربية عام 156هـ/772م⁶.

ويعتبر محمد بن موسى الخوارزمي ت 232هـ/846م أول رياضي مسلم ألف كتابا شرح فيه نظام الأرقام الهندية وطرق استخدامها⁷، وشاع هذا التأليف الجديد في الأمصار

¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.455.

² نفسه، مج4، ص.354.

³ ذكر أهل العلوم أن في تعلم الحساب فوائد جلية منها أنها تمكن الإنسان من البحث عن الصواب في جميع شؤونه، إضافة إلى تعويده الصدق وملازمته إياه؛ نظرا لما فيه من صحة المباني ومناقشة النفس (أنظر: بن خلدون، المقدمة، ص.480).

⁴ Ibn al-qifti's, op.cit, p.270.

⁵ هونكة، المرجع السابق، ص.73.

⁶ Ibn al-qifti's, op.cit, p.270.

⁷ أحمد مدحت إسلام، المرجع السابق، ص.43.

الأمصار الإسلامية ووصل استعماله إلى الأندلس ومنها إلى غرب أوروبا التي كانت تشهد صعوبات حسابية بسبب الأعداد الرومانية المعقدة¹.

ويعد الجبر من بين العلوم التي اشتهرت عند العرب وسموها بلفظ من لغتهم وانتقلت إلى سائر لغات العالم بهذا الاسم²، وزاد من اهتمامهم الكبير به أن أدخلوا المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب مقام الأوتار إضافة إلى تطبيقهم لعلم الجبر على الهندسة وحلهم للمعادلات التكعيبية³.

كما كان حرص المسلمين على مواقيت الصلاة وتحديد اتجاه القبلة إحدى الأمور الرئيسية التي أدت بهم إلى الاشتغال بعلوم الرياضيات⁴، إضافة إلى دوره الكبير في شحذ الذهن وتدريب الفهم وتسهيل معرفة القوانين الفقهية في قسمة الشركات والمساحات إلى غير ذلك من المسائل الحياتية العلمية⁵.

ومن الكتب التي عنيت بهذا العلم نجد كتاب **كافية الحساب في علم الحساب** لمحمد بن عبدان الحكيم ت 621هـ/1224م⁶، وكتاب **الحساب لابن البناء المراكشي**⁷، وكذلك كتاب **خواص الأعداد** لأبي الفضل عبد الحميد بن واسع⁸، وكتاب **التكملة في الحساب** لأبي منصور عبد القادر البغدادي⁹.

¹ محمد فارس، المرجع السابق، ص. 128.

² محمد عبد الرحمن مرجبا، المرجع السابق، ص. 395.

³ غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص. 455.

⁴ سمير عرابي، علوم الفلك والرياضيات، ص. 33.

⁵ بن خلدون، المقدمة، ص. 480 وما بعدها.

⁶ إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ج 2، ص. 1370.

⁷ نفسه، ج 2، ص. 1412.

⁸ Ibn al-qifti's, op.cit, p.230.

⁹ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، د.ط، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت. ط، ج 5، ص. 309.

أما بالأندلس فوجدت العديد ممن المؤلفات التي برزت في هذا الباب مثل معاملات الزهراوي¹، وكتاب القانون في الحساب لأبي الحسن علي بن محمد القلصاوي الأندلسي ت891هـ /1486م²، وكتاب التفسير لمحمد بن عبدون الجبلي³، وكذلك كتاب ثمار علم العدد لمسلمة المجريطي⁴.

ومن الذين اشتهروا في هذا العلم بغرناطة نجد أبو جعفر أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري؛ كانت له دراية في المساحة والحساب إلى جانب معرفته بأحكام النجوم، جعلته مقصدا للعلاج في الرقى والعزائم، غضب عليه السلطان محمد الغني بالله على حد قول بن الخطيب فجلده ونفاه إلى تونس⁵.

وكذلك محمد بن إبراهيم الأوسي المعروف بابن الرقام ت715هـ /1315م الذي كان عالما بالحساب إلى جانب علوم أخرى كالهندسة والطب⁶.

ومما يدل كذلك على مكانة الحساب وأهله بغرناطة ما قاله أبو محمد عبد الله بن محمد بن جزى مداعبا لبعض مقرئيه به :

يا ناصبا علم الحساب حباله لقناص ظبي سحر الألباب

إن كنت ترجو الحساب وصاله فالبدر يرزقنا بغير حساب⁷

ونظرا لتفوق الغرناطيين في هذا الميدان كان الفقهاء في العديد من المرات يستجدون بهم من داخل غرناطة ومن خارجها، سواء في المسائل التي تتعلق بالزكاة

¹ بن خلدون، المقدمة، ص.481.

² إسماعيل باشا، المرجع السابق، ج2، ص.1311.

³ صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص.81.

⁴ أنخل بالنثيا، المرجع السابق، ص.448.

⁵ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.205، ص.206.

⁶ نفسه، مج3، ص.70، 69.

⁷ نفسه، مج3، ص.397.

والمواريث أو بقياسات الأراضي ،من ذلك ما حدث مع أبو محمد عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري ت745هـ /1344م الذي كان ذا نظر ثاقب في العدد ؛حيث عرضت عليه مسألة من تونس في رجل فرط في إخراج أموال الزكاة لسنوات عديدة ،وطلب منه أن يجد لها حلا وفق طريقة الأربعة الأعداد المتناسبة ،فأجاب عنها بحل فريد نقله كل فقهاء تونس¹.

والأمر نفسه حصل مع أبو محمد بن عبد الله بن محمد الشراط الذي استدعي إلى الخدمة السلطانية حيث أوكلت له مهمة تعليم الأمراء نظرا لتفوقه في الحساب وقدرته على البرهنة في مسائله².

كما كان لذوي الوجاهة في غرناطة اهتمام خاص بفروع الرياضيات من جبر وهندسة كما هو حال الوزير يوسف بن إسماعيل بن النغيلة اليهودي ت459هـ/1066م على عهد الأمير الغرناطي باديس بن حبوس الصنهاجي ت465هـ/1072م حيث ألف كتابا سماه السجيع في علوم الأوائل الرياضية³.

5/ الهندسة :

تعتبر الهندسة⁴ من العلوم التي شهدت اهتماما لا بأس به عند المسلمين نظرا لارتباطها بالحساب ،لذا كانوا حريصين على العناية بكل تأليف فيها ،كما يظهر ذلك من كتاب الأصول أو الأركان لأقليدس الذي ترجم إلى العربية على عهد الخليفة أبو جعفر

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج3 ،ص ص.413،414.

² نفسه ،مج3 ،ص.441.

³ نفسه ،ج1 ،ص.438.

⁴ يقصد بالهندسة النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم والمنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية ،ومن أقسامها الأشكال الكروية والمخروطات والمساحة (أنظر: بن خلدون ،المقدمة ،ص ص.482،483).

المنصور العباسي¹، وكتبا إعجاز المهندسين والمثلث القائم الزاوية للسموأل بن يحيى بن عباس المغربي ت570هـ /1174م اللذين اشتهرا بين أهل المشرق².

ومن الغرناطيين الذين عنوا بهذا العلم نجد أبو القاسم أصبغ بن محمد بن المهدي ت426هـ /1034م الذي كان ذا دراية كبيرة بها جعلته يؤلف فيها كتابين الأول بعنوان المدخل إلى الهندسة والثاني حمل اسم الكتاب الكبير في الهندسة الذي وضع فيه أجزائها³.

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي ت715هـ /1315م الذي كان فريد دهره علما بالحساب والهندسة على حد قول بن الخطيب، دعاه ثاني سلاطين غرناطة محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت701هـ /1301م لتعليم الطلبة الغرناطيين بعد أن كان مقيما ببجاية، فأنشأ المؤلفات والمختصرات التي انتفع الناس بها⁴.

وكذلك أبو علي منصور بن عبد الله الزواوي الذي كان ذا دراية كبيرة بفروع الهندسة إلى جانب الحساب وعلوم أخرى، أهله لتدريسها بمدرسة غرناطة بطلب من سلطانها أبو الحجاج يوسف النصري⁵.

كما لا يمكن إغفال شيخ بن الخطيب العلامة أبو زكريا يحيى بن هذيل الذي نعتته بخاتمة حملة العلوم العقلية بالأندلس نظرا لتبحره في فنون عديدة على رأسها الحساب

¹ بن خلدون، المقدمة، ص.482.

² بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص.471، 472.

³ بن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص.428.

⁴ نفسه، مج3، ص.69، 70.

⁵ نفسه، مج3، ص.325.

والهندسة إلى جانب الطب ،وهي علوم أخذها على الترتيب عن شيوخ عدة أمثال أبي الحسن بن راشد ،وأبي عبد الله بن الرقام وأبي عبد الله الأركشي¹.

ومما يدل على تفوق الغرناطيين في هذا المجال هو استخدامهم لتقنياتها المختلفة في مظاهر الحياة اليومية ؛كشق قنوات المياه المستعملة في الحاجات المنزلية كالحمامات² وفي عمليات ري البساتين الكثيفة والحقول الواسعة التي عدها بن الخطيب بأنها فاقت أربعة عشر ألفا مجتمعة³ ،بالإضافة إلى المخلفات العمرانية كالقلاع⁴ والقناطر⁵ ومن بعده القرى التي ذكر بأنها تجاوزت الثلاث مائة قرية⁶ ،دون تجاهل المدرسة النصرية الذي يصفها بأنها كانت فخمة البنيان ،بهية المنظر نظرا للهندسة الراقية المستخدمة فيها⁷.

ولعل أبرز إنجاز حضاري كشف عن براعة المهندس الغرناطي وشهد له بطول الباع في التصميم والتخطيط الدقيق ناهيك عن الحقائق والبساتين البديعة تمثل في ما بات يعرف بقصر الحمراء⁸ Alhambra الذي يجسد قمة جمال العمارة الإسلامية بالأندلس نظرا لتلك الطرق الهندسية البديعة التي استخدمت فيه حتى صار تحفة عمرانية ضاهت بكثير قصور قرطبة وإشبيلية⁹.

¹ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج4 ،ص ص.390،391.

² أنظر: الملحق رقم:05.

³ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.124.

⁴ أنظر: الملحق رقم:06.

⁵ أنظر الملحق رقم:07.

⁶ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج1 ،ص.126.

⁷ نفسه ،مج1 ،ص.509.

⁸ تغنى نبهاء غرناطة بقصر مدينة الحمراء كثيرا من ذلك ما قاله بن مالك الرعيني:

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته ذهبته به للأنس والليل قد ذهب

ترى الأرض منها فضة فإذا اكتست بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب (أنظر: شكيب أرسلان ،المرجع

السابق، ج1 ،ص ص.214،215).

⁹ عن قصر الحمراء أنظر: الملحق رقم: 08.

الخاتمة

الخاتمة:

يمكن لمتتبع الحركة العلمية بغرناطة في الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري /الحادي عشر - الرابع عشر ميلادي انطلاقا من مصدر هام مثل كتاب الإحاطة لابن الخطيب أن يصل إلى بعض الاستنتاجات التي قد تعطي في مجملها صورة جلية عن الأوضاع العلمية العامة القائمة آنذاك من بينها:

استطاع الغرناطيون بمرور السنين أن يشكلوا قاعدة متينة للعديد من العلوم بعد أن كانوا في بداية عهد إمارتهم يتطلعون إلى كل ما يأتيهم من الغير؛ سواء من الإمارات الأندلسية المجاورة التي كانت تشهد نشاطا علميا مزدهرا كقرطبة وإشبيلية أو من المشرق الإسلامي بحكم رحلات الحج التي سمحت بدورها بنقل كل ما له علاقة بالحركة العلمية كالمناظرات التي كانت تعرفها حلقات العلماء الفقهية والأدبية على وجه الخصوص، زيادة على زيارة العديد من الحواضر العلمية الشهيرة آنذاك مثل فاس وتلمسان وبجاية والقيروان والقاهرة ودمشق وبغداد أكسبتهم وعي وتجربة حول الواقع العام الذي كان يشهده عالم العصر الوسيط.

أن النشاط العلمي بغرناطة لم يتوقع في جانب دون الآخر بل شمل عديد العلوم من شرعية وأدبية واجتماعية وتطبيقية، فعل سبيل المثال لا الحصر كان الاهتمام بالفلسفة والفلك منتشرا في هذه الفترة خصوصا القرنين السابع والثامن الهجريين مقارنة بالقرون السالفة وذلك راجع إلى ظهور شخصيات برزت في علوم أخرى كالفقه واللغة كان لها مكانة بين عامة الغرناطيين وخاصتهم، حملت على عاتقها مهمة الدفع بهذين العلمين إلى مصاف البحوث الجادة.

كذلك الجهد المبذول والعمل الدعوب لمختلف شرائح المجتمع يؤتي أكله بمرور السنين والذي تظهر آثاره على الواقع في قالب حضاري متنوع يميظ اللثام عن مدى وعي هذا

المجتمع الذي انزوى في آخر حياته كهيكل سياسي رسمي في رقعة جغرافية ضيقة بسبب تكالب قوى النصرانية عليها، إلا أن ذلك لم يمنع من نبوغ أعلام أمثال ابن الخطيب وابن جزي وابن الجياد وابن هذيل سجلوا أسمائهم على صفحات التاريخ الأندلسي في أبوابه المختلفة السياسية والعلمية، رغم التقلبات التي كانت يشهدها وطنهم بين الفينة والأخرى أبرزها التحرشات النصرانية عليها، ناهيك عن بروز ظاهرة التشاحن بين أعلامها وصلت إلى حد أن يضحي أحدهم بمن أحسن إليه بالأمس القريب كما حدث لابن الخطيب مع بن زمرك والنباهي.

المتابعة المتواصلة للهيئات العليا والمتمثلة في السلطة تكون دوما بمثابة الحصن المنيع الذي يشجع المبدعين ويصون إرثهم الفكري، ويعمل على تقريبهم والغدق عليهم بالأمان الذي يضاف إلى العطايا والمنح من صلات ومناصب تليق بأمثالهم من الأعلام في سائر أصقاع الأرض، تشعرهم بقيمة ما يقومون به من انجازات تعود بالنفع العام عبر مر السنين، ومما يزيدها قوة هو أن يكون من الطبقة الحاكمة ممن له اهتمام بالعلوم كما هو حال سلاطين غرناطة أمثال محمد بن الأحمر و محمد الفقيه و محمد الغني بالله المعروف عنهم تعلقهم بالعلم و رعايتهم لأهله.

رغم التناقض الكبير الذي أملتته الأوضاع المتوترة التي كانت تشهدها غرناطة في فترات مختلفة الداخلية والخارجية، تمكنت بدورها من النجاح في المساهمة الحضارية الأندلسية بنصيب هام وفي إشعاع نور الحضارة الإسلامية الذي استفادت منه أوروبا في نهضتها الفكرية فيما بعد، ولعل المخلفات المكتوبة والأثرية أنبأ دليل على ذلك.

إن الأنانية وحب الذات المنفردة عن الجماعة تؤدي إلى القضاء على إرث حضاري هام ومتنوع وإطفاء شموع الإبداع ناهيك عن المساهمة في تشجيع الأعمال المشينة التي لا تعكس الوجه الحقيقي لرسالة الإسلام الحضارية؛ وما كانت تشهده غرناطة من هذا

القبيل ليس بالقليل بل تكرر حدوثه مرات عديدة بسبب المصلحة كان مؤلف محور هذه الدراسة أحد ضحاياها.

إستطاع بن الخطيب من خلال كتابه الإحاطة أن يساهم بحظ كبير في مد الدارسين للعلوم والمهتمين بشأن أهلها بمعلومات وافية وفوائد جلية تتبأ في مجملها عن مدى وعي أبناء تلك الفترة بما كان يدور حولهم من القضايا العامة المتداخلة فيما بينها؛ السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لها صلة وثيقة بالحركة العلمية وتأثيراتها المختلفة عليها من حيث الإنتاج العلمي وعلاقة أهله بمختلف طبقات المجتمع، لذا كان لا يتوانى في ذكر العديد من الوقائع وتسجيل مختلف الملاحظات التي من شأنها تذليل التضارب في الأفكار وتبسيط التصورات للباحثين، نظرا لما رأى فيها من أهمية بالغة بحكم تجربته الطويلة العلمية والسياسية التي جعلت منه علما حق بالتبجيل والإهتمام.

الملاحق

ملحق رقم: 01.

منقوش الصنهاجي

مناد

زيري

ماكسن

زاوي

(403 - 410 هـ / 1013 م - 1019 م)

حبوس (411 - 428 هـ / 1020 م -

1037 م)

باديس

بلكين

(المظفر)

(428-465 هـ / 1037-1073 م)

عبد الله (465-483هـ/1073-1090م) ⁽¹⁾

ملحق رقم: 02

صيغة وقف وتحبيس كتاب الإحاطة ⁽²⁾

" الحمد لله ،اشهد مولانا الملك الإمام ،مطاع السيوف والأقلام ،ظل الله الممدود على عباده ،ومنفضي أحكامه في أرضه وبلاده سيدنا على باي باشا صاحب المملكة التونسية ، حرس الله بهجته السنية ؛انه حبس هذا الكتاب وهو الجزء الأول من الإحاطة في أخبار غرناطة على من له أهلية الانتفاع به بمكتبة الجامع الأعظم بحاضرة تونس ،عمره الله بدوام ذكره ،مشرطا عدم إخراجها منها ،وان يجري العمل فيه على مقتضى الترتيب المؤرخ بالثاني والعشرين من ربيع الثاني عام اثنان وتسعين الفارط ،الممضى من جانب المقدس المغرور أخيه سيدنا محمد الصادق باشا تخمده الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه قاصدا بذلك وجه الله العظيم راجيا ثوابه الجسيم ،أشهدنا أيده الله بذلك ،وهو بأكمل حال وحسبما يتضمنه طابعه السعيد أعلاه ،دام فخره وعلاه ،بتاريخ غرة المحرم الحرام عام ثلاثمائة وألف.

⁽¹⁾ زامباور ،معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ،تخريج محمد حسن حسن بك وحسن أحمد محمود ،دار الرائد العربي ،بيروت 1400هـ /1980م ،ص.111.

⁽²⁾ بن الخطيب ،الإحاطة ،مج 1 ،ص ص.10،11.

ملحق رقم 103¹

¹ صورة لمخطوط الإحاطة بدار الكتب التونسية

(الحمد لله) ثم مولانا الملك الامير مطلق الصوب والملا فلاح خان امير
 رولد على عبادي ومنعنا احكامه في ارضه وبلاده سيرنا
 على باطلا باي صاحب المملكة التوسيع من سرانه بغيره
 استند انه حسب قهر الكتاب وهو اجنه المضي من الا حله في اخيرا رغبه على
 من له اعلية الاملاك به بكتبه الجامع الماعظم جوامع ان يكونه مجد خيرة فوسر عجم انه
 بوام دهره مشفى طاعون اخي اجه فتكلم على مقتضاه التي تيب المورث باطلا في
 والعشر بين من ربيع الثلث على اعلى اثنتي وتسعين وما يقين والبع المضي من جناب المفرة
 انهم ورا فيه سيرنا في الصا في با شيا باي فغور انه برخوانه وانكته بسمع جفانه
 فلا صرا بزل وجه انه العظيم را حيل ثوابه الجسيم اشغرتا ايو انه بزل وقور باكمل
 حاله وخسما يتضمن طابعه اشغير اعلاه في ام عني با علة بتكثيره في الخراج عساع
 فلا حلاية والعب مفيدي



جزء به التصحيح الثاني من الا حله
 على اختصار او نقص وان في نسخة منه

08136

ملحق رقم: 04

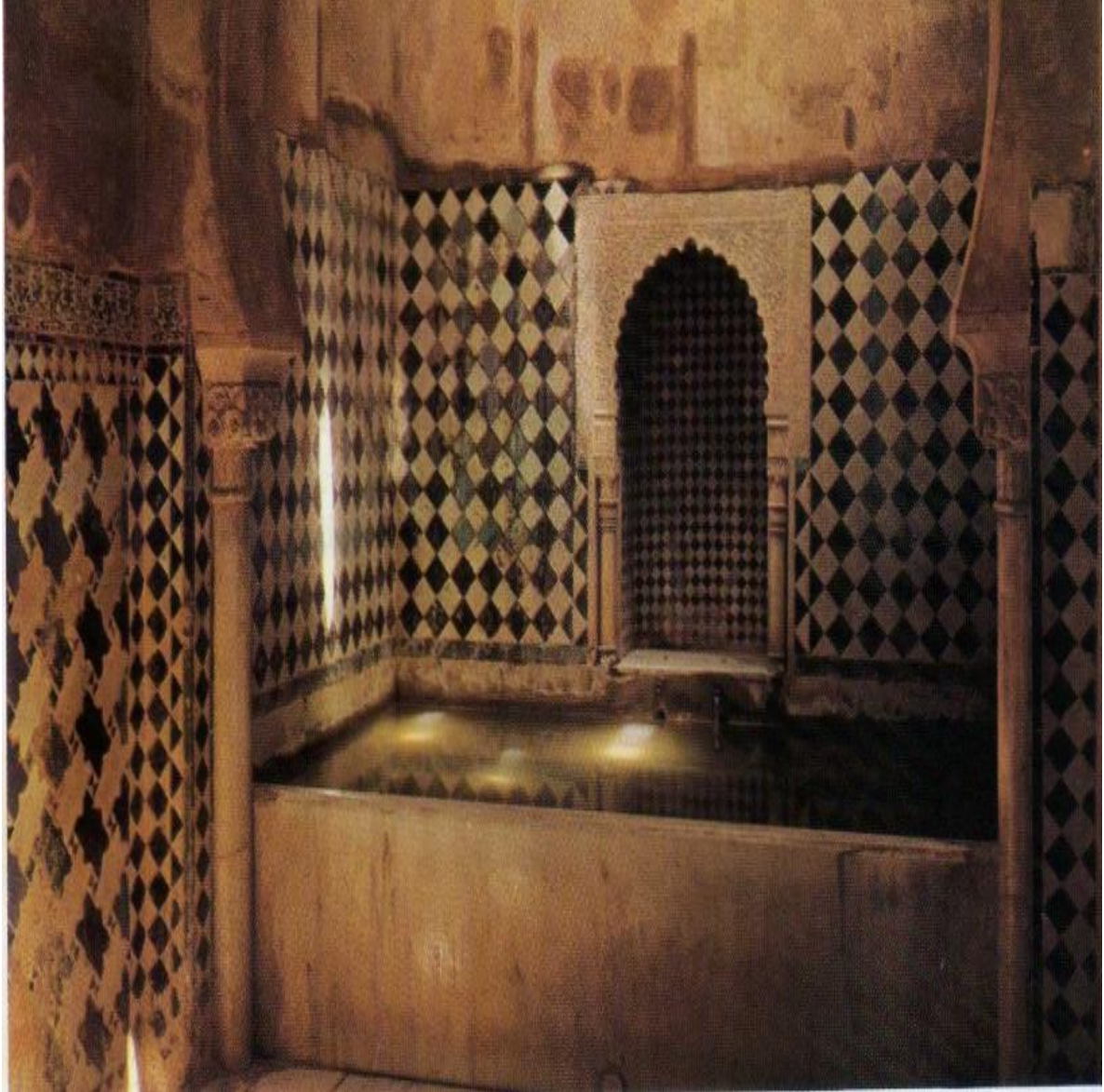
بعض ما قاله بن الخطيب في مدح سلطانه محمد الغني بالله:

ما على القلب من بعدكم جناح	أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب إذا	هب بأنفاسكم نسم الصباح
جيرة الحي والحديث شجون	والليالي تلين بعد الجماح
أترون السلو خامر قلبي	بعذلكم لا وفالق الإصباح
ولو أني أعطى اقتراحي على	الأيام ما كان بعدكم باقتراح
معالي محمد بن أبي الحجاج	ليث العدا وغيث السماح
يا سراج النادي وحتف الأعادي	وعماد الملك الكريم المناح
جمع الله من حلّى آل عباس	لعلياك في سبيل امتداح
بين رأي موفق واعتزام	مستعين وصارم سفاح
وخفضت الجناح في الأرض حتى	لم تدع فوق ظهرها من جناح
أنت مصباحها ونور دجالها	دافع الله عنك من مصباح
دمت في عزة ورفعة قدر	بين مغد موفق ومراح
ما تولت دهم الدجنة غدوا	وجرت خلفهن شهب الصباح ¹

الملحق رقم: 05 (2)

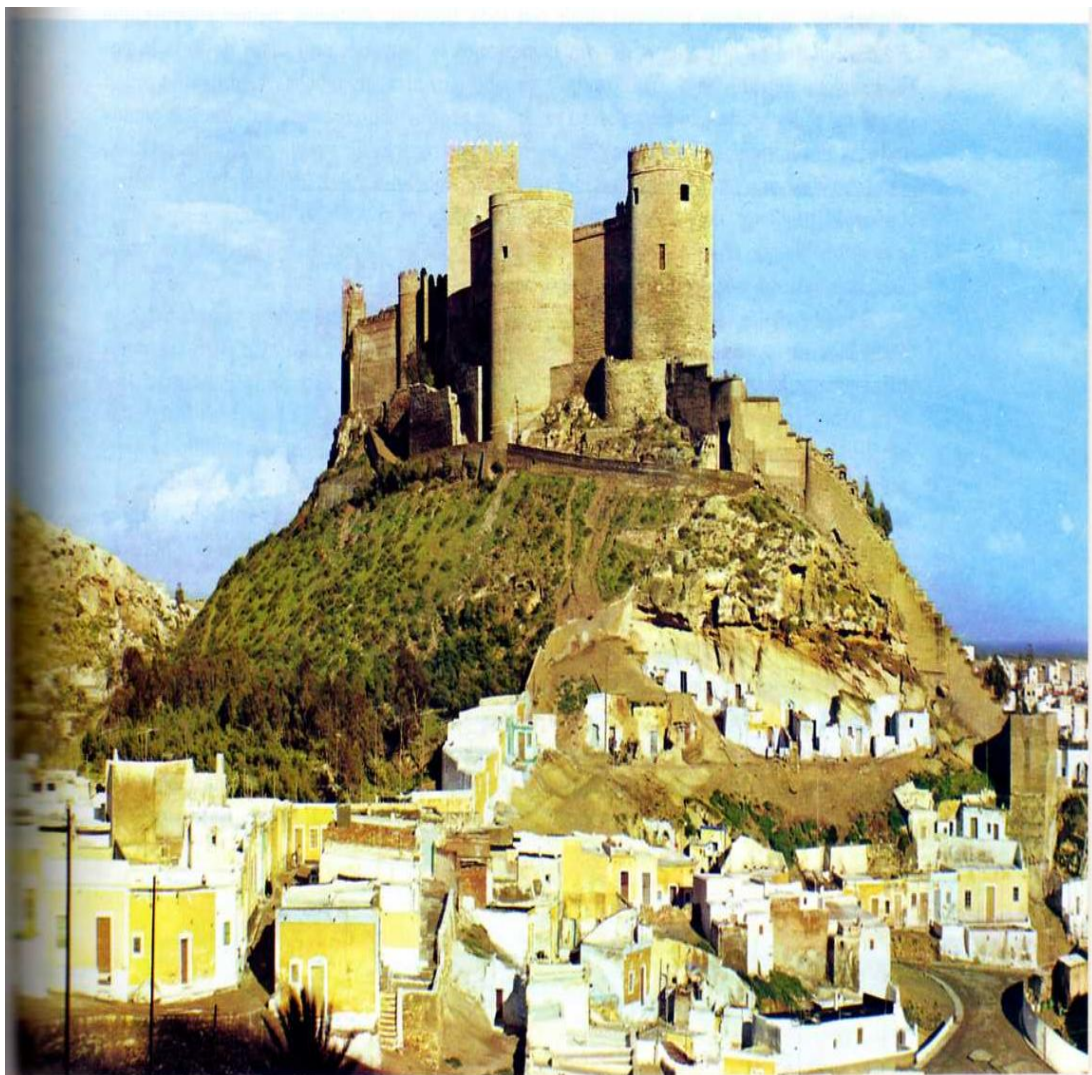
¹ بن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص. 469 وما بعدها.

²² Ramon Menéndez Pidal, Historia de España : España Musulmana (711-1031) La Conquista, El Emirato, El Califato, Octava Edicion Espasa Calpe , S.A. Madrid, 1996, Tomo IV. P.45.



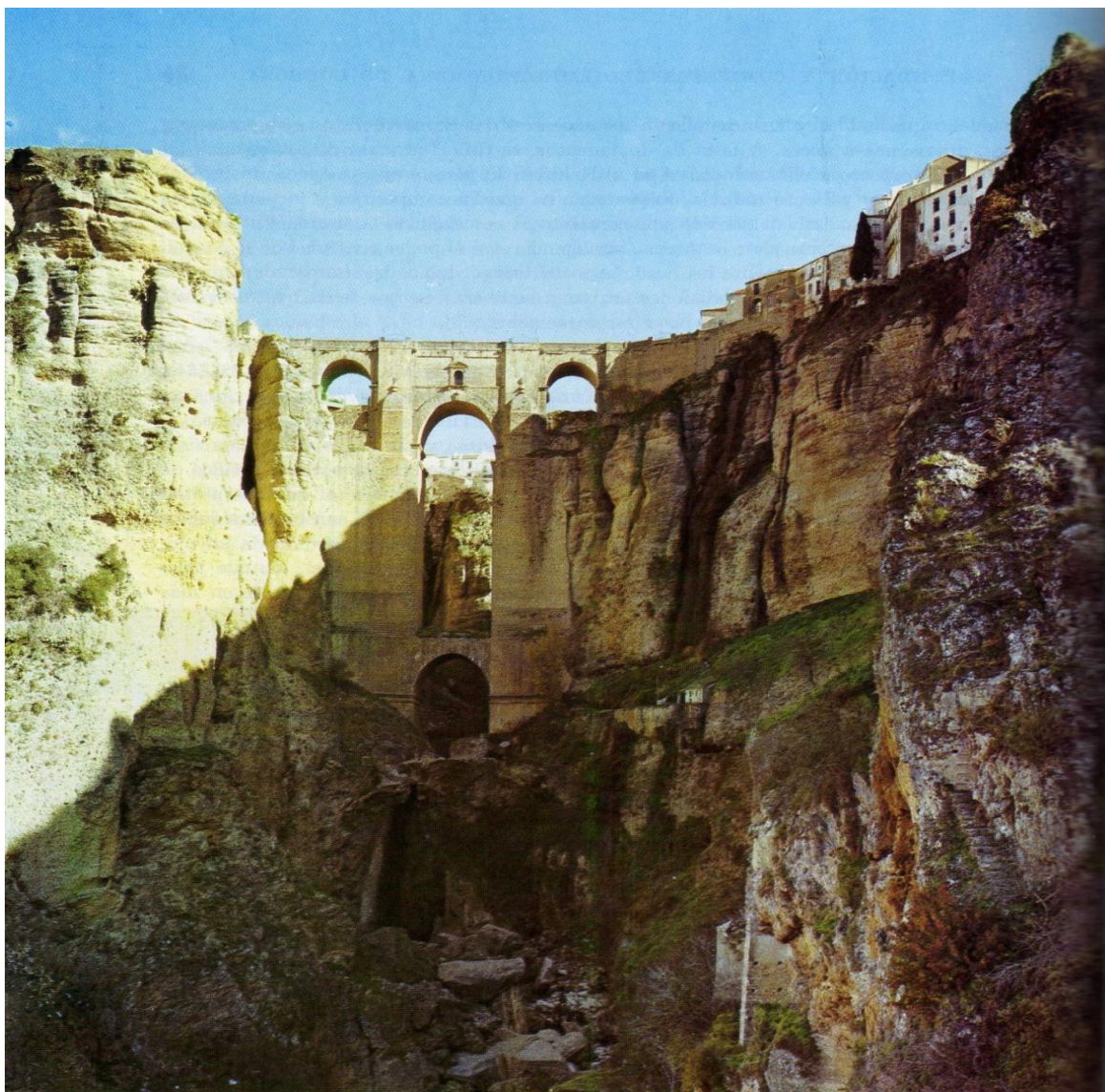
الملحق رقم: 06 (1)

¹: Ramon Menéndez Pidal, OP.CIT.P.92.



الملحق رقم: 07 (1)

¹: Ramon Menéndez Pidal, OP.CIT.P.412.



الملحق رقم: 8⁽¹⁾



¹ www.wikipedia.org

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

بن الأحمر إسماعيل: 71،61،53،49،07.

بن الأحمر محمد بن يوسف: 30، 32، 41، 67، 113، 226.

بن أجروم أبو عبد الله محمد بن محمد: 157.

الأذفونش: 28.

الأركشي أبو عبد الله: 230.

الأزدي أبو محمد عبد الله بن سليمان الأنصاري: 86.

بن إسحاق محمد بن يسار: 183.

الأصيلي أبو محمد عبد الله بن إبراهيم: 143.

بن أبي أصيبعة: 211.

بن أصبغ أبو الحسن مجاهد: 129.

الإستجي أبو عبد الله محمد بن أحمد: 149.

الأشعري أبو موسى: 123.

الإلبيري أبو جعفر: 22.

الإلبيري أبو عبد الله بن الفخار: 87.

الأنصاري إسماعيل بن فرج بن إسماعيل: 39.

الأنصاري أبو عبد الله محمد بن عمران:158.

الأنصاري أبو محمد عبد الله بن أيوب:116.

الأنصاري أبو محمد عبد الله بن الحسن:144.

الأنصاري أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري:143.

الأنصاري أبو عبد الله محمد بن سعيد:144.

إيزابيلا:33،34.

بن الأكحل أبو يحيى محمد بن أحمد:63.

الأكفاني محمد بن إبراهيم:211.

الإشبيريون أبو بكر محمد فتح بن علي:42.

الأمدي أبو الحسن علي بن محمد:139.

ألفونسو الأول:77.

إقليدس:229.

أبو قراط:211.

الأوسي محمد بن إبراهيم بن محمد:114، 216.

ب

الباجي أبو الوليد سليمان:140.

بن باق أبو جعفر بن محمد:149.

بن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك: 06.

بن برطال أبو عبد الله القاضي: 126.

بروفنسال ليفي: 06، 20.

بن بسم: 06، 167.

بن باصة أبو علي حسن بن محمد: 225.

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: 09، 143، 145.

بن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي: 14، 19، 40، 91.

بن بقي أبو عبد الله محمد بن سعد: 101، 134.

بلغيث محمد الأمين: 09.

بالنثيا غونثالث: 23، 63.

بن بلكين عبد الله: 28، 113، 187.

البلنسي أبو عبد الله محمد بن علي: 130.

بن البنا علي بن محمد بن علي: 60.

بن البنا المراكشي: 223.

بروكلمان كارل: 63.

البرغواطي يحيى بن إبراهيم بن يحيى: 82.

بن ببش أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري: 101، 154.

بيدرو الثاني: 66.

البكري أبو عبيد الله بن محمد: 192.

البغدادي أبو منصور عبد القادر: 148، 229.

البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد: 220، 223.

البيهقي أبو بكر: 104.

الباوي أبو محمد عبد العظيم: 88.

البلوي أبو البقاء خالد: 91.

البلوي أبو عبد الله بن محمد: 174.

البيضاوي: 148.

ت

تومي رشيد: 09.

الترمذي محمد بن إسماعيل: 09، 143.

بن تاشفين علي بن يوسف: 172.

بن تاشفين أبو محمد بن علي: 112.

بن تاشفين يوسف: 20، 28، 39، 41، 112، 133.

التجيبى أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد: 109.

التجيبى صفوان بن إدريس: 91.

تميم أبو طاهر: 20.

التميمي محمد إسماعيل: 194.

التطيلي أبو العباس أحمد بن عبد الله: 179.

بن تيمية أبو العباس تقي الدين: 132.

التتوخي أبو إسحاق إبراهيم بن إبراهيم محمد: 68.

التلمساني أبو الحسين محمد بن أحمد: 89.

التلمساني أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم: 102.

ح

حباسي شاوش: 06.

الحجاري: 18.

الحميدي أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله: 06.

الحلاسي أبو جعفر هابيل بن محمد: 128.

بن حبوس باديس: 18، 38، 41، 114، 190، 227، 231.

بن حبيش الوزر: 125.

بن أبي حجلة أبو العباس أحمد بن يحيى: 71.

بن حرب أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد: 127.

أبو حيان أثير الدين: 89.

بن حيان أبو مروان حيان بن خلف القرطبي: 06، 132، 143، 158، 177، 188.

بن حيون محمد بن أحمد: 87.

بن الحاج إبراهيم النميري: 26، 79، 89.

بن حاتم الصميل: 95.

بن حزم أبو محمد علي القرطبي: 134، 176، 200.

بن حزم أبو عمر أحمد بن سعيد القرطبي: 188.

بن الحكم محمد بن عبد الرحمن القرطبي: 136.

الحكيم أبو عبد الله: 140.

بن الحكيم أبو بكر: 167، 189.

ابن الحكيم أبو القاسم محمد: 167.

بن حنبل أحمد: 131، 142.

الحضرمي أبو الوليد: 126.

الحضرمي أبو محمد عبد المهيم بن محمد: 195.

ابن الحمارة أبو الحسين: 39.

الحميري أبو عبد الله محمد بن أحمد: 145.

الحميري أبو عبد الله محمد بن حسون: 207.

حسن علي حسن: 08.

حمدة بنت زياد المكتب: 73، 177.

حفصة بنت الحاج الركوني: 73.

الحموي ياقوت: 08، 11، 19.

الحسن البصري: 87.

أبو حنيفة النعمان: 104، 131.

خ

ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي: 146.

الخشني: 96، 221.

ابن أبي الخصال أبو عبد الله محمد بن مسعود: 146.

خايمي الأول: 30.

ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد:

2، 235، 236،،،، 180، 170، 172، 173، 174، 179، 182، 189، 190، 191، 165، 166،

192، 195، 210، 214، 217، 220، 223، 226، 227، 230، 232، 233، 34.

ابن الخطاب عمر: 94، 95، 183.

ابن خطاب أبو بكر عزيز بن أبي مروان: 30.

ابن خطاب محمد بن عبد الله: 178.

الخولاني محمد بن عبد الله: 117.

الخولاني السمع بن مالك: 154.

ابن خلف أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد: 126.

ابن خلف أبو عبد الله محمد الأوسي: 149.

ابن خلف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز القيسي: 216.

ابن خروج أبو محمد عبد الله بن أيوب: 135.

ابن خميس أبو بكر بن علي: 186.

خمينيس: 138.

ابن خاقان الفتح: 06، 78.

ابن خلدون عبد الرحمن: 07، 18، 41، 55، 62، 64، 81، 181، 192، 203، 212.

ابن خلكان: 184.

ابن خلصون أبو القاسم محمد بن يوسف: 199.

الخنساء بنت عمر: 210.

الخوارزمي محمد بن موسى: 226.

ج

الجبائي أبو الحسن محمد بن أحمد: 144.

ابن جابر أبو عبد الله محمد الهواري: 25.

ابن جابر قاسم بن عبد الكريم: 149.

ابن جبل معاذ: 123.

الجرأوي محمد بن عبد الرحمن:170.

ابن جبیر أبو الحسن: 24، 178، 193.

بن جمل:211.

جالينجوس:219، 221.

أبو جعفر المنصور:222، 226، 229.

الجازولي أبو موسى:135.

بن الجزري أبو بكر محمد بن محمد:125.

بن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم:222.

الجزيري أبو جعفر الضرير:126.

بن جزى أبو عبد الله محمد الكلبي:

234،230،189،177،138،135،128،89،87،72،68.

بن جزى أبو القاسم محمد بن أحمد:142،147،151.

بن الجياب أبو الحسن:51،75،82،89،164،172،173،234.

بن الجوزي:200.

ح

حباسي شاوش:09.

بن الحسن أبو محمد عبد الله:205.

أم الحسن بنت الطنجالي:180.

الحلاج أبو مغيث الحسن بن منصور:206.

الحلبية سارة بنت أحمد بن الصلاح:208.

حنين بن إسحاق:222.

د

الدبوسي:141.

الداخل عبد الرحمن: 95.

الداري أبو عمران موسى:89.

الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد:127.

دسقوريدس:213،221،223.

أبو داود سلمان بن الأشعث:145.

الدؤلي أبو الأسود:159.

بن درستويه أبو محمد عبد الله:160.

بن دريد الكاتب:78.

دندش عصمت عبد اللطيف:08.

بن دقيق العيد:89.

الدوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد:137.

دروي فكتور:23.

دوزي رينهانت:16.

ذ

ابن ذكوان أبو العباس:200.

ر

ابن الربيع أبو الحسن بن أبي عامر:136.

راميرو ماريانو جاسبار:64،63.

ابن رحو يحيى بن عمر:72.

الرازي أبو بكر محمد بن زكريا:150،213،221،222.

الرازي أحمد بن محمد بن موسى:79،188،195.

بن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد:134،199،200.

بن رشد الحفيد:220.

بن راشد أبو جعفر أحمد بن عبد النور:132،138.

بن راشد أبو الحسن:232.

بن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر السبتى:92،93.

بن رشيد أبو عبد الله محمد الفهري:140،156.

رضوان النصري:72،80.

بن الرقام أبو عبد الله: 232.

بن الرقام محمد بن إبراهيم الأوسي: 230.

الرقوطي أبو بكر محمد بن أحمد: 106، 108، 115.

الرقوطي أبو عبد الله: 215.

بن ركن الدين الخوافي: 204.

الرميمي أبو عبد الله محمد: 31.

الرومي مغيث: 15.

الرندي أبو بكر بن محمد: 209.

الرندي صالح بن شريف: 115.

ريبير خوليان: 24، 106.

ز

الزبيدي أبو بكر: 94، 155، 187، 200، 204.

بن الزبير أبو جعفر: 80، 87، 89، 118، 128، 156، 158، 208.

ابن زرارة أسعد: 100.

ابن أبي زكريا أحمد بن عباس: 121.

ابن زكريا أبو الحسن: 128.

ابن زمرك عبد الله: 56، 59، 68، 137، 166، 179، 193، 235.

ابن زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله: 136.

ابن أبي زيد محمد: 103.

ابن زياد طارق: 15.

ابن زيد أبو الحسن علي البيهقي: 220.

زيدان بن أحمد المنصور: 82.

ابن زيدون أبو الوليد أحمد: 161.

الزهرابي أبو القاسم: 212، 220.

الزهرابي محمد: 227.

الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: 19.

الزهري محمد بن مسلم: 186.

ابن زهر أبو مروان عبد الملك: 212.

الزواوي أبو علي منصور بن علي: 88، 109، 138.

ابن الزييات أبو جعفر أحمد بن الحسن: 129، 151، 156، 161، 181، 209.

ابن زيري زاوي: 16، 17، 27، 35.

س

أبو سالم إبراهيم المريني: 54.

ابن سارة أبو عبد الله بن محمد البكري: 119.

السرقسطي ثابت بن عبد العزيز:152.

السرقسطي قاسم بن ثابت:152.

الساكوني أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب:205.

ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم:109، 202.

ابن السراج أبو بكر:158.

ابن السراج أبو عبد الله:213، 214.

ابن السراج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم:216، 221.

ابن سراج أبو مروان عبد الملك:133، 158.

السلالجي عثمان بن عبد الله:150.

السلوي الناصري:07.

السلجوقي ملك شاه:104.

السلجوقي نظام الملك:104.

ابن أبي سالم أبو العباس أحمد:58.

سالم عبد العزيز:12.

ابن سلبطور أبو عبد الله محمد بن محمد:62.

ابن سلمون أبو محمد عبد الله بن علي:86.

السلمي عبد الملك بن حبيب:100.

- ابن سعد أبو الحسن علي الغالب بالله:39.
- السعدي أبو الحسن علي بن محمد:214.
- ابن سعادة أبو علي عيسى بن محمد:219.
- ابن سعيد أبو الحسن المغربي:13،21،190.
- ابن سعيد أبو جعفر بن مروان:21.
- ابن سعيد علي بن موسى:164.
- ابن سعيد مؤمن:94.
- السلولي عقبة بن حجاج:108.
- السمرقندي أبو حفص نجم الدين:184.
- السموأل بن يحيى المغربي:229.
- ابن سهل أبو محمد عبد الله الغرناطي:198.
- السهروردي:201.
- السواس محمد بن محمد بن أحمد:217.
- ابن سيده أبو الحسن علي:153.

ش

- الشاذلي أبو الحسن:207.
- الشافعي محمد بن إدريس:133،134،141،149.

الشافقوري أبو تمام غالب بن علي:215.

الشاطبي أبو محمد القاسم:125.

ابن أبي شبيب غياث:124.

بن شبرين أبو بكر بن محمد السبتى:25،68.

بن الشديد أبو عبد الله محمد بن محمد:93.

شريف أحمد:09.

ابن شريك أسامة:210.

الشرط أبو محمد عبد الله محمد:117،175،231.

الشريشي أبو عبد الله محمد بن محمد:80،98.

ابن شلبطور أبو عبد الله محمد:72.

ابن شقرال أبو عبد الرحمن بن أحمد:154.

الشفندي:19،112.

شمر بن نمير:111.

شعبة:86.

الشعراني عبد الوهاب:148.

ابن شعيب أبو العباس الكرياني:199.

شهاب الزهري:87.

ابن شهيد أبو عامر أحمد بن عبد الملك: 161.

ابن شهيد أبو الوضاح: 168.

الشيرازي أبو عبد الله محمد بن خفيف: 201.

ص

ابن الصائغ أبو الحسن الإشبيلي: 88.

الصباغ محمد بن أحمد المكي: 91.

صخر: 210.

الصريحي محمد بن محمد بن عبد الرحمن: 100.

بن صفوان أبو طاهر محمد بن أحمد القيسي: 204.

بن صفوان أبو جعفر أحمد بن إبراهيم: 198، 206.

صفوان أبو بحر بن إدريس: 21.

صاعد أبو القاسم بن أحمد: 76.

الصغير عبد الله بن علي بن سعد: 33، 34.

الصناع أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: 202.

الصنعاني حنش بن عبد الله: 153.

ابن الصيرفي أبو بكر محمد بن يحيى: 76، 186.

ط

الطباع أبو جعفر: 158.

الطنجي محمد بن تاويت: 08.

ابن الطيب أبو الحسن: 87.

الطبري محمد بن جرير: 186، 134.

الطرسوني أبو عبد الله محمد بن أحمد: 139.

الطويجن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم: 163.

ابن طفيل أبو بكر محمد بن عبد الملك القيسي: 201.

ف

الفاصي محمد بن حسن العمراني: 116.

الفخار أبو عبد الله: 226.

ابن الفخار أبو عبد الله الإلبيري: 179، 157، 109، 51.

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد: 19.

ابن فرج أبو عبد الله بن محمد بن أبي الوليد: 34.

ابن فرج أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي: 202.

ابن الفرضي: 187.

فرناندو الأول: 30.

فرناندو: 34، 33.

الفرابي أبو نصر محمد بن محمد: 194.

ابن الفرات أسد: 124.

الفراهدى الخليل بن أحمد: 152.

ابن الفرّج أبو عمر أحمد: 173.

ابن فركون أحمد بن محمد: 136، 170.

ابن الفضل معاوية الصمادحي: 124.

ابن فضيلة أبو الحسن المعافري: 156.

الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف: 33، 40، 201، 218.

الفهري أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم الساحلي: 89.

الفهري أبو علي الحسين: 156.

الفهري محمد بن عمر بن رشيد: 102.

الفهري يوسف بن عبد الرحمن: 16.

ابن أبي الفياض أبو بكر أحمد: 185.

الفيروز آبادي: 08.

ق

ابن أبي القاسم أحمد: 132.

أبو القاسم بن أحمد: 133.

ابن قاسم محمد بن أبي بكر القرشي: 220.

القاللي أبو علي: 158.

القتبي: 158.

ابن قتيبة أبو محمد عبد الله: 132، 166.

ابن قدامة موفق الدين المقدسي: 139.

القشيري بلج بن بشر: 13.

القشيري: 201.

القرطبياني أبو عبد الله بن فرج: 214، 221.

القرطبي الحكم المستنصر: 40، 72.

القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد: 129.

القزويني: 16.

ابن قزمان: 179.

ابن القصير عبد الرحمن بن محمد: 92.

ابن القطان أبو العباس أحمد: 07.

ابن قطبة أبو القاسم: 22، 98.

القلصاوي أبو الحسن علي بن محمد: 227.

القلقشندي: 19، 26.

القليعي أبو جعفر أحمد بن خلف:133.

ابن قنفذ القسنطيني:61.

ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر: 76، 93، 185، 189.

القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: 104، 132.

القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب:129.

ابن قيس الغازي:93، 128.

القيطاجي أبو الحسن:50، 101.

ك

الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن:101، 117.

ابن كثير:183.

بو كنة عبد العزيز:05.

الكرني أحمد بن محمد:213.

الكرني أبو جعفر:216.

الكلبي أبو الخطار حسام بن ضرار:12، 36.

الكلاعي أبو جعفر الحسن بن علي:158، 168.

ابن كلدة الحارث الثقفي:210.

الكلوذاني أبو الخطاب محفوظ بن أحمد:141.

ابن الكماد أبو عبد الله: 128.

كنكة الهندي: 222.

ابن كعب أبي: 123.

ابن الكواب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم: 127.

كوديرا فرانثيسكو: 63، 83.

ابن كوثر أبو الحسين: 127.

كولان: 06.

ل

اللخمي أحمد بن محمد بن أحمد: 133.

اللخمي أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم: 206.

اللخمي أبو بكر محمد بن المفضل: 175.

اللخمي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن: 169.

اللخمي أبو عبد الله محمد بن علي: 213.

لوبون غوستاف: 167.

لسان الدين: 08، 48، 51، 55، 56، 59، 70، 79، 81.

اللوثي محمد بن عبد الله: 155.

المالقي أحمد بن صفوان القيسي: 67.

ابن ماجة محمد بن يزيد: 08، 143.

ابن ماكسن حبوس: 17، 18.

مالك بن أنس: 131، 132.

ابن مالك سهل: 126.

ابن مأمون عبد الرحمن الشافعي: 139.

ابن المحروق أبو الحسن علي بن أحمد: 111.

ابن المحروق أبو عبد الله محمد: 137، 154.

ابن محارب أبو عبد الله محمد: 100، 117.

محمد الشيخ أبو عبد الله بن زكريا الوطاسي: 34.

ابن مخلد بقي: 129.

ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى: 125.

المجريطي مسلمة: 224.

ابن المؤذن أبو محمد عبد الله بن أحمد: 126.

ابن المربع أبو محمد أبو عبد الله بن إبراهيم: 173.

المرادي أبو محمد بن المؤذن: 154.

المري أبو عبد الله محمد بن مالك: 113.

ابن مردنيش أبو جميل: 29.

ابن مردنيش محمد بن سعد الجذامي: 38.

المراكشي عبد الملك: 77.

المراكشي عبد الواحد: 13، 07.

المريني بن سفر: 160.

المريني أبو الفضل محمد بن أبي الحسن: 66.

ابن مرزوق محمد بن أحمد التلمساني: 53، 63، 80، 108.

ابن مستقور أبو الحسن: 154.

المستنصر الأموي: 118.

ابن مستري أبو عبد الله محمد: 204.

ابن مسرة القرطبي: 196، 197، 202.

مسلم بن الحجاج: 09، 143.

ابن مسعود عبد الله: 123.

ابن المسيب سعيد: 123.

المزي محمد بن عبد الله: 129.

ابن أبي المكارم أبو الحسين البغدادي: 204.

المظفر يحيى بن منصور: 112.

ابن المفرج محمد بن إبراهيم: 101.

ابن مقاتل أبو بكر محمد بن عبد الله: 92، 174.

المعري أبو العلاء: 194.

معاوية بن أبي سفيان: 183.

ابن معاوية عبد الرحمن: 16.

المعافري أبو بكر محمد بن عبد الله: 91.

المعافري عبد الرحمن بن محمد: 99.

المغيلي عتبة بن يحيى: 102.

المقدسي أبو عبد الله محمد: 191.

المقري أحمد بن محمد التلمساني: 07، 15، 22، 25، 61، 70، 105، 107، 110، 116، 195.

الملاحى أبو القاسم محمد بن عبد الواحد: 186، 188.

المليكشي أبو عبد الله محمد بن عمر: 115.

المهدي أبو القاسم أصبغ بن محمد: 187، 230.

المواق أبو عبد الله محمد بن أحمد: 203، 207.

الموحدي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد المؤمن: 21.

أبو منديل عيسى بن الحسن:66.

ابن منظور أبو بكر محمد بن عبد الله:130.

ابن منظور:08.

ابن ميمون القرطبي:218.

ع

العبدري أبو عبد الله محمد بن علي:101.

العبدري محمد بن محمد:115.

عبد الأعلى بن موسى بن نصير:12.

ابن عبد البر أبو عمر:140.

ابن عبد ربه: 161، 179.

ابن عبد العزيز عمر:142.

ابن عباد أبو عمرو محمد بن يحيى:205.

ابن أبي العافية أبو القاسم بن أحمد:69.

ابن عباس أبو الحسن:129.

ابن عباس أبو الحسن:129.

ابن عباس عبد الله: 124، 128، 210.

ابن عبدون الإشبيلي:94.

ابن عبدون محمد الجبلي: 227.

ابن عباد المعتمد: 41.

ابن عتاب أبو عمر بن عبد الله: 133.

عثمان أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي: 29.

العدوي أحمد بن عبد الملك: 96.

العذري أحمد بن عمر: 192.

ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: 07.

العرادي عبد الله بن علي القيسي: 41.

العرادي محمد بن علي بن عبد الله: 115.

ابن العربي أبو بكر: 118، 132، 140.

ابن عربي أبو بكر محمد بن علي: 202.

ابن العريف حسن بن الوليد: 168.

ابن عروس أبو عبد الله: 127.

عبد العزيز المريني: 56، 58، 69، 70.

ابن عرفة أحمد بن عبد الله بن محمد: 42.

ابن أبي عامر محمد المنصور: 35، 80.

ابن عاصم أبو يحيى: 107.

العسكري الحسن بن عبد الله: 195.

ابن عسكر أبو عبد الله محمد بن علي: 90.

العقيلي أبو عبد الله محمد بن عبد الله: 35.

ابن عطية أبو حرب مقاتل: 191.

ابن عطية عبد الحق بن غالب المحاربي: 129.

ابن عمر عبد الله: 124.

ابن عمارة حفص: 124.

عنان محمد عبد الله: 08، 11، 12، 16، 20، 27.

العمري: 19.

ابن عمير مصعب: 123.

أبو عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني: 52، 66، 70.

العنسي علي بن لب بن سعيد: 72.

العواد أبو عبد الله بن عبد الولي: 97، 51، 128، 116.

ابن عياش محمد بن محمد: 190، 121.

ابن عيلان محمد الحكيم: 229.

عياض القاضي المالكي: 54، 89، 120، 147.

العياشي: 92.

غ

الغني بالله أبو عبد الله بن أبي الحجاج: 33، 41، 53، 56، 59، 66، 72، 76، 80.

ابن غازي أبو بكر: 58.

ابن غانية داود: 20.

الغافقي أبو إسحاق: 156، 157.

الغافقي أبو القاسم محمد بن عبد الواحد: 76، 147.

الغافقي بن القاسم: 135.

الغافقي محمد بن عبد الله بن داود: 151.

الغافقي أبو محمد عبد الله بن زيد: 39.

الغافقي عبد الرحمن: 155.

الغرناطي أبو حامد محمد: 19.

الغزالي أبو حامد: 148، 198، 151.

الغزنوي أبو المحامد محمد: 223.

الغساني أبو الحكم محمد بن أحمد: 101.

الغساني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن: 191.

الغساني أبو علي: 126، 219.

الغساني علي بن أحمد: 137.

ابن غلبون أبو الحسن الطاهر: 127.

غومس غارسيا: 107.

ن

النباهي أبو الحسن: 56، 68، 193، 235.

ابن نافع عقبة: 126.

ابن النحاس أبو القاسم بن خلف: 128.

النحاس بهاء الدين محمد الشافعي: 158.

ابن النديم: 112.

نزهون القليعية: 182.

النسائي: 09.

الناصر عبد الرحمن: 81، 155.

الناصر السلاوي: 07.

النصري أبو الوليد إسماعيل بن فرج: 33، 51، 66.

ابن نصر علي بن أحمد: 99.

ابن نصير موسى: 153.

النفري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد: 138، 206، 209.

ابن النغريلة صاموئيل: 166.

ابن النغريلة يوسف بن إسماعيل اليهودي: 229.

النميري أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: 138، 146، 167، 168، 196، 208.

النميري أبو يحيى محمد بن أرقم: 225.

النولي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن: 89.

النيريرزي أبو العباس بن حاتم: 223.

هـ

هارون الرشيد: 194.

ابن هدية أبو علي: 99.

ابن هذيل أبو زكرياء: 174، 215، 219، 226، 232، 234.

الهمداني أبو الحسن علي بن عمر: 145.

الهمداني أبو القاسم محمد بن علي: 178.

ابن هرمز عبد الرحمن: 157.

ابن هشام جمال الدين: 158.

ابن هانئ: 168.

الهندي محمد بن يوسف: 201.

و

الوادي آشي أبو الحسن عمر: 203.

الوادي آشي محمد بن محمد بن حزب الله: 67.

ابن وزمر أبو محمد عبد الله بن إبراهيم: 162.

الواقدي: 184.

وكيبة بن ربيعة: 111.

ابن واسع أبو الفضل عبد الحميد: 227.

ابن وضاح محمد: 202.

الونشريسي: 95.

ي

ابن يحيى أبو داود علي: 128.

يحيى أبو زكريا الحفصي: 32.

ابن اليتيم أبو عبد الله محمد العبدري: 97.

ابن ياسر عمار: 89.

ابن يخلفتن أبو يزيد عبد الرحمن: 201.

ابن اليسر: 135.

اليقوبي: 187.

يوسف أبو الحجاج بن سعيد: 24، 44، 52.

يوسف أبو يعقوب المستنصر بالله: 30.

ابن يعمر يحي العدواني:127.

ابن يغمراسن أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن:82.

فهرس الكنى والأماكن

1/الكنى:

أ

بنو الأحمر: 01، 05، 15، 40، 63، 73، 75، 206.

الأندلسيين: 30، 36، 37، 38، 93، 130، 142، 145، 155، 163، 168، 171، 181، 226.

البربر: 17، 18، 35، 36، 71.

التميميين: 37.

الأراغونيين: 30.

الإسبان: 169.

بني أشقيلولة: 32.

الحميريين: 37.

الرومان: 11.

بنو زيري: 01، 03، 07، 16، 28، 72، 190.

صنهاجة: 27، 36.

بني عزرا: 37، 45، 188، 226.

بنو أبي العلى: 33.

العباسيون: 225.

العرب: 01، 08، 09، 36، 38، 91، 154، 155، 162، 222، 230.

الغساسنة: 38.

الفهريين: 38.

القرشييين: 38.

القشتاليين: 31.

القوط: 11، 17.

المرابطين: 09، 20، 27، 29، 38، 40، 135، 190.

ملوك الطوائف: 04، 08، 18، 27، 38، 191.

الموحدين: 07، 09، 29، 30، 31.

مولدون: 35، 36، 162.

النصارى: 02، 12، 37، 38، 48، 58، 82، 94، 170.

بنو مرين: 67، 75، 80، 164.

بني المظفر: 112.

بنو نصر: 03، 66، 101، 115، 165، 221.

النورمان: 108.

اليهود: 12، 28، 36، 37.

الأندلس: 01، 02، 03، 05، 07، 08، 09، 11، 12، 13، 16، 17، 18، 19، 20،
 23، 28، 29، 30، 31، 35، 38، 41، 46، 47، 65، 68، 69، 70، 72، 77،
 78، 79، 81، 82، 94، 102، 106، 107، 109، 110، 112، 113، 114، 115،
 118، 119، 120، 123، 127، 134، 136، 138، 140، 145، 150، 153،
 155، 156، 160، 162، 165، 167، 170، 181، 187، 188، 189، 192،
 195، 197، 198، 201، 204، 212، 214، 223، 229، 233.

البرتغال: 08.

أراغون: 30.

أربونة: 108.

أخشارش: 97.

أرجونة: 30.

إسبانيا: 01، 08، 23، 153.

الإسكندرية: 92.

الشام: 184.

إشبيلية: 03، 07، 13، 31، 42، 48، 112، 118، 233.

إلبيرة: 11، 14، 15، 16، 19، 77، 155، 168.

ألميرية: 13، 14، 20، 31، 43، 45، 187.

إفريقية: 17، 31، 154.

أوروبا: 23.

ج

بجاية: 87، 92، 164.

برشانة: 134.

بسطة: 18.

البشرات: 34.

البصرة: 90، 104، 193.

بلنسية: 28، 30، 81.

بغداد: 90، 89، 104، 184، 193، 219.

البيازين: 25، 101، 102، 154، 203.

بيت المقدس: 193.

بياسة: 18.

البيضاء: 26.

ت

تلمسان: 28، 34، 80، 106، 161.

تونس: 82، 92، 228.

ح

الحمراء: 25، 26، 41، 100.

حماء: 193.

حمص: 193.

حور مؤمل: 21.

ج

جبل طارق: 107.

الجزيرة الخضراء: 29، 165.

جيان: 14، 18، 20، 32.

د

دانية: 112.

دمشق: 12، 13، 19، 25، 219.

ر

رباح: 20.

الربض: 35، 47.

رباط العقاب: 109.

رندة: 18، 33.

ز

الزاب:195.

زناتة:35.

الزلاقة:28.

س

سمرقند:187.

السبيكة:22.

سبقة:56،87،103،116،157.

سرقسطة:116.

سلا:55.

ش

الشام:19.

شريش:31.

شنيل:19، 21.

ص

الصين:193.

ط

طليطلة: 20، 37، 47.

فا

فاس: 23، 29، 33، 35، 36، 50، 54، 59، 60، 63، 65، 67، 72، 80، 81، 85،
108، 109، 165، 167، 209، 221.

الفخارين: 26.

ق

القاهرة: 92.

قباء: 98.

القدس: 193.

القسطنطينية: 193.

قرطبة: 03، 12، 13، 14، 15، 17، 20، 21، 23، 28، 31، 48، 77، 81، 95،
102، 104، 113، 120، 136، 146، 187، 195، 198.

قشتالة: 30، 31، 32، 33، 34، 66.

القصبه العليا: 41.

قنتورية: 43.

القيروان: 124.

ع

العراق:193.

عين دمع:22.

غ

غرناطة:01، 02، 05، 06، 08، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20،
21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 34، 35، 36، 37، 38،
40، 41، 43، 45، 49، 52، 53، 56، 57، 58، 60، 65، 66، 68، 70، 71، 72،
74، 75، 77، 78، 79، 80، 82، 83، 84، 87، 88، 89، 93.

ل

لوثة:14، 20، 47، 135.

لييط:28.

م

مالقة:13، 15، 20، 32، 34، 46، 66، 79، 136، 147، 189، 205.

المدينة المنورة:142، 218.

مدريد:83.

مرج عذراء:221.

مراكش:29.

مرسية: 13، 63، 105، 118.

مصر:193.

مكة:184.

المغرب:08، 09، 55، 56، 59، 65، 70، 72، 87، 91، 102، 106، 107، 150،

157، 190، 192.

الموصل:104.

ن

متنزّه نجد:22، 25، 28.

نيسابور:104.

هـ

الهند:193.

و

وادي آش:14، 35.

واد الرافدين:222.

ي

اليمن:47.

قائمة المصادر والمراجع

1/المصادر والمراجع العربية:

أ/ المصادر:

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي ،التكملة لكتاب الصلة ،عنى بطبعه وتعليق حواشيه ألفريد بل وبن أبي شنب ،د.ط ،المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا ،الجزائر ،1337هـ/1919م .
- 3- الحلة السیراء ،حققه وعلق حواشيه: د.حسن مؤنس ،ط2 ،دار المعارف ،القاهرة ،1985م ،ج1.
- 4- ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح: الشيخ خليل مأمون شيحا ،ط1 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1418هـ/1997م ،ج3.
- 5- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ،نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ،تح: محمد رضوان الداية ،ط1 ،دار الثقافة للطبع والنشر والتوزيع ،بيروت ،1967م .
- 6- روضة النسرین في دولة بني مرین ،تح: عبد الوهاب بن منصور ،ط3 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1411هـ/1991م .
- 7- الأندروني أحمد بن محمد ،طبقات المفسرين ،تح: سليمان بن صالح الخزي ،ط1 ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،1417هـ/1997م .
- 8- الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ،كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،ط1 ،عالم الكتاب ،بيروت ،1409هـ /1989م ،مج2.

9- الإدريسي محمد عبد الحي الكتاني ،نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ،إعتناء وتحقيق محمد عبد الله الخالدي ،ط2 ،دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2.

10- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،شرح وتحقيق: نزار رضا ،د.ط ،منشورات مكتبة دار الحياة ،بيروت ،د.ت.ط.

11- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي ،كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل ،دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس ،ط1 ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1416 هـ/1996م.

12- ابن عبد البر أبو عمر يوسف القرطبي ،الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1415هـ/1335م ،ج1.

13- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ج1.

14- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ،الجامع الصحيح المختصر ،تح: مصطفى ديب البغا ،ط3 ،دار بن كثير ،بيروت ،1407هـ/1987م ،ج2.

15- ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح: سالم مصطفى البدري ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1419هـ/1998م ،مج1.

16- البغدادي إسماعيل باشا ،إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،د.ت.ط ،مج1.

- 17- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة، حققه وعلق عليه: الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ج2.
- 18- البيهقي أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، د.ط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
- 19- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2002م.
- 20- ابن بلبان علاء الدين علي الفارسي، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، مج4.
- 21- ابن بلكين الأمير عبد الله،، مذكرات الأمير عبد الله والمعروف بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، حرره: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1427هـ/2006م.
- 22- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تع: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.ط.
- 23- التتبيكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م.
- 24- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم، الإستقامة، تع: محمد رشاد سالم، ط2، توزيع مكتبة السنة، القاهرة، 1409هـ، مج1.

- 25- ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، تح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، مكتبة دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1418هـ/1997م، ج7.
- 26- **الإصابة في تمييز الصحابة**، حقق أصوله وظبط أعلامه ووضع فهرسه: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجليل، بيروت، 1412هـ/1992م، مج1.
- 27- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تح: حسن حبشي، د.ط، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1389هـ/1969م، ج1.
- 28- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، د.ط، دار الجليل، بيروت، 1414هـ/1993م، ج3.
- 29- ابن حجر أبو العباس أحمد بن علي الهيتمي، **تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال**، تح: محمد سهيل الرس، وإشراف محمود الأرناؤوط، ط2، دار بن كثير، بيروت، 1407هـ/1987م.
- 30- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م.
- 31- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجليل، بيروت، 1416هـ/1996م، ج2.
- 32- ابن حزم وابن سعيد والشقندي، **فضائل الأندلس وأهلها**، تح: صلاح الدين المنجد، د.ط، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1387هـ/1968م.
- 33- الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، **التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة بن الصلاح**، وضع حواشيه: محمد عبد الله شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.

- 34- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت405هـ، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السلوم، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م.
- 35- ابن عبد الحق، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م.
- 36- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط1، دار صادر، بيروت، 1993م ج4.
- 37- الحميدي أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.
- 38- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مطابع هيد لبرغ، بيروت، 1984م.
- 39- الحميري أبو محمد عبد الملك المعارفي البصري، السيرة النبوية، حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدماتها وفهارسها عبد الرؤوف سعد، د.ط، دار الجليل، بيروت، د.ت.ط، مج2، ج3.
- 40- الحنبلي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي، العدة في أصول الفقه، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د.أحمد بن علي سير المباركي، ط3، د.م.ط، الرياض، 1414هـ/1993م، مج1.
- 41- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ت469هـ/1076م، المقتبس في أخبار الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، د.ط، مطبعة سيما، بيروت، 1956م.
- 42- الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث، أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا، د.ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م.
- 43- قضاة قرطبة، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م.

- 44- الخطيب أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م ج2.
- 45- الكفاية في علوم الرواية، تحقيق وتعليق أحمد عمر هاشم، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ/1986م.
- 46- شرف أصحاب الحديث، تح: محمد سعيد خطيب أوغلي، د.ط، نشرته دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، 1971م.
- 47- الرحلة في طلب الحديث، حققه وعلق عليه نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ/1975م.
- 48- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1973م، مج1، مج2، مج3، مج4.
- 49- رقم الحل في نظم الدول، د.ط، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.
- 50- كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانية الإسلامية، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
- 51- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1400هـ/1980م، مج1، 1401هـ/1981م، مج2.
- 52- اللوحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تح: لجنة إحياء التراث العربي، د.ط، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.ط.

- 53- **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تح: محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1386هـ/1966م.
- 54- **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، تحقيق وتقديم عبد المجيد التركي، د.ط، المؤسسة الوطنية لفنون المطبعة، الجزائر، 1983م طباعة والنشر، القاهرة، 1386هـ/1966م.
- 55- **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل)**، نشر وتحقيق: أحمد مختار العبادي، د.ط، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر، 1958م.
- 56- **ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام**، دراسة وتحقيق د: محمد الشريف قاهر، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973م.
- 57- **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تح: إحسان عباس، ط1،
- 58- **رقم الحل في نظم الدول**، د.ط، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.
- 59- **ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن، تاريخ بن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، د.ط، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ/1971م، ج6، ج7.
- 60 - **رحلة بن خلدون شرقا وغربا 1352 - 1401 هـ**، عارضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي، حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2003م.
- 61- **المقدمة**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م.
- 62- **ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان**، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1978م، ج2، ج3، ج5.

- 63- ابن خير أبو بكر محمد الأموي الإشبيلي ، فهرسة بن خير ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1410هـ/1989م ، ج1 ، ج2.
- 64- الجرجاني علي بن محمد بن علي ، كتاب التعريفات ، تحقيق وتقديم: إبراهيم الأبياري ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1417هـ/1996م.
- 65- ابن جماعة بدر الدين الكناني ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، د.ط. ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.ط.
- 66- الجمحي بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تح: محمود محمد شاكر ، د.ط. ، مطبعة المدني ، مصر ، د.ت.ط .
- 67- ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي ، تلبيس إبليس ، تح: ماهر عبد الغني ، د.ط. ، دار الكتاب الحديث ، لبنان ، 1432هـ/2001م.
- 68- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1359هـ ، ج8 ، ج9.
- 69- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى التتوخي ، صححه وعلق عليه إبراهيم شبوح ، د.ط. ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1413هـ/1993م ، ج1.
- 70- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، تع: محمد ناصر الدين الألباني ، إعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط1 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، د.ت.ط.
- 71- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، ط1 ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ج3.
- 72- ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي ، آداب الحسبة والمحتسب ، تح: فاطمة الإدريسي ، ط1 ، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1425هـ/2005م.

- 73- ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر السبتي ،رحلة ابن رشيد السبتي ،دراسة وتحليل: أحمد حدادي ،د.ط ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1424هـ/2003م ،ج1.
- 74- الزبيدي أبو بكر ،طبقات النحويين واللغويين ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط.،دار المعارف،مصر،1973م.
- 75- الزجاجي أبو القاسم ،الإيضاح في علل النحو ،تح: مازن المبارك ،د.ط ،دار العروبة ،القاهرة ،1378هـ/1959م.
- 76- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،د.ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،1972م.
- 77- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،كتاب الجغرافيا ،تح: محمد حاج صادق ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط.
- 78- السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي ،طبقات الشافعية الكبرى ،تح: عبد الفتاح محمد الحلو ،محمود محمد الطناحي ،ط2 ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،مصر ،1413هـ/1992م ،ج3.
- 79- السبكي تاج الدين ،معيد النعم ومبيد النقم " الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية ،تصدير أحمد عبيدلي ،ط2 ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1985م.
- 80- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ،الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ،حققه وعلق عليه:فرانز روزنثال ،د.ط ،مطبعة العاني ،بغداد ،1382هـ/1963م.
- 81- السلاوي أحمد بن خالد الناصري ،كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق وتعليق: الأستاذ أحمد الناصري ،د.ط ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،2001م ،ج3.
- 82- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ،الطبقات الكبرى ،دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1418هـ/1997م ،مج1 مج3.

- 83- ابن سعيد علي بن موسى المغربي الغرناطي الأندلسي ،المغرب في حلى المغرب
،وضع حواشيه خليل المنصور ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417هـ/1997م ،ج2.
- 84- السقطي أبو عبد الله محمد الماقي ،كتاب في آداب الحسبة ، تح: كولين ولفي
بروفنسال ،د.ط ،مكتبة أرست لوروكس ،باريس ،د.ت.ط.
- 85- السيرافي أبو سعيد ،أخبار النحويين البصريين ،اعتنى بنشره وتهذيبه: فريتس
كرنكو ،د.ط ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،1936م.
- 86- السيوطي أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن ت911هـ ،الإتقان في علوم القرآن ،تح:
محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت
،1418هـ/1997م ،ج1.
- 87- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،تح: أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ،المكتبة
العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2.
- 88- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ،شرح ألفاظه وعلق عليه: أبو عبد
الرحمن صالح بن محمد بن عويضة ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417هـ/1996م
،ج2.
- 89- الدرر المنثور في التفسير المأثور،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411هـ-
1990م.
- 90- طبقات الحفاظ ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1414هـ/1994م.
- 91- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ،الملل والنحل ،تح: أمير
علي مهنا وعلي حسن فاعود ،ط6 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت
،1417هـ/1997م.
- 92- كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام ،حرره وصححه: ألفرد جيوم ،د.ط ،مكتبة
الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط.
- 93- صاعد أبو القاسم بن أحمد بن صاعد الأندلسي ،طبقات الأمم ،نشره لويس شيخو
اليسوعي ،د.ط ،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت ،1912م.
- 94- طبقات الأمم ،د.ط ،مطبعة السعادة ،مصر ،1932م.

95- الضبي بن عميرة، **بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ / 1989 م، ج1.

96- ابن طولون شمس الدين محمد الصالحي الدمشقي، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1412هـ / 1992م.

97- ابن عبدون محمد بن أحمد الاشبيلي، **رسالة في الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح: ليفي بروفنسال، د.ط، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

98- ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ج2، ج3.

99- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1983م.

100- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيير، عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ / 1985م، قسم الموحدين.

101- العثماني محمد بن غازي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ / 1999م.

102- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي، **قانون التأويل**، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

103- ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط، ج6.

104- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: حمزة أحمد عباس، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.

- 105- الغرناطي أبو حامد محمد ،رحلة بن الغرناطي"تحفة الألباب ونخبة الإعجاب
ورحلة إلى أوربة وآسية"، تحرير وتقديم قاسم وهب ،ط1 ،دار السويدي للنشر
والتوزيع ،أبو ظبي ،2003م.
- 106- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ،إحياء علوم الدين ،اعتنى به وظيفه وراجعه
ووضع فهارسه: محمد الدالي بلطة ،ط3 ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت
،1419هـ /1998م ،ج1.
- 107- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ،تقويم البلدان ، إعتنى
بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين دسلان ،د.ط ،دار الطباعة السلطانية
،باريس ،1840م.
- 108- ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين المالكي ،الديباج المذهب في معرفة أعيان
علماء المذهب ،دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان ،ط1 ،دار الكتب العلمية
،بيروت ،1417هـ/1996م.
- 109- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد ،تاريخ علماء الأندلس ،تح: روحية عبد
الرحمن السويدي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1417هـ/1997م.
- 110- ابن فورك أبو بكر ،مشكل الحديث وبيانه ،تحقيق وتعليق: موسى محمد علي ،ط2
،عالم الكتب ،بيروت ،1405هـ /1985م.
- 111- ابن قاسم عبد الواحد محمد ،مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ،د.ط
،مكتبة المعارف ،الرباط ،د.ت.ط ،مج11.
- 112- ابن القاضي أحمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة
فاس ،د.ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،1973م ،ج1.
- 113- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ،ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح: عبد القادر الصحراوي ،ط2 ،وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية ،المملكة المغربية ،1403هـ/1983م ،ج8.
- 114- القزويني زكرياء محمود ،آثار البلاد وأخبار العباد ،د.ط ،دار صادر للطباعة
والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،1380هـ/1960م.

- 115- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن طلحة ،الرسالة القشيرية في علم التصوف ،ط1 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1419هـ/1998م.
- 116- ابن القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ،إنباه الرواة على أنباء النحاة ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط. ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1369هـ/1950م ،ج2.
- 117- القلقشندي أحمد بن علي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،شرحه وعلق عليه وقابله نصوصه نبيل خالد الخطيب ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ج5.
- 118- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن ت809هـ ،الوفيات ،حققه وعلق عليه :عادل نويهض ،ط4 ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1403هـ/1983م.
- 119- ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،إعلام الموقعين عن رب العالمين ،قراءة وتقديم وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،السعودية ،1423هـ - ،مج2.
- 120- الكتاني بن إدريس ،سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ،د.ط ،فاس ،1316هـ - ،ج3.
- 121- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ،السنن ،حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط.
- 122- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد ،كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،تح: بشير البكوش ،راجعته: محمد العروسي المطوي ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1414هـ /1994م ،ج1.
- 123- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،تح: سمير مصطفى رباب ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1422هـ /2001م .

- 124 - مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكرى أمرائها ، تح: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م.
- 125 - مجهول ، كتاب الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط1 ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1399 هـ / 1979م.
- 126 - مجهول ، كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1423هـ / 2002م.
- 127 - المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، د.ط ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1414هـ / 1994م.
- 128 - مسلم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ط1 ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1419هـ / 1998م.
- 129 - المغراوي أحمد بن أبي جمعة ، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان ، تحقيق وتعليق: أحمد جلولي البدوي ، رابح بونار ، د.ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ت.ط.
- 130 - المقرئ ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون ، د.ط ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1358هـ / 1939م ج1.
- 131 - المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تح: إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1968م ، مج1 ، مج2 ، مج3 ، مج5 ، مج6 ، مج7.
- 132 - المقرئ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ، د.ط ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.ط ، ج2.

- 133- عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- 134- المناوي محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1410هـ/1990م.
- 135- النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ضبط وشرح وتعليق وتقديم مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ / 1995 م.
- 136- ابن النديم، الفهرست، د.ط، مطبعة الإستقامة، القاهرة، د.ت.ط.
- 137- ابن عبد الهادي أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج2.
- 128- الهروي أبو عبيد القاسم بن سلام ت224هـ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المدفر، ط2، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ / 1997م.
- 129- الونشريسي، المعيار المعرب في فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج8، ج11.

ب/المراجع:

- 1- الأبراشي محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، د.ط، دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، د.ت.ط.
- 2- الأعظمي محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت، 1413هـ / 1992م، ج1.
- 3- الأهواني عبد العزيز، كتاب برامج العلماء في الأندلس، د.ط، مطبعة مصر، القاهرة، 1955م.

- 4- الأهواني أحمد فؤاد ،التربية في الإسلام ،د.ط ،دار المعارف ،مصر ،1968م.
- 5- الأبياري إبراهيم ،تاريخ القرآن ،ط2 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1402هـ/1982م.
- 6- إبراهيم عبد الوهاب ،منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه وأصوله ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1420هـ/1999م.
- 7- إدريس أبو عبد العزيز إدريس محمود ،مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية ،ط1 ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419هـ/1998م ،مج1.
- 8- أرسلان شكيب ،الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،د.ط ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،د.ت.ط ،ج1.
- 9- إسلام أحمد مدحت ،علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية ،د.ط ،دار الفكر للطباعة والنشر ،القاهرة ،1420هـ/1999م.
- 10- أشباخ يوسف ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان ،ط2 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1417 هـ /1996 م.
- 11- أمين أحمد ،فجر الإسلام ،د.ط ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1994م.
- 12- ظهر الإسلام ،،ط3 ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1962م.
- 13- إمام محمد كمال الدين ،أصول الفقه الإسلامي ،ط1 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،1416هـ /1996م.
- 14- بالنثيا آنخل جانثالث ،تاريخ الفكر الأندلسي ،نقله عن العربية حسين مؤنس ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،د.ت.ط.

15- البتوني محمد لبيب ،رحلة الأندلس ،ط2 ،مطبعة شركة المساهمة المصرية ،مصر ،د.ت. ط.

16- بركة عبد الرحمن مسعد علي ،بن جزي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل ،ط1، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ،ليبيا ،1994م.

17- البستاني بطرس ،معارك العرب في الأندلس ،د.ط ،دار مارون عبود ،بيروت ،د.ت. ط.

18- بروفنسال ليفي ،حضارة العرب في الأندلس ،ترجمة ذوقان قرقوط ، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت، د.ت. ط.

20- بور دي ،تاريخ الفلسفة في الإسلام ،نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1374هـ / 1954م ،ص.120.

21- بيدرسن يوهانس ،الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة ،ترجمة حيدر غيبة ،د.ط، دمشق ،1989 م.

22- ترحيني محمد أحمد ،المؤرخون والتأريخ عند العرب ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت. ط.

23- التونسي خير الدين ،أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ،تمهيد وتحقيق:

المنصف 24- الشنوفي ،ط2 ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،تونس ،2000م ،مج1.

25- جمعة محمد لطفي ،تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ،د.ط ،المكتبة العلمية ،بيروت ،د.ت. ط.

26- الجيزاني محمد بن حسين ،معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ،ط3 ،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ،1422هـ.

27- حتي فيليب وآخرون ،تاريخ العرب ،ط11 ،دار الكشف للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،2002م.

28- الحجي عبد الرحمن ،الحضارة الإسلامية في الأندلس : أسسها ،ميادينها ،تأثيرها على الحضارة الأوربية ،ط1 ،دار الإرشاد ،بيروت ،1969م.

29- حسن إبراهيم حسن ،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، ط14 ،دار الجليل ،بيروت ،1416هـ/1996م ،ج3.

30 -حسن إبراهيم ،التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب ،د.ط ،الدار العربية للكتاب ،د.م.ط ،1994م.

31- حسين أحمد فراج ،المدخل للفقهاء الإسلاميين ،د.ط ،منشورات الحلبي الحقوقية ،بيروت ،2002م.

32- الحصري أحمد ،تاريخ الفقه الإسلامي: نشأته ،مصادره ،أدواره ،مدارسه ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1411هـ/1991م.

33- حميدة عبد الرحمن ،أعلام الجغرافيين العرب ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1984م.

34- حسن حنفي ،بحوث في علوم أصول الدين ،أصول الفقه ،العقل والنقل ،د.ط ،دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ،د.ت.ط.

35- الخربوطلي علي حسني ،الحضارة العربية الإسلامية ،ط2 ،مطبعة الخانجي ،القاهرة ،1415هـ/1994م.

36- الخضير إبراهيم بن صالح ،أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية،د.ط، مطابع الشرق الأوسط ،الرياض ،د.ت.ط، ج1.

- 37- الخطابي محمد العربي ،الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية: دراسة وتراجم ونصوص ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988م ،ج2.
- 38- خليفة شعبان والعوزة وليد محمد ،الفهرست لابن النديم ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1991م.
- 39- الخولي محمد عبد العزيز ،مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث،ط4،دار الكتب العلمية،بيروت،1403هـ/1983م.
- 40- الخوند مسعود ،الموسوعة التاريخية الجغرافية ،د.ط ،دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ،لبنان ،د.ت.ط ،ج1.
- 41- الداية محمد رضوان ،المختار من الشعر الأندلسي وفصول في شعر المغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال ،ط3 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،1413هـ/1992م.
- 42- الدخيل سليمان ،الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ،تقديم وتعليق: د.محمد زينهم محمد عزب ،ط1 ،دار الآفاق العربية القاهرة ،1423هـ/2003م.
- 43- دغيم سميح ،فلسفة القدر في فكر المعتزلة ،ط1 ،دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ،بيروت ،1992م.
- 44- الدفاع على بن عبد الله ،رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية ،ط1 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت ،1419 هـ/1989م.
- 45- دندش عصمت عبد اللطيف ،الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - عصر الطوائف الثاني 510 - 546 هـ ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1408هـ/ 1988 م.
- 46- الدومبيلي ،العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى د.ط ،القاهرة ،1962م.

- 47- دياب حامد الشافعي ،الكتب والمكتبات الأندلس ،ط1 ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998م.
- 48- دياب مفتاح محمد ،مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة العربية الإسلامية ،ط1 ،الهيئة القومية للبحث العلمي ،بنغازي ،1401هـ/1992م.
- 49- ذنون عبد الحكيم ،آفاق غرناطة:بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ،ط1 ،دار المعرفة ،دمشق ،1408هـ/1988م.
- 50- الرافعي مصطفى صادق ،تاريخ آداب العرب ،د.ط ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1425هـ - 2005م ،ج1.
- 51- الربباني عبد المجيد عبد الحميد ،المدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي ،1994م.
- 52- ربييرا خوليان ،التربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ،ترجمة: الطاهر أحمد مكي ،ط2 ،دار المعارف ،القاهرة ،1994م.
- 53- أبورية محمد عبد الهادي ،تاريخ الفلسفة في الإسلام ،ط3 ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1374هـ /1954م.
- 54- الزركلي خير الدين ،الأعلام ،ط15 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،2002م ،ج6.
- 55- زهر نايف ،مناهل الحكماء والأولياء ومآثر الأعلام والموحدين ،ط1 ،المركز العربي للأبحاث والتوثيق ،بيروت ،1997م.
- 56- أبو زهرة محمد ،أصول الفقه ،د.ط ،دار الفكر العربي للطبع والنشر ،القاهرة ،د.ت.ط.
- زيدان جرجي ،تاريخ التمدن الإسلامي ،د.ط ،مطبعة الهلال ،مصر ،1904م ،ج3.
- 57- الزين سميح عاطف ،علم أصول الفقه الميسر ،ط1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1410هـ/1990م ،ص.221.

- 58- سالم عبد العزيز ،التاريخ والمؤرخون العرب ،د.ط ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ،2008 م.
- 59- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة ،د.ط مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،د.ت.ط.
- 60- السريتي عبد الودود محمد ،تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة ،د.ط ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1993م.
- 61- السويسي عبد الله ،تاريخ رباط الفتح ،تقديم: محمد حجي ،د.ط ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة ،الرباط ،1399هـ/1979م.
- 62- شبانة محمد كمال ،الأندلس؛دراسة تاريخية حضارية ،ط1 ،دار العالم العربي ،القاهرة ،1429هـ/2008م.
- 63- شراب محمد حسن ،المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي ،ط1 ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،1415هـ/1994م ،مج1.
- 64- الشكعة مصطفى ،المغرب والأندلس: آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1407هـ/1987م.
- 65- الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه ،ط7 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1992م.
- 66- الشطشاط علي حسين ،تاريخ الجراحة في الطب العربي (من القرن 3 - 7 هـ / 9 - 13 م) ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي ،1991م ،مج1.
- 67- نهاية الوجود العربي في الأندلس ،د.ط ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،2001م.

- 68- الشويخات أحمد مهدي محمد وآخرون ،الموسوعة العربية العالمية ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419هـ/1999م ،ج18.
- 69- الطائي فاضل أحمد ،علم الصيدلة عند العرب ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1995م ،ج1.
- 70- طاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى ،موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ،تح: علي دحروج ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1998م.
- 71- الطريفي ناصر بن عقيل بن جاسر ،تاريخ الفقه الإسلامي ،ط2 ،مكتبة التوبة ،الرياض ،1418هـ/1997م.
- 72- طعيمة صابر ،بحوث في الفرق: الشيعة ،النصيرية ،الباطنية ،الصوفية ،الخوارج ،د.ط ،مكتبة المعارف ،الرياض ،1400هـ.
- 73- عباس إحسان ،تاريخ الأندلس :عصر الطوائف والمرابطين ،ط1 ،دار الثقافة ،بيروت ،1962م.
- 74- عبد الله يسرى عبد الغني ،معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر هجري ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411هـ/1991م.
- 75- عبود نظير مارون ،مؤلفات جرجي زيدان الكاملة ،د.ط ،دار الجليل ،بيروت ،1401هـ/1981م ،ج14.
- 76- العجم رفيق ،موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1999م.
- 77- عرابي سمير ،علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1999م.

- 78- علوم الطب والجراحة والأدوية عند العلماء العرب والمسلمين ، ط1 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 1999م.
- 79- علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين ، ط1 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 1419هـ / 1999م.
- 80- بو عزيز يحي ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين ، د.ط ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، بوزريعة ، 2001م.
- 81- عكاوي رحاب ، بن النفيس علي بن أبي الحزم القرشي ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1996م.
- 82- العمري أكرم ضياء ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ط5 ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1415هـ / 1994م.
- 83- العوني الشريف حاتم بن عارف ، المنهج المقترح لفهم المصطلح ، ط1 ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1416هـ / 1996م.
- 84- عنان محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1417هـ / 1997م.
- 85- تراجم أندلسية؛ شرقية وأندلسية ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1947م.
- 86- دولة الإسلام في الأندلس - الخلافة الأموية والدولة العامرية ، العصر الأول: القسم الثاني ، ط3 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1380هـ / 1960م.
- 87- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط3 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1386هـ / 1966م ، ص. 22.

- 88- عبد الحليم رجب محمد ،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ،د.ط، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،د.ت.ط.
- 89- عبد الستار لبيب ،الحضارات ،ط14 ،دار المشرق ،بيروت ،1997م.
- العراقي عاطف ،النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ،ط5 ،دار المعارف ،القاهرة ،1993م.
- 90- بن عبد الفتاح القاري أبو مجاهد عبد العزيز ،سنن القراء ومناهج المجودين ،ط1 ،مكتبة الدار ،المدينة المنورة ،1414هـ.
- 91- أبوغدة عبد الفتاح ،لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ،ط4 ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1417هـ.
- 92- غربال محمد شفيق ،الموسوعة العربية الميسرة ،د.ط ،دار الشعب ومؤسسة فرانكلين روزفلت للطباعة والنشر ،القاهرة ،1965م.
- 93- غيثار بيير ،التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية حكم الموحدون :الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،ترجمة مصطفى الرقي ،ط2 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،د.ت.ط.
- 94- فرحات يوسف ،الفلسفة الإسلامية وأعلامها ،ط1 ،تراد كسيم ،جنيف ،1986م.
- 95- فرحات يوسف و عيد يوسف ،معجم الحضارة الأندلسية ،دار الفكر العربي ،ط1 ،بيروت ،2000م.
- 96- فروخ عمر ،تاريخ الأدب العربي ،ط3 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1978م ،ج1.
- 97- الفيومي إبراهيم ،تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1417هـ/1997م.

- 98- القاسمي محمد جمال الدين ،قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط .
- 99- القطان مناع ،مباحث في علوم القرآن ،ط34 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1418هـ/1998م.
- 100- قلعة جي أحمد عبد الفتاح رواس ،مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، دار قتيبة، بيروت ،1991م.
- 101- كحالة عمر رضا ،معجم المؤلفين ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج5.
- 102- مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام ،ط1 ،مطبعة الحجاز ،دمشق ،1394هـ /1974م.
- 103- كريم محمد أحمد وآخران ،تاريخ التربية والتعليم ،د.ط ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،د.ت.ط.
- 104- كنون عبد الله ،ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1430هـ/2010م ،ج1.
- 105- اللالكائي أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور ،شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ،تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ،ط5 ،دار طيبة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1418هـ ،مج1 ،ج1.
- 106- لوبون غوستاف ،حضارة العرب ،نقله إلى العربية عادل زعيتر ،دار إحياء الكتب العربية ،ط3 ،القاهرة ،1375هـ/1956م.
- 107- لومبارد موريس ،الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ،ترجمة: عبد الرحمن حميدة ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1982م.

- 108- محددة محمد، مختصر علم أصول الفقه الإسلامي، ط5، الشهاب، باتنة، 1994م.
- 109- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م.
- 110- محمد بن محمد محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1419هـ/1999م.
- 111- محمود حسن أحمد، الدولة الإسلامية الأولى عهد البعثة النبوية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/1998م.
- 112- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط2، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1416هـ / 1996م.
- 113- مرحبا محمد عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1988م.
- 114- المرزوي أبو عبد الله محمد بن نصر، اختلاف الفقهاء، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد طاهر حكيم، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1420هـ/2000م.
- 115- المقطري محمد الصغير العبادلي، الحل الذهبية على التحفة السنية، ط3، دار الإمام مالك، البلدة، 1428هـ/2007م.
- 116- الملا أحمد علي، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1417هـ/1996م.
- 117- مؤنس حسين، موسوعة تاريخ الأندلس " فكر وحضارة وتراث"، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1416هـ / 1996م.

- 118- فجر الإسلام: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية - 711 - 750 م ، ط2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، 1405هـ/1985م.
- 119- موسوعة تاريخ الأندلس: فكر وتاريخ وحضارة وتراث ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1416هـ/1996م ، ج2.
- 120- موسى عز الدين عمر ، الموحدون في الغرب الإسلامي: تنظيماتهم ونظمهم ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1411هـ/1991م.
- 121- موسى علي حسن ، علم الفلك في التراث العربي ، ط1 ، المطبعة العلمية ، دمشق ، 2001م.
- 122- النجار عامر ، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1994م.
- 123- نجيب زينب ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ، ط1 ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت ، 1415هـ/1995م ، ج2 يوسف عيد ويوسف فرحات ، معجم الحضارة الأندلسية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 2000م.
- 124- نلينو كرلو ، علم الفلك :تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، د.ط ، المكتبة الثقافية الدينية ، مصر ، د.ت.ط.
- 125- هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وآخرون ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979م.
- 126- وانلي خير الدين ، المسجد في الإسلام: أحكامه ، آدابه، بدعه ، ط4 ، المكتبة الإسلامية ، الأردن ، 1419هـ/1998م.

- 127- الولي طه ،المساجد في الإسلام،ط1،دار العلم للملايين ،بيروت ،1409هـ/1998م.
128- يزبك قاسم ،التاريخ ومنهجية البحث التاريخي ،ط1 ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،1990م.

- 129- يفوت سالم ،ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،1986م.

ج/القواميس:

- 130- حمد حسين علي ،قاموس المذاهب والأديان ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1419هـ/1998م.

- 131- الزبيدي محب الدين أبو فيض مرتضى ،تاج العروس من جواهر القاموس ،دراسة وتحقيق: علي سيري ،د.ط ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1414هـ/1994م ،مج14 ،ص.18.

- 132- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكرياء ،معجم مقاييس اللغة ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1411هـ/1991م ،مج3.

- 133- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ،تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،إشراف: محمد نعيم العرقسوسي ،ط6 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1419هـ/1998م.

- 134- ابن منظور ،لسان العرب ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1374هـ/1955م ،مج12.

د/المجلات:

1- ساعي أحمد بسام ،الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب عدة الجليس ،مجلة أفاق الثقافة والتراث ،تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي ،السنة 01 ،العدد3 ،رجب 1414هـ/ديسمبر 1993م.

2- علي محمد كرد ،لسان الدين بن الخطيب ،مجلة المقتبس ،إشراف محمد يوسف نجم ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،1352هـ/1907م ،مج.2

3- لخرج عبد العزيز محمود ، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها ،مجلة الدراسات الإنسانية ،تصدر عن كلية العلوم الإنسانية،العدد 1،السنة 1421هـ/2001م.

04- السايح أحمد عبد الرحيم ،المساجد ودورها الثقافي ،مجلة الداعي، تصدر عن الجامعة الإسلامية ، دار العلوم، ديوبند ،الهند، العدد01 ،السنة 24 ،1421هـ /2000م.

05- فيك يوهان ،العربية ،عرض ونقد غازي مختار طليمات ،أفاق الثقافة والتراث ،مجلة فصلية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،السنة الأولى ،العدد3 ،دبي ،رجب 1414هـ/ديسمبر 1993م.

عنان محمد عبد الله ،وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ،صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن وزارة المعارف العمومية المصرية ،مريد 1373هـ/1954م ،ع:1-2 ،مج.2.

2 / المراجع الأجنبية:

- 1- Clot (André): l'Espagne musulmane, (VII^e - XVe siècle), librairie académique, Perrin, paris.
- 2- Dodge Bayard : muslim education in medieval time , the middle east institute, Washington, 1962.
- 3- R .DOZY, histoire des musulmans d'Espagne jusqu' la conquête de L'Andalousie par les Almoravides, Leyde ,1932 ,t3
- 4- R.DOZY, recherches sur L'histoire et la littérature de L'Espagne pendant le moyen âge, 3^{eme} édition, oriental presse , Amsterdam , 1956, t1.
Emilio Garc a G mez, cinco poetas musulmanes : biographias y estudios, secunda edicion austral. n=513 . Madrid
- 5- Encyclop die de l 'Islam par b. Lewis, ch.pellat et j.schacht ,leiden, Pays-Bas ,1965.T2.
- 6- Fernandez: les juifs espagnols au moyen- ge, Gallimard, paris, 1983.
- 7- ibn al-qifti's ,tarih al-Hukama ,Von: Julius lippert ,Leipzig ,1903.
Julian Ribera y tarrago, la ensenanza entre los musulmanes espanoles ,(discurso universidade Zaragoza ,1893-1894)
Mariana: historia General de Espa a ,edicion la borna, Madrid ,1965.t2.
- 8- Miguel Angel ladero quesada, Granada historia de un pais islamico (1232-1571) ,Madrid ,1969.
- 9- w. Montgomery : a history of Islamic Spain, Edinburgh university, press, 1987 .

10- A.R. mykl : Hispano- Arabic poetry and its relations with the old provençal, troubadours, Baltimore, 1946.

11- Palencia Angel Gonzalez : historia de la literatura ara bigo- Espanola, colleccion Labor n = 164-165,edicion , Barcelona, 1928.

12- Ramiro: revista del Centro de estudios historicos de Granada y su Reino, Granada,1913,tome :4 .

13-Torres balbàs : contornos de las ciudades hispano musulmanas, Calpe èdicion, Madrid ,1996.

فهرس الموضوعات

الإهداء

كلمة شكر

9-1	المقدمة
45-11	الفصل التمهيدي: غرناطة وأوضاعها
27-11	أولاً: تسميتها ،موقعها ،تعميرها ،أوصافها وما قيل فيها
35-27	ثانياً: الأوضاع السياسية
43-35	الأوضاع الإجتماعية
45-43	الأوضاع الإقتصادية
83-46	الفصل الأول: التعريف بابن الخطيب ومؤلفاته
64-47	مولده ونسبه ،نشأته العلمية ،أوصافه وما قيل عنه
70-65	مؤلفاته
83-70	دراسة لكتاب الإحاطة
122-84	الفصل الثاني: طرق ومؤسسات التعليم
92-86	طرق التعليم بغرناطة
112-94	المؤسسات التعليمية
118-112	دور الحكام في الحياة العلمية
120- 119	دور العلماء
122-120	دور العامة
155-123	الفصل الثالث: العلوم الشرعية
131-125	القراءات
134-131	التفسير
142-134	الفقه
145-143	أصول الفقه
150-145	الحديث

155-151	علم الكلام
189-156.....	الفصل الرابع: العلوم الأدبية
163-159.....	اللغة
166-163.....	النحو
173-166.....	الأدب
186-174	الشعر
189-187.....	الموشحات
220- 190.....	الفصل الخامس: العلوم الإجتماعية
200-192	التاريخ
203-201.....	الجغرافيا
210-204.....	الفلسفة
218-210.....	التصوف
243-219.....	الفصل السادس: العلوم التطبيقية
231-221	الطب
234-231.....	الصيدلة
238-234	الفلك
241-238.....	الحساب
243-241.....	الهندسة
247-244.....	الخاتمة
254-246	الملاحق
297-255.....	الفهارس
288-256	فهرس الأعلام
291-290.....	فهرس الكنى
298-292.....	فهرس الأماكن
328-299.....	قائمة المصادر والمراجع
332-331.....	فهرس الموضوعات

